

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: تاريخ

القاضي عياض وعلاقته بالسلطة والرعية

(476 هـ – 544 هـ / 1083-1149م)

أطروحة نهاية الدراسة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في: التاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ(ة):

د. مغنية غرداين

إعداد الطالب(ة):

هاجر بن منصور

أعضاء المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
كربوع سالم	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	رئيسا
غرداين مغنية	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
فتيحة شلوق	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
كربوع مسعود	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
البشير غانية	أستاذ	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
الطاهر بن علي	أستاذ	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }

(سورة المجادلة، الآية: 11)

**إهداء**

إلى كل علماء الأمة الإسلامية

### شكر وتقدير

نحمد الله -عزّ وجلّ- حمداً كثيراً طيباً يملأ السماوات والأرض ونشكره قبل أي شيء على ما أكرمنا به من إتمام هذه الدراسة.

ونشكر الدكتورة غرداين مغنية التي كانت طيلة مراحل هذا البحث مرشداً وموجهاً وناصحاً، وكان لأرائها وتوجيهاتها الدور الكبير في تدليل الصعوبات التي واجهتنا  
كما أشكر كل أساتذتي الأفاضل الذين نهلت من علمهم، وإلى كل من أعانني بنصيحة أو عمل.

## قائمة المختصرات:

ج: جزء

س: السنة

ص: الصفحة

ط: الطبعة

ع: العدد

م: ميلادي

مج: مجلد

هـ: هجري

# مقدمة

إن التاريخ السياسي والاجتماعي في الغرب الإسلامي لا يكاد يفصل ويتجرد عن الدين، ذلك أن الدين الإسلامي هو أساس بناء الدولة الإسلامية، وآثاره عمت مختلف جوانبها المتعددة، خصوصا السياسية والاجتماعية، حيث كان تأثيره واضحا وجليا على السلطة والمجتمع، أين نجد الفقيه في العالم الإسلامي يعمل على الجمع بين عقيدة الإسلام وشريعته وبين الواقع السياسي والاجتماعي، وذلك بربط أجهزة السلطة جميعا بالأطر التي رسمها القرآن والسنة، وتوجيه حياة الناس وفق ما يريده الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

ولعل العلاقة التي تربط الفقيه بالسلطة والمجتمع من أهم القضايا التي تواجه المؤرخ لتاريخ الغرب الإسلامي، لما لها من دلالات وتفسيرات للواقع الذي كانت تعيشه الدولة الإسلامية في الغرب الإسلامي، وجملة الظروف والمتغيرات والخلفيات المؤثرة في الحاكم والمحكوم، مع كشف الدور البارز الذي يقوم به الفقيه في تحقيق التوازن والتراضي بين الطرفين.

فقد كان للفقيه دور كبير في قيام السلطة وإعطائها الشرعية لدى الناس، أو نسف شرعية السلطة والدعوة إلى التمرد عليها، فكان بقوله يعمل الحاكم والمحكوم، وعن رأيه يصدون، وعليه يعولون، واعتبر نقطة الالتقاء بين السلطة والرعية، فهو الذي يراقب الحاكم ويقيد من قوته وبطشه بالرعية، ويصحح مسلكه، ويصلح أخلاقه، وله أثر كذلك في إصلاح عقائد الرعية من أي انحراف، ويرشدهم لكل ما فيه الصلاح والتقوى، ومن العمل ما الله به يرضى، ويقف أيضا في وجه أهل البدع والأهواء، وغيرها من الأدوار التي تحافظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي معا، فالفقهاء هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، الذين استعانتم بهم السلطة في تدبير شؤون الدولة، والرعية في فهم الدين.

والقاضي عياض كان من بين هؤلاء الفقهاء الذين كان لهم دور سياسي واجتماعي بارز، لما جمع بينه وبين السلطة والرعية من علاقة وطيدة وممتينة، كانت نتاج علمه ومنصبه، وسنحاول في هذه الأطروحة أن نسجل معالم علاقاته السياسية والاجتماعية، خاصة أنه عاصر

فترة كان فيها الفقيه يعتبر دعامة من دعامات السلطة لما له من دور بارز في حماية الدين وترسيخ قواعد الشرع وإلزام السلطة والرعية بالنقيد به.

وعلى الرغم من أن المصادر التي تحدثت عنه لم تحو من المعلومات ما يكفي لهذه الدراسة بالشكل المرغوب فيه، إلا أن في مصنفاة نجد ما يساعدنا على التطرق لجوانب عديدة من شخصيته خصوصا علاقاته بالسلطة والرعية حتى ولو كان بشكل يسير.

ومن هنا جاء موضوع دراستنا الموسوم ب: "القاضي عياض وعلاقته بالسلطة والرعية (476 هـ - 544 هـ / 1083-1149م)"، لما له من أهمية تاريخية وما يحمله من دلالات سياسية واجتماعية قابلة لتوظيفها في علاقة الفقيه بالسياسة والرعية.

وإن موضوع القاضي عياض هو موضوع تعددت وكثرت فيه الدراسات، فقد كتب حوله مجموعة من الباحثين العديد من الأبحاث التي كانت في مجملها فقهية في حين لم تعتن به من الناحية السياسية والاجتماعية إلا بشكل قليل، وهذا راجع لصعوبة الكتابة في هذا الجانب خاصة أن المصادر التي اقتصت في ذكره ركزت على حياته العلمية والفقهية أما علاقته بالسلطة والرعية فالمعلومات حوله قليلة ومتكررة، وعلى الرغم من ذلك فقد ساعدتني الدراسات السابقة على فهم الموضوع وفتح المجال للتعمق فيه.

### الإشكالية:

تكتسي علاقة الفقيه بالسلطة والمجتمع أهمية كبيرة في مجال التاريخ الإسلامي لارتباطها بمشكلة دوره في توجيه أصحاب السلطة والرعية في حدود العلاقة التي تربطه بهما، وعلى هذا الأساس تتمحور الإشكالية حول:

علاقة القاضي عياض بالسلطة هل كانت علاقة ولاء ووفاء أم علاقة امتناع وخروج؟ وهل كان لدوره السياسي تأثير على دوره الاجتماعي في علاقته مع الرعية؟

ويقودنا هذا الإشكال إلى تساؤلات فرعية تمثلت في:



- من هو القاضي عياض؟
- ما هو موقف القاضي عياض من السلطة؟ وهل تغير السلطة أدى إلى تغيير موقفه منها؟
- ما هو دوره في المجتمع؟ وهل كان له تأثير على الرعية؟
- هل علاقات القاضي عياض السياسية أو الاجتماعية أثرت على العلاقة بين السلطة والرعية في عصره؟

### منهج البحث:

اتبعنا في هذه الدراسة:

- **المنهج الوصفي** في تتبع نشأة القاضي عياض وتكوينه العلمي ونتاجه العملي.
- **المنهج التحليلي** في دراسة الأحداث التي وقعت في عصره وإبراز مواقفه منها.
- **المنهج الاستقرائي** من خلال استقراء مؤلفات القاضي عياض واستنباط آرائه وردوده على دعوة الموحدين، وتوجهاته السياسية منها والاجتماعية.
- **المنهج الإحصائي** من خلال استخدام الجداول والبيانات الرقمية، ثم تقديم مجموعة من التحليلات لهذه البيانات.

### خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت لمحة عن الموضوع مع أهميته، إضافة إلى الإشكالية ومجموعة من التساؤلات التي أجبنا عليها في ثنايا هذا البحث، مع ذكر المنهج المتبع في الدراسة وأهم الدراسات السابقة للموضوع، مع دراسة نقدية لأهم مصادر الموضوع.

أما الفصل الأول فخصصناه للتعريف بالقاضي عياض من كل الجوانب الشخصية، العلمية والعملية، مركزين على تكوينه العلمي، آثاره وتوجهه المذهبي.

**والفصل الثاني** تحدثنا فيه عن السلطة التي عاصرها القاضي عياض، مبينين أنه عاصر سلطتي دولة المرابطين التي نشأ في ظل حكمها، وقيام دولة الموحدين بداية من ظهور الدعوة إلى غاية قيام الدولة بخلافة عبد المؤمن بن علي، وتكمن أهمية هذا الفصل في تحليل العلاقة التي ربطت القاضي عياض بالسلطة التي عاصرها، مبينين مواطن التوافق والاختلاف الذي كان بين القاضي عياض وأصحاب السلطة من مرابطين وموحدين.

**والفصل الثالث** جاء في شكل دراسة اجتماعية، أين تطرقنا للمجتمع الذي عاش فيه القاضي عياض وطبقاته، موضحين انتماءاتهم القبلية والدينية، مركزين على علاقة القاضي عياض بالرعية الخاصة منها والعامّة، مع إبراز دور القاضي عياض كقاضٍ للرعية.

**والفصل الرابع** يعتبر زبدة الموضوع، حيث تطرقنا فيه إلى دور القاضي عياض في العلاقة التي ربطت بين السلطة ورعيته من الناحية الفكرية وحتى العملية مع توضيح التأثير الذي لعبه في ذلك.

في حين جعلنا خاتمة الدراسة لأهم النتائج التي توصلنا لها.

**أهم مصادر البحث:** يأتي في طليعة هذه المصادر كتاب **"التعريف بالقاضي عياض"** لابنه محمد أبو عبد الله الذي يعتبر أهم مصدر، وضع خصيصاً للتعريف بالقاضي، أين بسط فيه ابنه أخباره وعرض آثاره وأعماله، فكان الأساس الذي بنى عليه المترجمين للتعريف بالقاضي عياض.

ومصنف **"أزهار الرياض في أخبار عياض"** للحافظ أحمد بن محمد المقرئ، جاء في خمس مجلدات استوعب فيه المقرئ حياة القاضي عياض من كل الجوانب.

بالإضافة إلى مصنفات القاضي عياض التي أفدتها كثيرا، وكانت أساس إنجاز هذه الأطروحة، وقد وظفنا تقريبا جل مصادره لمعرفة علاقاته، استنباط أفكاره وتوجهاته ومعرفة ردوده، نذكر منها:

- "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك" وهو كتاب صنفه القاضي عياض وتحدث فيه عن فقهاء المذهب المالكي ممن كانوا قبله أو عاصروه، استفدنا منه كثيرا في هذه الدراسة حيث استنتجنا من خلاله نظرة القاضي عياض لمؤسسي سلطة المرابطين وفقهائها ممن عاصروهم، واحتوى على بعض المعلومات حول العلاقة بين الفقهاء والسلطة والرعية، كما وظفناه لمعرفة رده على آراء مهدي الموحدين.

- "الغنية" وهو مصنف فهرسة شيوخ القاضي عياض، أفادنا كثيرا في هذه الدراسة لما احتواه من معلومات وضحت لنا التكوين العلمي للقاضي عياض سواء في سبته أو الأندلس، بالإضافة إلى ذلك استطعنا استنتاج العلاقة بينه وبين فقهاء السلطة من خلال من ذكر منهم ممن كانوا من شيوخه، كما حمل هذا المصنف بين طياته بعض الأفكار السياسية والاجتماعية للقاضي عياض حتى ولو بشكل قليل استطعنا توظيفها.

- "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" للقاضي عياض وولده، وهو كتاب في موضوع النوازل، احتوى في مضمونه مادة غزيرة عن الجانب الاجتماعي للقاضي عياض، حيث استطعنا توظيف محتواه في توضيح الدور الاجتماعي للقاضي عياض.

وغيره من مصنفات القاضي عياض، وبالإضافة إلى ذلك اعتمدنا على مصنف المهدي ابن تومرت "أعز ما يطلب" وهو مصدر مهم لهذا البحث لما يحتويه من أفكار المهدي وردوده على دولة المرابطين وفقهائها، وقد استفدنا منه كثيرا في المقارنة بين أفكار القاضي عياض وآراء المهدي ابن تومرت.

وكذلك المصادر التاريخية التي لا تقل أهمية عن المصادر التي ذكرناها، والتي وظفناها في التعريف بالسلطة التي عاصرها القاضي عياض مع ما تطرقت له حول القاضي، خاصة فيما يتعلق بثورة مدينته سبتة ضد الموحيدين، والتي كان أهمها:

- "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم" لابن خلدون، كان مهما جدا من خلال ما احتوى حول أصول القبائل المكونة للمجتمع المرابطي والموحدي، إضافة إلى ما احتواه حول تاريخ الدولتين وحول ثورة القاضي عياض في سبتة وحيثياتها.

- "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية" لخالد الناصري، والذي كان مفيدا جدا في تقصي أخبار دولة المرابطين والموحيدين، كما تحدث عن ثورة السبتيين والدور الذي لعبه القاضي عياض.

- "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي الزرع و"الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلف مجهول، والذي اعتمدنا عليهما في تقصي أخبار مؤسسي دولة المرابطين وحكامها، وظهور المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحيدين.

- "أخبار المهدي" للبيدق والذي يعتبر أول من أرخ للدعوة الموحدية، وقد احتوى معلومات مهمة على مهدي الموحيدين ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن علي.

وغيرها من المصادر التاريخية، إضافة إلى ذلك اعتمدنا على المصادر الجغرافية في تعريف المدن المذكورة، وعلى ما احتوت عليه من معلومات تاريخية مهمة جدا، خاصة كتاب البكري "المسالك والممالك" الذي احتوى معلومات مهمة جدا عن مؤسس دولة المرابطين عبد الله بن ياسين، والتي أفادتنا كثيرا في الدراسة، ومصنف "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مجهول والذي استعين بمعلوماته الجغرافية والتاريخية معا.

إضافة إلى هذه المصادر توجد مصادر أخرى على اختلاف مجالاتها من تاريخية، تراجم، فهارس، جغرافية، نوازل، أنساب، السياسة الشرعية تناولت نقاطا من موضوع البحث، وكانت لنا خير سند في إنجازه.

كما اعتمدنا على العديد من المراجع نخص بالذكر منها: الحسين بن محمد الشواط "القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، البشير علي الترابي "القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث والدراية"، مجلة المناهل "عدد خاص بالقاضي عياض"، مجلة دعوة الحق " عدد خاص بالقاضي عياض"، إبراهيم القادري بوتشيش "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين"، أحمد عزاوي "رسائل موحدية مجموعة جديدة"، مصطفى الشكعة "المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية" وغيرها من المراجع.

الدراسات السابقة: ومن أهم الدراسات التي ساعدتني في هذا الموضوع

- الحسين بن محمد الشواط: "القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته" وهي دراسة تركز على التعريف بالقاضي عياض من كل الجوانب العلمية والعملية ولكنها لا تتطرق لعلاقاته السياسية والاجتماعية إلا بشكل القليل، لكن استفدت منها كثيرا خاصة في الفصل الأول من الأطروحة.
- البشير علي محمد الترابي: "القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية" ساعدني في بحثي خاصة فيما يخص التعريف بالقاضي عياض ومصنفاته.
- مجلة المناهل التي أصدرت عددا خاصا بالقاضي عياض، احتوى على العديد من المقالات في التعريف بالقاضي عياض ودراسة العديد من الجوانب الخاصة به كانت مهمة جدا ومرشدة لي في بحثي هذا.
- مجلة الحق التي أصدرت كذلك عددا خاصا بالقاضي عياض احتوى في مضمونه الكثير من المقالات التي تحوي معلومات قيمة عن القاضي عياض.

## صعوبات البحث:

ككل باحث في التاريخ الإسلامي واجهتنا بعض الصعوبات لإنجاز هذه الدراسة كان أهمها كثرة الدراسات حول القاضي عياض في المجال الفقهي والأدبي وحتى التاريخي والنادرة في مجال علاقته مع السلطة والرعية، مع التلخيص وعدم الخوض في النقاط الدقيقة منها، كما واجهتنا صعوبة أخرى وتمثلت في تحليل مصادر القاضي عياض وترجمة أفكاره وإخراجها ووضعها في سياقها الصحيح.

## الفصل الأول: التعريف بالقاضي عياض

### أولاً: نشأة القاضي عياض

1. اسمه ونسبه وأسرته
2. سبته وتكوينه العلمي
3. طلب العلم بين الرحلة والإجازة

### ثانياً: آثار القاضي عياض بين التصنيف والتدريس

1. مصنفات القاضي عياض
2. القاضي عياض الأديب
3. القاضي عياض والمشيخة

### ثالثاً: المذهب والعقيدة

1. القاضي عياض والمذهب المالكي
2. القاضي عياض والمذهب الأشعري
3. القاضي عياض والتصوف

يعد القاضي عياض من كبار العلماء المشهورين الذين استفاضت المعرفة بعلمهم، اشتهار ذكركم، وسمو مكانتهم، بلغت شهرته آفاق بلاد المغرب والمشرق، عرف بأنه أشهر علماء بلاد المغرب على الإطلاق، بالكاد يدانيه في ذلك أحد منهم، حتى قيل إنه لولاه لما عرف المغرب<sup>1</sup>.

يقول المقري ردا على رسالة طلب منه فيها التعريف بالقاضي عياض: "وكان من جملة فصولها، وفروع أصولها، طلب التعريف والإلمام، ببعض أحوال الشيخ الإمام، قاضي الأئمة وعلم الأعلام، عمدة أرباب المحابر والأقلام، ومفخر علماء الإسلام، ذي الفضائل التي استقلت رسومها، فلم تحتج إلى إعمال الأعلام، والمحاسن التي بهرت أقمارا وشموسا، سيدي أبي الفضل عياض ابن موسى، الشهير الصيت في كل قطر، صب الله على مثواه من الرحمات شأبيب القطر:

فهو الإمام الذي سارت مآثره      في الشرق والغرب سير الشمس والقمر  
وكم له من تأليف قد اشتهرت      بكل قطر فسئل تُنبئك عن خبر

فقلت: "مالي بهذا الأمر يدان، ولو أيدني كل قاص ودان، وماذا عسى أن أصف من جلاله يتهلل بشرها، وجزالة يتضوع نشرها، وبلاغة نبذ بلاغة سبحان، وبراعة تقاعس عن رتبها الشيب والشبان، وعلم أظهر غوامض الحقائق وأبان، وحلم أرسخ من رضوى وأبان، ومحاسن، ماؤها غير آسن، وحلى حازت مراتب العلى، ومصنفات مقرطات مشنفات، أعلق لا تعدلها الأثمان ولا تشد على مثلها الأيمان"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، دمشق، دار القلم، ص 27.

<sup>2</sup> - شهاب الدين المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939 م، ج 1، ص 11-12.



وهنا يؤكد المقرري أنه مهما أوتي الإنسان من البلاغة وملكة التعبير، فإنه لا يستطيع أن يصف مكانة وعلم القاضي عياض، لهذا سنحاول في هذا الفصل أن نستقصي دقائق حياة القاضي عياض الشخصية والعلمية.

### أولاً: نشأة القاضي عياض

ويتضمن هذا الجزء على أهم الجوانب المتعلقة بشخصية القاضي عياض، من حيث الاسم، النسب، الكنية، المولد، الموطن، التكوين العلمي.

#### 1. اسمه ونسبه وأسرته:

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، السبتي<sup>1</sup>.

---

1 - ذكر أبو عبد الله محمد لما سأل عن أبيه: " أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي وكان أبي رحمة الله عليه يقول: لا أدري هل محمد والد عياض أم بينهما رجل هو جده"، ويروي المقرري عن الشيخ أبي القاسم بن الملجوم أن القاضي عياض عندما اجتاز عليهم مدينة فاس بعد انصرافه من سبتة قاصدا مراكش سأله عن نسبه فأخبره: "إنما أحفظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض، وأحفظ أيضا بعد ذلك: محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض و لا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عياض أو بينهما أحد"، وجاء عند ابن الأبار و الذهبي عمرو خلاف عمرو، وتم إسقاط عبد الله من نسب عياض عند ابن الأبار والذهبي وهو تحريف وخطأ، كما أسقط ابن خلكان في تاريخه المسمى "وفيات الأعيان" من تعداد آباء القاضي عياض "عمرون" فيما بين عياض وموسى، وعبد الله "فيما بين محمد وموسى ولا يدري أهو تحريف أم وهم، وقد وافقه على إسقاط "عبد الله" الشيخ ابن خاتمة في مؤلفه "مزية المرية"، وما ذكره ابن القاضي عياض محمد عن اسم أبيه هو الصحيح، وهو نفس ما رواه المقرري عن تلميذه ابن ملجوم، وقد اعتمده كثيرا ممن ترجم للقاضي عياض، أمثال شمس الدين الداوودي، ولسان الدين ابن الخطيب، انظر ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة دار التراث، ص 46. محمد ابن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريف، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص 2. شهاب الدين المقرري: المصدر السابق، ص 23-24. الحسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 27. ابن الأبار: المعجم في أصحاب الامام علي الصديقي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، القاهرة، دار الكتاب المصري، ص 301، الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985 م، ج 20، ص 213، ابن خلكان: وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ج 3، ص 483، شمس الدين الداوودي: طبقات المفسرين، مراجعة لجنة من العلماء، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983 م، ج 2، ص

واليحصبى كما ذكر المقرئ بضم الصاد وكسرها، زاد بعضهم فتحها ونحوه لابن خلكان، واقتصر بعضهم على الكسر، قائلًا: وهو الصواب بناء على أنها القبيلة، ويحصب نسبة إلى حمير، وهو يحصب بن مدرك كما هو مذكور في كتب الأنساب<sup>1</sup>، وعند ابن خلكان هو يحصب بن مالك<sup>2</sup>، وهو ما أكده ابن الأثير في مصنفه اللباب في تهذيب الأنساب بقوله: "اليحصبى بفتح الياء وسكون الحاء وكسر الصاد المهملة وقيل بضمها، وكسر الباء الموحدة، هذه النسبة إلى يحصب، وهي قبيلة من حمير، وهو يحصب بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن غوث، وينسب إليها خلق كثير"<sup>3</sup>، ويحصب أخو ذي أصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتهي إليه نسب مالك بن أنس الصبحي<sup>4</sup>، وأكثر أهل قبيلة يحصب نزلوا إلى الشام كما ذكرت المصادر، ثم تفرقوا ما بين حمص ومصر وفاس أولاً، ثم الأندلس بعد فتحها<sup>5</sup> وبهم سميت قلعة يحصب المعروفة بالأندلس<sup>6</sup>، بعدها انتقلوا إلى مدينة فاس، وذكر محمد ابن القاضي عياض أن لهم استقراراً بالقيروان ولكن لا يدري أبعد استقرارهم في الأندلس أو قبل<sup>7</sup>.

21، لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط 1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977 م، مج 4، ص 222.

1- المقرئ: المصدر السابق، ص 27.

2- ابن خلكان: المصدر السابق، ص 485.

3- ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد، مكتبة المثنى، ص 407.

4- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب السالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط 2، المملكة المغربية، 1983 م، ج 1، ص ج.

5- القاضي عياض: اكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل، ط 1، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998 م، ج 1، ص 20.

6- البشير علي محمد الترابي: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 1997 م، ص 67.

7- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 2.

والمسبتي نسبة إلى مدينة سبتة<sup>1</sup>، وهي المدينة التي ولد بها القاضي عياض، ونشأ وقضى حياته فيها، كما أشارت إليه المصادر، وعرف لدى المؤرخين.

ولم يعرف إلا بكنية واحدة وهي: **أبو الفضل**<sup>2</sup>، وهي كنية كثير من العلماء، ولعله كني بها لما لها من مطابقة لحاله، أو تيمنا بشيخ شيخه أبي الفضل الباقلائي<sup>3</sup>، أما ألقابه فقد حلتها المصادر بجملة من الألقاب منها: الشيخ، الإمام، المحدث، الحافظ، الفقيه، العالم، الزاهد، الخطيب، المصنف، الأصولي، علامة المغرب، وكان أشهرها لقب "القاضي" الذي صار ملازما لا ينفك عن اسمه<sup>4</sup>.

وارتبطت مكانة القاضي عياض الاجتماعية بأسرته التي كان لها دور كبير من حظ شرف النسب والحسب، العلم والصلاح<sup>5</sup>، فكان جده عمرون رجلا فاضلا صالحا من أهل القرآن، غزا مع ابن أبي عامر غزوات كثيرة و حج إحدى عشرة حجة<sup>6</sup>، انتقل سنة 373 هـ

<sup>1</sup> - المقري: المصدر السابق، ص 29.

وسبتة مدينة مشهورة تقع بساحل بحر الزقاق، اختلف في أصل تسميتها، فقيل مشتق من الاسم الروماني septem fractres الذي كانت تتعت به مجموع المرتفعات التي يتكون بها جبل موسى والتلال المجاورة والممتدة على طول المضيق، وقيل لانقطاعها في البحر، ومنهم من قال نسبة لمختطها سبت بن سام بن نوح، منهم لسان الدين الخطيب الذي قال:

حبيبت يا مختط سبتة سبت بن نوح بكل مزن يفندي أو يروح

أنظر مجموعة مؤلفين: معلمة المغرب، المغرب، مطابع سلا، 2003 م، ج 14، ص 4843، المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ص 29.

<sup>2</sup> - ابن شكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الابياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ج 2، ص 660.

<sup>3</sup> - محمد مجلي ربابعة: جهود القاضي عياض في التفسير، ط 1، الأردن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2010 م، ص 21.

هو أبو الفضل البقلاني الشيخ الصالح المحدث أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خدادادا الباقلائي، البغدادي، قال عنه ابن ناصر: كان كثير البكاء من خشية الله، عاش ثمانون سنة أو أزيد، ت 500 هـ. أنظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984 م، ج 19، ص 235-236.

<sup>4</sup> - الحسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 33-34.

<sup>5</sup> - حسن الوراكلي: شيوخ العلم وكتب التدريس في سبتة، ط 1، تطوان، مطبعة النور، 1984 م، ص 32.

<sup>6</sup> - لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 222.

من فاس إلى سبتة<sup>1</sup>، أين اشترى بها أرض معروفة باسم المنارة، بنى فيها مسجدا ودارا، والجزء المتبقي منها جعله وقفا لدفن موتى المسلمين، ولازم التعبد في المسجد الذي بناه إلى أن توفي - رحمه الله - سنة 397 هـ<sup>2</sup>، وقبل وفاته ببسبر ولد له ابنه عياض، ثم ولد للعياض ابنه موسى، ثم ولد لموسى ابنه عياض، فيما رأى محمد بخط أبيه في النصف من شعبان سنة 476 هـ<sup>3</sup>، ونقل ذلك ابن شكوال في الصلة<sup>4</sup>، واتفق وأجمع عليه المترجمون للقاضي عياض<sup>5</sup>. ولم يذكر المؤرخون في عداد أهل العلم أحدا من أجداده من جهة الوالد، إلا جده عمرون الذي ذكر أنه كان حافظا للقرآن الكريم<sup>6</sup>، أما من جهة الوالدة، فكان للقاضي عياض صلة بالعلم والرواية، حيث أورد في ترجمة شيخه اللواتي الذي تصدر تعليم القرآن في سبتة، أن خاله أخذاه عنه<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص د.

كان سبب انتقال عمرون جد القاضي عياض، المنصور ابن أبي عامر حاجب الأندلس الذي أخذ رهنا من أعيان مدينة فاس، من بينهم أخواه عيسى والقاسم، فبيت عمرون بيت نباهة بمدينة فاس، مما دفعه للخروج إلى مدينة سبتة ليبقى على صلة من أخبارهما بمدينة قرطبة. أنظر محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 1.

<sup>2</sup> - المقري: المصدر السابق، ص 28.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 3، أنظر:

saif al-marri: kitab al-tanbihat by qādi `iyād `ibn müsa a critical study and annotation of the marriage chapter, submitted to university of wales in fulfilment of the requirements for the degree of doctor of philosophy, university of wales, lampeter, p21, 2000.

<sup>4</sup> - ابن شكوال: المصدر السابق، ص 661.

<sup>5</sup> - ذكر في البداية والنهاية أنه ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة، أنظر أبي الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ط 2، بيروت، مكتبة المعارف، 1977 م، ج 12، ص 225.

<sup>6</sup> - القاضي عياض: المصدر السابق، ص د.

saif al-marri, op cite, p22.

<sup>7</sup> - القاضي عياض: إكمال المعلم في فوائد مسلم، المصدر السابق، ص 20.

أما أسرة القاضي عياض فلم يتم ذكر غير ابنه أبي عبد الله محمد، وأخيه الذي تمت الإشارة إليه فقط، بعد أن تنازل له عياض عن تركة والده لانشغاله بطلب العلم، وابن أخيه أبي عبد الله الزاهد<sup>1</sup>.

## 2. سبته وتكوينه العلمي:

أثنى الباحثون على النشأة الطيبة للقاضي عياض، فمن حيث الأسرة فهو من أسرة فاضلة وغنية، مهتمة بالعبادة والعلم، موجهة إلى الفضائل ومعالي الأمور<sup>2</sup>، نشأ فيها على التعفف والصيانة، مرضي الحال، متأثر الأقوال والأفعال، موصوفا بالنبل والفهم والحدق، طالبا للعلم، حريصا عليه مجتهدا فيه<sup>3</sup>.

ومن حيث البيئة نشأ في حاضرة سبته، التي كانت تشع منها أنوار المعرفة والفكر، وتحتضن من بيوتات العلم ما هو معروف في التاريخ<sup>4</sup>، فكانت جسرا حضاريا بين المغرب والأندلس، وملتقى للعلماء القادمين أو العابرين إليها، بقصد الرحلة أو الإقامة<sup>5</sup>، وأحد المراكز التي نشطت فيها ألوان المعرفة، وازدهرت بها مختلف أصراب الثقافة<sup>6</sup>.

حيث قدر لمدينة سبته أن تلعب دورا رئيسيا في شؤون المغرب الإسلامي، منذ بداية الحكم العربي في المغرب والأندلس، بفضل موقعها الجغرافي الممتاز<sup>7</sup>، الذي أهلها لتكون محط

1- الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 36.

2- نفس المرجع، ص 67.

3- العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من العلام، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، الرباط، المطبعة الملكية، 1997 م، ج 9، ص 348.

4- عبد القادر زمامة: القاضي عياض منهاج العلم وقدوة السلوك، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م، ص 638.

5- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص هـ.

6- حسن الوراكلي: شيوخ العلم وكتب التدريس في سبته، المرجع السابق، ص 9.

7- أمين توفيق: دراسات في تاريخ سبته الإسلامية، تونس، دار القلم، 1989 م، ص 20.

الرجال ومقصدهم طوال الفترة التي حكم فيها المسلمون شبه الجزيرة الإيبيرية<sup>1</sup>، وجعلها فضاء سياسي، ثقافي، تجاري، ميزها على مستوى البحر المتوسط، أين شكلت نقطة التقاء للتجار، وجذب للعلماء، ومن خلال ذلك تكون فيها جيلا من العلماء تشبع من تيارات ثقافية مغربية ومشرقية، كان لها الأثر في تكوينهم و إنتاجاتهم الفكرية المتنوعة<sup>2</sup>، فكان منهم رجال أعلام برزوا وتفوقوا في العلم، وتبوؤوا مكانة عالية في السياسة والرياسة، وبينوا المدى الذي بلغت إليه هذه المدينة من رقي وتقدم، وما سما في ربوعها من نوابغ العلم والعرفان منهم: الشريف السبتي شارح مقصورة حازم، عبد المهيمن الحضرمي صاحب القلم الأعلى، ومالك بن المرحل الشاعر، والشريف الإدريسي صاحب الجغرافية<sup>3</sup>...

وكان في طليعتهم القاضي عياض، الذي ترعرع في هذه المدينة على طلب العلم والمعرفة، مجد فيه، كثير المطالعة، لا ينفصل عن كتبه، معظما عند الأشياخ من أهل العلم، حريصا على اقتناص الفرص من اتصال بشيوخ سبته والوافدين عليها من المغرب والأندلس، كثير الحضور إلى مجالسهم، يجمع ويستوعب علوم العصر من لغة، نحو، أدب، تفسير، أصول، عقائد... وغيرها<sup>4</sup>، حتى أبدع فيها وتفوق، فاستقصى أطرافها وأدرك أصولها وفروعها، فبلغ منها منزلة رفيعة، يشار إليه بالبنان، ويرمى بالأبصار، مما كان له الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية وتنوع منابعها، وثناء حصيلتها<sup>5</sup>.

ففي سبته حفظ كتاب الله بالقراءات السبع، وقرأ اللغة العربية، متنها وأدبها، ودرس قواعدها، كما درس أصول الفقه، أصول الدين، علم الكلام، وبها أيضا أخذ علم الحديث، متته

<sup>1</sup> محمد ابن القاسم الانصاري: اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط

<sup>2</sup> الرباط، 1983 م، ص 5.

<sup>3</sup> مجموعة مؤلفين: المرجع السابق، ص 45-48.

<sup>4</sup> محمد بن القاسم الانصاري: نفس المصدر، ص 5.

<sup>5</sup> محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4-5، عبد القادر زمام: المرجع السابق، ص 639.

<sup>6</sup> الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 42.

وغريبه، رجاله ومصطلحه، عن أعلامها ومحدثيها<sup>1</sup>، وهو ما أكده الملاحى في وصفه للعياض بقوله: "أحكم قراءة كتاب الله تعالى بالسبع، وبلغ من معرفته الطول والعرض، وبرز في علم الحديث، وحمل راية الرأي ورأس الأصول، وحفظ أسماء الرجال، وثقّب في علم النحو، وقيد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء، وأنجاء العلماء، وأغراض الأدباء"<sup>2</sup>.

وفيها طالع أمهات الكتب على اختلاف موضوعاتها<sup>3</sup>، منها: الموطأ للإمام مالك، والمسند الصحيح للبخاري، إصلاح الغلط على أبي عبيد لأبي محمد ابن قتيبة، غريب الحديث لأبي سليمان أحمد بن محمد السبتي، الطبقات لمسلم بن الحجاج، الجامع لأبي عيسى الترمذي، رياضة المتعلمين لأبي نعيم الأصبهاني<sup>4</sup>.

كما أخذ عن كثير من شيوخها أمثال: القاضي أبو عبد الله بن عيسى، الخطيب أبي القاسم، الفقيه أبي إسحاق بن الفاسي<sup>5</sup>، أبا عمران بن أبي تليد، أبي بكر ابن عطية، ابن العربي<sup>6</sup>، وغيرهم من شيوخه الذين لازمهم في سبته.

### 3. طلب العلم بين الرحلة والإجازة

#### أ. الرحلة:

لما نهل القاضي عياض من علوم بلده، بعد أن أخذ عن أكابر شيوخها من علماء وفقهاء، وبرع في جملة من علوم الشريعة، وصار عالماً مشهوراً تجلّى فضله فيها، تأقت

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص و.

<sup>2</sup> - المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ج 3، ص 7.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: نفس المصدر، ص و.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص 29، 32، 39، 40، 132.

<sup>5</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 6.

<sup>6</sup> - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، إعتناء إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ص 798.

نفسه للرحلة إلى الأندلس، للاستزادة من السّماع والرّواية، وتحصيل ما لم يكن عنده من ذلك.

فكان ارتحاله إليها، أين خرج من سبته في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة، ووصل مستهل جمادى الآخرة قرطبة كما ذكر ابنه محمد<sup>1</sup>، فجد فيها واجتهد قراءة وتحصيل على أئمتها وعلمائها، ممن طبقت شهرتهم الأفاق، ودار على حلقات الكثير منهم: محمد بن علي بن حمدين، أبي محمد ابن عتاب، أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج<sup>2</sup>.

ثم استأنف رحلته منها إلى مرسية<sup>3</sup>، التي رحل إليها سنة 508 هـ قاصدا الشيخ أبو علي الصدفي<sup>4</sup>، لكنه وجده متخفيا بسبب امتناعه عن القضاء، مما أجبر القاضي عياض على البقاء في مرسية بقية شهر صفر وربيع الأول مرتقبا خروجه، مستغلا ذلك الوقت في مقابلة كتبه بأصول الحافظ أبي علي، إلى أن خرج القاضي الصدفي من اختفائه بعد أن حل عن القضاء، أين جلس عنده القاضي عياض للتسميع، فلازمه وحصل له سماع كثير في مدة يسيرة<sup>5</sup>، ويبدو أنه كان هناك تعظيم وإجلال للقاضي عياض من شيخه أبي علي الصدفي الذي قال له بعد الاجتماع به: "لولا أن الله يسر

1- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 6.

2- أبو الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1983 م، ص 101.

3- مُرْسِيَة: مدينة بالأندلس من أعمال تُمير، اختطها عبد الرحمن ابن عبد الحكم ابن هشام، سماها تُدِير بتدمير الشام، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وبها كان منزل ابن مردنيش الذي انعمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977 م، مج 5، ص 107.

4- هو حسين بن محمد بن فيره ابن حيون بن سكرة، من أهل سرقسطة، سكن مرسية، روى بسرقسطة عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وعن أبي العباس العذري وآخرون، رحل إلى المشرق سنة 481 هـ، فلقى بن علي الطبري، أبا بكر الطرطوشي وغيرهما، كان عالما بالحديث وطرقه، عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته، كتب بيده علما كثيرا وقيده، توفي في وقعة قنتده، سنة 514 هـ. انظر المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج 3، ص 151-153.

5- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 7-8.



خروجي بلطفه لكنك عزمت أن أشعرك بموضع، يقع عليه الاختيار من بلاد الأندلس، لا يؤبه لكوني فيه، ترحل إليه، وأخرج مختفياً إليه بأصولي، فتجد ما ترغب، لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك وإخفاق رغبتك<sup>1</sup>، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة القاضي عياض لدى الصوفي، ومما سمع عليه المؤتلف والصحيحين و المختلف والشهاب للقضاعي، كما أجاز له جميع مروياته<sup>2</sup>.

وبعد مرسية استمرَّ القاضي عياض في رحلته إلى الأندلس، طالبا للعلم، متمسك به، دؤوب عليه، من درس إلى درس، ينتقل بين شيوخها، يلتمس حياة العلوم، مع حذاقة الفهم والملاحظة، وجودة ما رزق من الحافظة<sup>3</sup>، أين لاقى أعلاما عدة وفقهاء ذائعي الصيت، استفاد منهم وأفاد، فمن شرق الأندلس نجده أخذ عن العديد منهم أمثال: ابن الأدر، أبو جعفر بن بشتغير، ومن غربها أجازها القاضي ابن شبرين، أبو علي الجباني<sup>4</sup>، وغيرهم من العلماء الذين قرأ عليهم الحديث وفنونه، الفقه ومتونه، علوم النحو، اللغة، التصوف...

وتمكن القاضي عياض من خلال هذه الرحلة، أن يسمع الحديث من المسندين، ويقرأ ما تيسر من الكتب على المفسرين، وطلب الإجازة بأنواعها، وتعلم مختلف العلوم، لا سيما العلوم الشرعية، فأكمل الطلب وأجاد، ويقول ابنه محمد في ذلك: "بلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم"<sup>5</sup>، كما حقق الغرض من هذه الرحلة، وهو أن يقابل أفكار

1- المقري: المصدر السابق، ص 9، محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 7 - 8.

2- العباس بن إبراهيم السملالي: المرجع السابق، ص 350.

3- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 4.

4- المقري: نفس المصدر، ص 9 - 10.

5- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 4.

الشيخ، فمقابلة الشيخ أتاح له أن يرصد عن كثب مناهجهم، ويرقب طريقة تناولهم للمسائل بالدرس والبحث، ويزنها بما تعلمه من علماء بلده من أسس ومناهج<sup>1</sup>. وقد استغرقت هذه الرحلة أزيد من سنة، من منتصف جمادى الأولى سنة 507 هـ إلى السابع من جمادى الآخرة سنة 508 هـ<sup>2</sup>، أين رجع القاضي عياض إلى بلده، شغلة من النور، وينبوع معطاء من العلم<sup>3</sup>. ويبدو أن رحلته إلى الأندلس لم تكن الرحلة العلمية الوحيدة له، فهناك رحلة إلى فاس ذكرها المقري، وذكر أنه نزل بدار ابن غرديس التغلبي بزقة حجامة، وأنه كان يذهب لجامع القرويين للدرس<sup>4</sup>.

#### ب. الإجازة:

لم يزل الفضلاء من الأئمة والنبهاء من أعلام الأمة يستجيزون الأشياخ الأخيار، عند تعسر الالتقاء وتباعد الديار<sup>5</sup>، منهم القاضي عياض، الذي لم يكتف في طلبه للعلم على العلوم التي وقعت بين يديه، حيث سعى على استجازة أعلام عصره من أعيان المعرفة في الأندلس والمغرب والمشرق ممن أدركهم ولم يتمكن من السفر إليهم، ولاحظ فيهم علما ودراية، خاصة المشاركة منهم، لإتمام تكوينه العلمي، فهو لم يتوان على بعث مراسلات لمشاهير العلم في الشرق والغرب لاستجازهم، بل من العلماء من بادره بالمراسلة والإجازة دون طلب منه، لما أدرك من شهرة، علم وفضل<sup>6</sup>، فنجد ممن أجازته: أبو بكر

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب السالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط 2، المملكة المغربية، 1983 م، ج 1، ص يب.

<sup>2</sup> - حسن الوراكلي: أبو الفضل القاضي عياض السبتي (ثبت بيلوجرافي)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م، ص 12.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: نفس المصدر، ص يج.

<sup>4</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 24، البشير علي حمد الترابي: المرجع السابق، ص 122.

<sup>5</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 171.

<sup>6</sup> - حسين محمد الشواط: المرجع السابق، ص 109.

الطرطوشي، أبي عبد الله المازري، أبو عبد الله بن الخطاب، وغيرهم من أهل إفريقية والحجاز ومصر ممن قبل إجازته<sup>1</sup>.

وليس كل من طلب منه الإجازة من العلماء يجيب بالموافقة، وذلك لاعتبارات كثيرة، فنجد ممن استجازه القاضي عياض ولم يجزه الزمخشري<sup>2</sup> صاحب مصنف الكشاف<sup>3</sup>، وهو أمر لم يصلنا من حيثياته شيء، إلا ما ذكر المقرئ، أن عياض لما بلغه امتناع الزمخشري من إجازته قال: "الحمد لله الذي لم يجعل عليّ يدًا لمبتدع أو فاسق"<sup>4</sup>.

### ثانياً: آثار القاضي عياض بين التصنيف والتدريس

برع القاضي عياض في علوم كثيرة جعلت منه عالماً موسوعياً ذا عارضة قوية في سائر المعارف الإنسانية التي راجت في زمانه، فإذا نظرنا إليه في مجال التصنيف وجدناه مؤلفاً بارعاً، عالي الكعب، طويل الباع، مع اهتمام بالأدب والشعر، وإذا نظرنا إليه في مجال التعليم،

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 9، ابن فرحون المالكي: المصدر السابق، ص 47.  
<sup>2</sup> - هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، ولد سنة 467 هـ، كان واسع العلم كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القرينة، متفناً في كل علم، معتزلياً، قويا في مذهبه، مجاهراً به، حنفياً. انظر المقرئ: نفس المصدر، ص 295.  
<sup>3</sup> - إن كتاب الكشاف من خير الكتب التي رجع إليها التفسير من ناحية البلاغة، رغم نزعة الاعتزالية، وأغلب التفاسير من بعده أخذت منه واعتمدت عليه، وقيمة هذا الكتاب تبرز من خلال علمين مختصين بالقرآن الكريم وهما: علم المعاني وعلم البيان، وبهما برع الزمخشري حتى أصبح سلطان هذا الزمان، لذا طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب، حيث استخرج الزمخشري فيه من القرآن الكريم محاسن النكت، ولطائف المعاني التي يستعمل فيها الفكر لإظهار جمال النظم القرآني، ورونقة الإعجاز منه، من خلال أسرار البلاغة، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن الكريم وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم، لا سيما ما برز فيه من الإمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان، والإعراب والأدب، ولقد أضفى هذا النوع العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين، وهو ما يفسر اهتمام العلماء به على الرغم من مذهبية الزمخشري الاعتزالية. انظر جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق خليل مأمون شياح، ط 3، بيروت، دار المعرفة، 2009 م، ص 12.

<sup>4</sup> - المقرئ: أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج 3، ص 282 - 283.

كان له اليد الطولى في التدريس، فقد كان من العلم بمكان عظيم، فتفنن حتى أنطق الألسنة بالثناء عليه، واشتهر ذكره في الآفاق.

### 1. مصنفات القاضي عياض:

عرف القاضي عياض بجودة تصانيفه، واشتهارها بين الأئمة والعلماء وطلاب العلم، وتوافر الناس عليها، ونهلهم منها، وكثرة نقولهم عنها، وروايتهم لها، فكانت محل رضا وقبول قديما وحديثا، ما يزالون يفيدون منها الشيء الكثير، حتى كثر مدح العلماء لها<sup>1</sup>، ومن أمثلة ذلك:

قال ابنه: "مليح القلم من أكتب أهل زمانه"<sup>2</sup>.

: "كثير التواليف المستحسنة البارعة في أنواع العلوم"<sup>3</sup>.

قال الفقيه محمد بن حمادة السبتي: "لم يكن أحد بسبته في عصره أكثر من تواليفه"<sup>4</sup>.

قال الذهبي: "استبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان"<sup>5</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: "صاحب المصنفات الكثيرة المفيدة"<sup>6</sup>.

وقد بلغ مجموع المؤلفات المنسوبة للقاضي عياض الثلاثين أو تزيد، وصل منها إلينا القليل<sup>7</sup>، ذكر ابنه محمد منها تسعة عشر<sup>8</sup>، كانت كلها جليلة ومفيدة، بل البعض منها لم يسبقه

1- انظر: الحسين بن محمد بن الشواط: المرجع السابق، ص 209.

2- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4.

3- نفس المصدر، ص 5.

4- شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الارنؤوط وغيره، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م،

ج 20، ص 214.

5- شمس الدين محمد الذهبي: المصدر السابق، ص 214.

6- أبو الفداء ابن كثير: البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، 1991 م، ج 12، ص 225.

7- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 1، ص كا.

8- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 116 - 118.

أحد في مثلها، ولم يكن لها نظير<sup>1</sup>، مقسمة بين الحديث الشريف، الفقه، العقيدة، التاريخ والطبقات... وهي:

- **مشارك الأنوار على صحاح الآثار**: أجود كتب القاضي عياض في شرح الحديث، وأكثرها دلالة على علو كعبه وعظم مكانته في فنون الرواية<sup>2</sup>، شمل موضوعه تقويم الأصول الثلاثة لأمهات صحاح الآثار (الموطأ للإمام مالك، المسند الصحيح للإمام مسلم، والجامع الصحيح للإمام البخاري)<sup>3</sup>، مع شرح ما في هذه الأصول من غريب، والتتبيه على مواضع التصحيفات والأوهام لبعض روايات هذه الأصول<sup>4</sup>، وضبط الكنى والأنساب، وأسماء الأماكن والبلدان<sup>5</sup>.

اعتبر من أجود الدواوين وأنفعها، عظيم الفائدة، لو كتب بالذهب أو وزن بالجواهر لكان يسير عليه، كان في ستة أجزاء، قيل إن عياض توفي ولم يخرج من مبيضته، وأن الحافظ أبا عبد الله محمد بن سعيد الطراز<sup>6</sup>، هو من أخرجه بعد وفاته<sup>7</sup>، مدحه الكثير، منه ما قاله:

---

<sup>1</sup>- عبد الله كنون: القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، الرباط، وزارة الشؤون الدينية، العدد 3، 1981 م، ص 14.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: الالمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق أحمد صقر، ط 1، القاهرة، دار التراث، 1970 م، ص 10.

<sup>3</sup>- عائشة عبد الرحمان: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 59.

<sup>4</sup>- البشير علي محمد الترابي: المرجع السابق، ص 153.

<sup>5</sup>- الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 221.

<sup>6</sup>- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي الانصاري، المعروف بالطراز، العالم المحدث ت 645 هـ. أنظر للمقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المملكة المغربية، صندوق إحياء التراث، ج 4، هامش ص 343.

<sup>7</sup>- المقري، نفس المصدر، ج 4، ص 342-343، شمس الدين الداودي: طبقات المفسرين، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983، ج 2، ص 23، محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 117.

أحد الصلحاء: "لا أحتاج في كتب الحديث إلا للمشارك، فإذا كان عندي لا أبالي بما فقد منها"<sup>1</sup>

والحافظ ابن صلاح الذي أثنى عليه<sup>2</sup> قائلاً:

مَشَارِقَ أَنْوَارٍ تَبَدَّتْ بِسَبْتَةٍ      وَمَنْ عَجَبَ كَوْنِ الْمَشَارِقِ بِالْعَرَبِ<sup>3</sup>

محمد ابن عبد الملك المراكشي الذي أنشد:

تُنَادِي بِأَنْوَارِ الْمَشَارِقِ نَحْوَةً      بِمَطْلَعِهَا فِي الْعَرَبِ يَا شَرْقِ عَرَبِيٍّ<sup>4</sup>

وما أنشده الفقيه الأديب علي بن أحمد الشامي:

جَزَى اللَّهُ عَنَا كُلَّ خَيْرٍ وَمِنَّةٍ      عِيَاضًا بِمَا أَبَدَى لَنَا مِنْ مَشَارِقِ

بِهِ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْعَرِيبِ بَعْرِينَا      فَدَانَتْ لَهُ تَعْنُو شَمُوسُ الْمَشَارِقِ<sup>5</sup>

- إكمال المعلم في شرح مسلم: هو مصنف أتم به القاضي عياض شرح شيخه الإمام المازري<sup>6</sup> لصحيح الإمام مسلم بن الحجاج، سماه بالمعلم بفوائد مسلم<sup>7</sup>، إقراراً بفضل

<sup>1</sup>- مصطفى الشكعة: المغرب والاندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، ط1، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1987م، ص 136.

<sup>2</sup>- الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 223.

<sup>3</sup>- لسان الدين الخطيب: المرجع سابق، ج 4، ص 228.

<sup>4</sup>- العباس بن إبراهيم السملالي: المرجع السابق، ص 381.

<sup>5</sup>- المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 345.

<sup>6</sup>- هو محمد بن علي بن عمر النميري المازري، أصله من مازر بجزيرة صقلية، درس الفقه وأصوله، لم يكن في المالكية أفقه منه ولا أقوم لمذهبهم، سمع الحديث، وأتقن الطب، وطالع علوم كثيرة، كان من غرائب دهره، سكن المهديّة بتونس.

انظر البشير علي محمد الترابي: المرجع السابق، ص 252 - 253.

<sup>7</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 1، ص كب.

السبق للإمام المازري، واعتبر من المصنفات التي أفضل بها القاضي عياض على علماء الحديث<sup>1</sup>.

ولم يكن المعلم بفوائد مسلم تأليف استجمع له مؤلفه، بل هو تعليق لما تضبطه الطلبة من مجالسه<sup>2</sup>، جعله في تسعة وعشرين جزءاً<sup>3</sup>، قال فيه العالم مالك بن المرحل:

مَنْ قَرَأَ الْإِكْمَالَ كَانَ كَامِلًا      فِي عِلْمِهِ فَزَيْنَ الْمَحَافِلَا  
وَكُنْتُبَ الْعِلْمَ كُنُوزًا أَنَّهَا      نُفَيْدٌ قَلْبًا عَاجِلًا وَأَجَلًا<sup>4</sup>

- **بغية الرائد لما تضمنه حديث أم الزرع من فوائد:** المصنف هو تفسير لحديث أم الزرع، تناول القاضي عياض فيه الحديث بجميع رواياته وأسانيده، منبها على تخالف الرواة في الألفاظ<sup>5</sup>، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ باسم "شرح حديث أم الزرع"، أما ابنه محمد وابن فرحون فقد ذكراه باسم "بغية الرائد لما تضمنه حديث أم الزرع من فوائد"<sup>6</sup>، أما في النسخة الزيدية فكان باسم "بغية الرائد فيما في حديث أم الزرع من فوائد".  
والمصنف مشحون بالفوائد الفقهية والحديثية، إضافة إلى الفوائد اللغوية والأدبية<sup>7</sup>، اعتبر أوفى شروح الحديث، وأغزرها مادة<sup>8</sup>، وهو ما أكده ابن حجر بتتويجه أن الكثير من العلماء أفرد الحديث بالتأليف لكن مصنف عياض كان أجمعها وأوسعها<sup>9</sup>.

1- عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 15.

2- القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ص 72.

3- محمد أبو عبد الله: المصدر السابق، ص 116.

4- المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 346.

5- الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 214.

6- القاضي عياض: بغية الرائد، المصدر السابق، ص هـ.

7- عبد الله كنون: القاضي عياض أدبيا، مجلة المناهل، المصدر السابق، ص 49.

8- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص كج.

9- القاضي عياض: بغية الرائد لما في حديث أم الزرع من فوائد، تحقيق: صلاح الدين بن أحمد الادلبي وآخرون، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1975 م، ص د.

- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: اعتبر من أقدم مصنفات مصطلح الحديث، خاصة في الرواية والحديث وضبطه، فهو أول مصنف في المغرب يؤلف في هذا الموضوع، وجاء بعد كتب الخطيب البغدادي في الترتيب التاريخي<sup>1</sup>، ذكر عياض في مقدمته أنه جمع فيه نكتا غريبة من مقدمات علم الأثر وأصوله، وفصول مهمة في عظم شأن الحديث وشرف أهله، مع وجوب السماع والأداء، وتحري الضبط والاتقان، كما ذكر محقق الكتاب أنه الكتاب الوحيد الذي ألفه عياض في علوم الحديث<sup>2</sup>، وجاء في سفر<sup>3</sup>.

واعتبر الإلماع من المصنفات التي كثر الاعتماد عليه من طرف المتكلمين في مصطلح الحديث<sup>4</sup>، أشهرهم الحافظ ابن صلاح، السيوطي، السخاوي، وغيرهم<sup>5</sup>، كما مدح من قبل الكثير نذكر:

ما قال فيه الدكتور أسد رستم: "على الرغم من مرور سبعة قرون عليه على تأليفه، فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ لا في أوروبا ولا في أمريكا أن يكتبوا أحسن منه، وأن ما جاء فيه من مظاهر الدقة والتفكير والاستنتاج في باب تحري الرواية والمجيء باللفظ يضاهاي أدق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الأفرنج في ألمانيا وفرنسا وأمريكا وإنجلترا"<sup>6</sup>.  
وما أنشد ابن جابر فيه:

<sup>1</sup>- البشير علي حمد الترابي: المرجع السابق، ص 156.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 21.

<sup>3</sup>- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 347.

<sup>4</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص كب.

<sup>5</sup>- الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 216.

<sup>6</sup>- عبد الله كنون: القاضي عياض، ندوة الحق، المرجع السابق، ص 15 - 16.



يَا طَالِبَا عِلْمِ الْحَدِيثِ وَحَمَلِهِ  
تَبَيَّنَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِعِيَاضٍ فِي  
اللَّهِ يَرْحَمُهُ وَيُجْزِلُ أَجْرَهُ  
جَمَعَ الرَّوَايَةَ وَالذَّرَايَةَ مُتَقَنًا  
أَنْسَى وَأُسْتَازِي وَغَايَةَ بُغْيَتِي  
لِجَمِيعِ مَا يُرَوَى مِنَ الْأَنْوَاعِ  
تَأْلِيْفِهِ الْمَوْصُوفِ بِالْإِلْمَاعِ  
فَلَقَدْ أَتَى فِي غَايَةِ الْإِبْدَاعِ  
بِالصُّبْطِ بِالْإِبْصَارِ وَالْإِسْمَاعِ  
وَمُذَكِّرِي فِي الْخَلْفِ وَالْإِجْمَاعِ<sup>1</sup>

- **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة:** مصنف لشرح معاني المدونة التي تعتبر بعد الموطأ مصدرا أساسيا من مصادر المالكية<sup>2</sup>، ذكره المقرئ باسم "كتاب المستنبطة، في شرح كلمات مشكلة، وألفاظ مغلطة، ما وقع في كتاب المدونة والمختلطة"، وذكر أنه لم يؤلف مثيلا له في فنه، وقد غلب على تسميته في إفريقية وغيرها "التنبيهات"<sup>3</sup>.

اعتبر أفضل ما ألف القاضي عياض في الفقه، يقع في عشرة أجزاء<sup>4</sup>، جمع فيه حل ألفاظ المدونة وضبطها وتحريير المسائل<sup>5</sup>، فكان عليه اعتماد المغاربة في حل مشكلات المدونة، والاهتمام بما فيها من أحاديث وآثار ورجال، مع الجوانب الفقهية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 347.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة، تحقيق: محمد الوثيق، ط1، بيروت، دار الحزم، 2011م، ص 6.

<sup>3</sup> - المقرئ: نفس المصدر، ص 347.

<sup>4</sup> - الترابي: المرجع السابق، ص 158.

<sup>5</sup> - الداوودي: المصدر السابق، ج 2، ص 23.

<sup>6</sup> - الحسين بن محمد الشواط: المرجع السابق، ص 228.

- الإعلام بحدود قواعد الإسلام: وهو كتيب صغير، يفسر قواعد الإسلام، ألفه القاضي عياض في فصول سهلة المأخذ<sup>1</sup>، عرض فيه أركان الإسلام، معالم الدين، قواعده<sup>2</sup>، وهو مصنف مفيد سلس الأسلوب، صنفه بطريقة واضحة وسهلة، قريبة من مدارك الأطفال<sup>3</sup>.

- الشفا في تعريف حقوق المصطفى: مصنف متفرّد في بابهِ، مبتكر في نهجه، ثمين في محتواه<sup>4</sup>، اعتبر أشهر كتب القاضي عياض وأوسعها انتشاراً وأكثرها فائدة، أجلها وأعظمها قدراً<sup>5</sup>، أبدع فيه القاضي عياض كل الإبداع، وذاع صيته في كل العالم الإسلامي، عدّه الكثير من العلماء من خير الكتب في موضوعه<sup>6</sup>، تناول فيه سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مع جوانب عقيدية أصولية فقهية، بلغة بليغة وأسلوب بديع<sup>7</sup>، أكمله عياض في حياته وقرئ عليه، قدره ابنه بستة أجزاء<sup>8</sup>، امتدحه العديد من العلماء نظماً ونثراً نذكر منها:

<sup>1</sup>- الحسين بن محمد الشواط: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في اكمال المعلم بفوائد مسلم، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن عفان، 1993م، ص 160.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: الاعلام بقواعد الإسلام، المصدر السابق، ص 6.

<sup>3</sup>- الترابي: المرجع السابق، ص 161 - 162.

<sup>4</sup>- مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص 136.

<sup>5</sup>- حسين بن محمد الشواط: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في اكمال المعلم، نفس المرجع، ص 155.

<sup>6</sup>- الملا علي القاري الهروي الحنفي: شرح الشفا للقاضي عياض، ضبطه عبد الله محمد الخليلي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، ج 1، ص 3.

<sup>7</sup>- الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 217.

<sup>8</sup>- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، 116.

ما قال فيه ابن فرحون: " لم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه، بل تشوفوا للوقوف إليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، حمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقا وغربا"<sup>1</sup>.

وقال عنه المقرئ في أزهار الرياض: " كتاب الشفا، الذي بلغ فيه الغاية القصوى وكان فيه لضرب الاحسان مرتشفا، وبذا فيه المؤلفين وأربي، وحاز قصب السبق به دونهم وطار صيته شرقا وغربا، وقد لهجت به الخاصة والعامة عجا وعربا"<sup>2</sup>.

وقال الامام الحافظ جمال الدين محمد بن موسى الدؤلبي عنه:

لِلَّهِ ذُو الْفَضْلِ الْمُسَمَّى عِيَاضَ	خَيْرُ إِمَامٍ حَازَ عِلْمًا وَحَاضَ
صَنَّفَ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ الشِّفَا	وَلَمْ يَكُنْ صَنِيعُهُ قَبْلَ مَاضٍ
سَفَرٌ حَوَى لِلْمُصْطَفَى مَا حَوَى	كُلِّ بِمَا فِيهِ مُقَرَّرَاضٍ
حَتَّى غَدَا مُشْتَهَرًا فَضْلِهِ	وَاحْرَزَ الْفَخْرَ الطُّوَالَ الْعُرَاضَ <sup>3</sup>

- الغنية: وهو مصنف وضعه القاضي عياض فهرسة لشيوخه، جمع فيه تراجم مشاهير شيوخه وسماعاته عليهم، يقول في مقدمته: "وأسمي أشياخي الذين أخذت عنهم قراءة وسماعا، ومناولة وإجازة، وممن كتب إلي ممن لم ألقه وذكرت من خبر كل واحد منهم ما يعطي الحال وفقه، بطرف من الاختصار والايجاز بحكم ما أدت إليه الحال من الرحلة والانحياز، وذكرت أثناء ذلك أسماء جلة ممن لقيتهم وجالستهم وذاكرتهم ولم أرو عنهم، أو سمعت منهم اليسير"<sup>4</sup>، ويبدو أن فهرسته لم تشمل كل شيوخه، بل احتوت على مائة شيخ، انتقاهم من مجموع شيوخه الذين أفاد منهم<sup>5</sup>، وقد نوه عياض لسبب تحديده فهرسته بمئة

<sup>1</sup>- ابن فرحون المالكي: المصدر السابق، ص 49.

<sup>2</sup>- المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 271.

<sup>3</sup>- العباس بن إبراهيم السملالي: المرجع السابق، ص 397.

<sup>4</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 25-26.

<sup>5</sup>- الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق،

شيخ بقوله: "هذه مائة ترجمة وقد تركنا جماعة ممن لقيناهم وذاكرناهم وحضرنا مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة ممن لم نحمل عنهم الكتب ولا الحديث اقتصارا على ما ذكرناه"<sup>1</sup>، قال فيها المقرئ:

عُنِيَةُ الْقَاضِي عِيَاضُ      عُنِيَةُ عَمَّا سِوَاهَا

حُلَّةٌ مَشِيَّةٌ بَلِّ      رَوْضَةٌ طَابَ جِنَاهَا

جَمَعَتْ أَعْلَامَ عِلْمٍ      قَدَّرُهُمْ مَا إِنَّ يَضَاهِي

وَحَكَّتْ أَخْبَارَ قَوْمٍ      عَنْهُمْ الْعَدْنُ رَوَاهَا

وَكَفَّاهَا بِإِنِّ رُشْدٍ      شَرَفًا زَادَ سَنَاهَا

كَمْ بِهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ      مُبْهِجَاتٍ مَنْ رَأَاهَا

فَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ      رَحْمَةً لَا تَنْتَاهِي<sup>2</sup>

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مالك: وهو مصنف في طبقات المالكية، ضمن أكثر من ألف وخمسمائة ترجمة لفقهاء المالكية من شرق العالم الإسلامي وغربه<sup>3</sup>، جمع فيه القاضي عياض بين طريقة المترجمين وطريقة المحدثين في علم الرجال<sup>4</sup>، كتبه عياض في خمسة أسفار، ولم يسبق إليه<sup>5</sup>، ذكره السيوطي باسم

<sup>1</sup>- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 227.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 10.

<sup>3</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 1، ص 97.

<sup>4</sup>- التراخي: المرجع السابق، ص 157.

<sup>5</sup>- المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 348.

"طبقات المالكية"<sup>1</sup>، احتوى على معلومات ومعارف مفيدة في التاريخ، العقيدة، الأصول، الفقه، التصوف، الأدب، الشعر، وغيرها<sup>2</sup>.

- أجوبته على ما نزل أيام قضائه من نوازل: ورد ذكره في الديباج المذهب لابن فرحون، وفي أزهار الرياض للمقري<sup>3</sup>، وهي أجوبة عن أسئلة في أيام قضائه، تركها عياض مع أسئلتها في بطائق، فقام ابنه محمد بجمعها وأضاف لها شيئاً من عنده، وسماها "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"<sup>4</sup>، تميزت بتمثيلها الفتوى في الغرب الإسلامي في عصر القاضي عياض، اشتملت على خمسين باباً في الفقه نذكر منها: الدعوي، الإيمان، الأفضية، الشهادات، الجنائيات، الأحباس، الهبات، الوصايا...<sup>5</sup>

- أجوبة القرطبيين: أورده ابن فرحون في الديباج<sup>6</sup>، والمقري في أزهار الرياض<sup>7</sup>، وذكر ابنه أنه رآه بخط يد القاضي عياض بهذا الاسم<sup>8</sup>، وهو من خلال عنوانه، عبارة عن إجابات أجاب فيها عياض على أسئلة وردت إليه من القرطبيين، والمصنف من مصنفات القاضي عياض المفقودة<sup>9</sup>.

1- مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص 139.

2- الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 225.

3- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 50، المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المملكة المغربية، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 1980م، ج 5، ص 6 - 7.

4- الترابي: نفس المرجع، ص 163.

5- القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بن شريفة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 13.

6- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 50.

7- المقري: المصدر السابق، ج 5، ص 6.

8- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 118.

9- الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 227.

- الأجوبة المحيرة عن المسائل المتخيرة: هو من المصنفات المفقودة للقاضي عياض، ذكر ابنه أنه وجد منه اليسير<sup>1</sup>، ويبدو أنه من المصنفات التي لم يتمها<sup>2</sup>.
- اختصار كتاب شرف المصطفى: تناول فيه بالاختصار المفيد كتاب شرف المصطفى لعبد الملك بن محمد النيسابوري، شاع عنه، ورواه الناس<sup>3</sup>.
- مطامح الافهام في شرح الأحكام: مفقود<sup>4</sup>.
- مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور: وهو مفقود.
- نظم البرهان على صحة جزم الآذان: ذكر ابنه أنه في جزء، وأنه من المصنفات التي تركها في مبيضته<sup>5</sup>.
- المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان: ذكره ابنه وابن فرحون، وهو من المصنفات الغير المكتملة والمفقودة<sup>6</sup>.
- المعجم في شيوخ ابن سكرة: كان في سفر.
- كتاب سر السراة في آداب القضاة: ذكر ابنه أنه رآه بترجمة يده، ولم يعثر من هذا الكتاب شيء، ولم يقف له على خبر، ويبدو أنه فقد<sup>7</sup>.
- الفنون الستة في أخبار سبته: مفقود.
- أخبار القرطبيين: مفقود<sup>8</sup>.
- تاريخ المرابطين: مفقود.

<sup>1</sup>- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 118.

<sup>2</sup>- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 49 - 51.

<sup>3</sup>- الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 217.

<sup>4</sup>- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، ج 1، ص 805.

<sup>5</sup>- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 117.

<sup>6</sup>- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 117، ابن فرحون: نفس المصدر، ص 49.

<sup>7</sup>- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 117 - 118.

<sup>8</sup>- البغدادي: المصدر السابق، ص 805.

- **جامع التاريخ:** جمع فيه أخبار سبته وفقهائها وقضاتها، مع أخبار الملوك في المغرب والأندلس، وهو مفقود<sup>1</sup>.
  - **مطامح الأفهام في شرح الاحكام:** مفقود.
  - **السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول:** وهو مفقود<sup>2</sup>.
  - **العقيدة:** تناول فيه القاضي عياض مباحث أصول العقيدة ومتعلقاتها، ذكر الباحث حسين بن الشواط أنه توجد نسخة مع شرح له بالقول في دار الكتب المصرية، لم يتم تحقيقها بعد<sup>3</sup>، وذكر محقق ترتيب المدارك أنه هو نفسه كتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام<sup>4</sup>.
  - **سؤالات وترسيل:** ذكر المقرئ أنه في نحو أربعة أسفار.
  - **غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدر والترسيل:** مفقود.
  - **كتاب خطبه:** وهو في سفر، مفقود<sup>5</sup>.
  - **غريب الشهاب:** وهو شرح لغريب ألفاظ الحديث، مفقود<sup>6</sup>.
- وهذه هي مصنفات القاضي عياض التي تم ذكرها في المصادر، وأثرى بها القاضي عياض المكتبة الإسلامية، وسنحاول من خلال هذا الجدول تقسيمها حسب الفنون التابعة لها:

<sup>1</sup>- المقرئ: المصدر السابق، ج 5، ص 5 - 6.

<sup>2</sup>- البغدادي: نفس المصدر، ص 805.

<sup>3</sup>- الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث والفقهاء (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 231.

<sup>4</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص كه.

<sup>5</sup>- محمد: المصدر السابق، ص 117، المقرئ: نفس المصدر، ج 5، ص 5.

<sup>6</sup>- البغدادي: نفس المصدر، ص 805.

جدول رقم (1): عدد مصنفات القاضي عياض في مختلف الفنون

التاريخ	العقيدة	الادب واللغة	السيرة والتراجم	الفقه	الحديث	التخصص
					+	مشارك الأنوار على صحاح الآثار
					+	اكمال المعلم بفوائد مسلم
					+	بغية الرائد بما في حديث أم الزرع من الفوائد
					+	الالماح في ضبط الرواية وتقييد السماع
				+		التبنيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة المختلطة
				+		الاعلام بحدود قواد الإسلام
			+			الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
			+			اختصار كتاب شرف المصطفى
			+			الغنية
			+			ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك
			+			المعجم في شيوخ ابن سكرة الصديقي
				+		أجوبته عما نزل أيام قضائه من نوازل الأحكام
				+		أجوبة القرطبيين
				+		الأجوبة المحيرة على الأسئلة المتخيرة
				+		مطامح الافهام في شرح الاحكام
				+		مسألة الأهل المشترك بينهم التزاور
				+		نظم البرهان على صحة جزم الأذان
				+		المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان
				+		سرة السراة في أدب القضاة
+						الفنون الستة في أخبار سبته
		+				أخبار القرطبيين
+						تاريخ المرابطين
+						جامع التاريخ
	+					السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول
	+					العقيدة
		+				سؤالات وترسيلات
		+				غنية الكاتب وبغية الطالب
		+				مصنف خطبه
					+	غريب الشهاب
3	2	4	5	10	5	المجموع

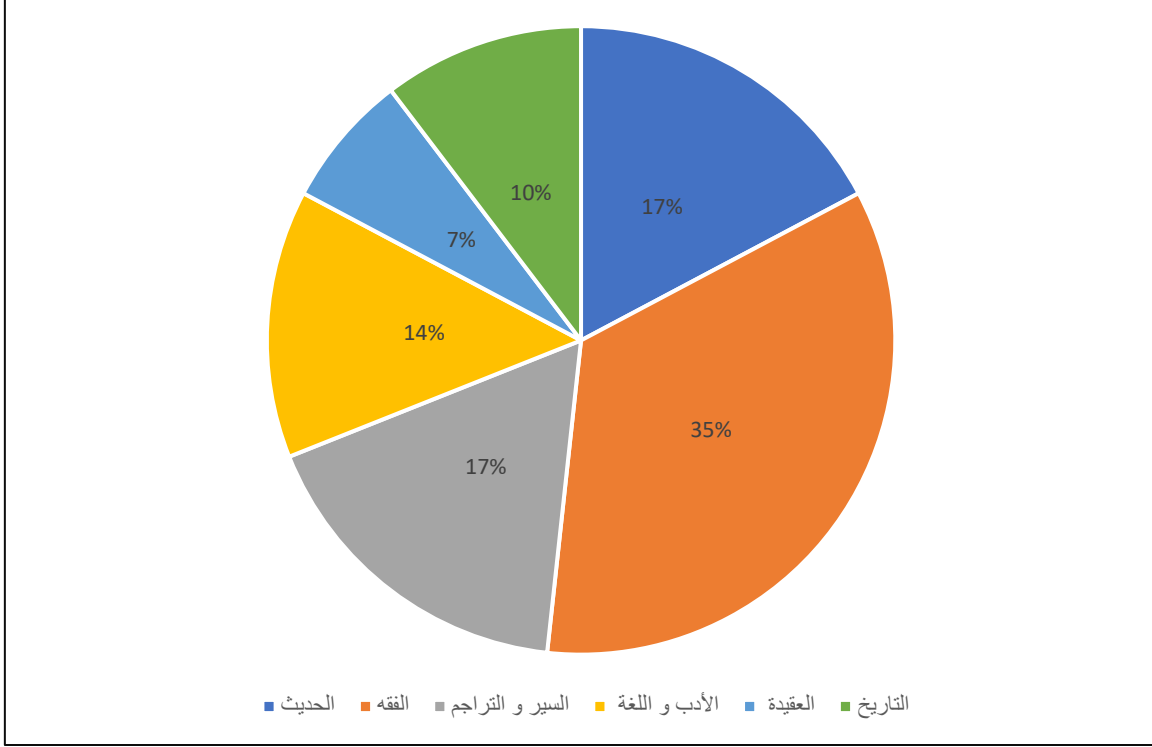
المصدر: من إنجاز الباحثة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - تم إنجاز الجدول بالاعتماد على المصادر والمراجع التالية: محمد: التعريف بالقاضي عياض، المقرري: أزهار الرياض، ج4، حسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ومصنف الترابي: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية.



ومن خلال نتائج الجدول نتحصل على الشكل التالي:

الشكل (1): الدائرة النسبية لمصنفات القاضي عياض حسب كل فن



المصدر: من إنجاز الباحثة

التعليق:

من خلال شكل الدائرة النسبية نلاحظ أن مصنفات القاضي عياض متعددة المجالات من شريعة وأدب وتاريخ، أين نجد أن مصنفاته في الفقه أخذت الحصة الكبيرة بنسبة 35%، تليها قسم الحديث والسيرة والتراجم بنسب متساوية مثلت 17%، أما الأدب واللغة فأخذت نسبة 13% من مصنفاته، وأقل مجال صنف فيه تمثل في التاريخ والعقيدة بنسبة 10% و 7% على التوالي، وهذه النسب على الرغم من التفاوت بينها فهي متقاربة، وهذا إن أكد على شيء فقد أكد على تنوع ملكة التصنيف لدى القاضي عياض ونبوغه وتمكّنه من مختلف الميادين المعروفة في عصره.

## 2. القاضي عياض الأديب:

كان القاضي عياض عالما باللغة والأخبار ضابطا لها، أديبا مبرزاً وصاحب قلم بليغ، نحويًا، ريان من الأدب، شاعرا مجيدا، خطيبا<sup>1</sup>، ذا ثقافة لغوية تجلت في معرفته لعلوم اللغة وكتبها التي سمعها على عدد من جهابذة علماء اللغة في عصره أمثال:

- الأديب أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المعروف بأخت غانم، وهو شيخ من شيوخ أهل الأدب والنحو، الرواية وجمع الكتب، حمل عنه القاضي عياض عددا من كتب اللغة والنحو والغريب، منها: الكامل للمبرد، إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت، الأملالي لأبي علي البغدادي<sup>2</sup>.

- الشيخ علي الحسن بن علي بن الطريف النحوي التاهرتي، شيخ سبته في النحو، يقول عنه القاضي عياض: "درس عمره النحو ببلدنا وأخذ عنه جماعة من شيوخنا وأصحابنا"، درس عليه القاضي عياض كثيرا من كتب الأدب والنحو، منها: مقتضب للمبرد، الواضح للزبيد، الكافي للنحاس<sup>3</sup>.

وغيرهم من شيوخ اللغة والأدب، النحو والشعر الذين عمد عليهم القاضي عياض في تكوينه الثقافي والأدبي، والذي جعله يعد من جملة علماء الأدب والنحو، فنجد ترجمته مضمنة في كتب طبقات النحاة واللغويين، أمثال: أنباه الرواة على أنباه النحاة، خريدة القصر، قلائد العقيان<sup>4</sup>، هذا الأخير أورد فيه صاحبه ابن خاقان يصف أدب القاضي عياض قائلا: "وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة، يعنى بإقامة أود الأدب وينسل إليه أربابه من كل حدب، إلى سكون ووقار كما رسى الطود، وجمال مجلس كما حليت الخود، وعفاف وصون ما علما فسادا بعد الكون، ورقاء لو رأته

<sup>1</sup>- لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 188.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 59 - 61.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 141.

<sup>4</sup>- الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق،

ص 201.

الشمس ما تاهت بأضواء وخفر، ولو كان للصبح ما لاح ولا أسفر، وقد أثبت من كلامه البديع الألفاظ والأغراض، ما هو أسحر من العيون النجل والحدق المراض<sup>1</sup>.

وسواهم ممن أوردوا له ترجمة، ووضع له نماذج من نظمه ونثره وأبلغوا في بيان تقدمه في هذا الباب<sup>2</sup>، وفي مقدمتهم ابنه محمد الذي جعل جزء من مصنفه لنظمه ونثره، فقد قال عنه: "تحويا، ريان من الأدب، شاعرا مجيدا، يتصرف في نظمه أحسن تصرفا، ويستعمل في شعره الغرائب من صناعة الشعر، مليح القلم، من أكتب أهل زمانه"<sup>3</sup>، والمقري الذي وضع ورد له في مصنفه أزهار الرياض سماه: "روضة المنثور فيما له من منظوم ومنثور"، ابتدأها بقوله: "هذه الترجمة نذكر فيها نثره الفائق، ونظمه الرائق"<sup>4</sup>.

فقد كان القاضي عياض أديبا أبدع في مجالات النثر والخطابة والشعر، نحوي لغوي في دراساته وتأليفه<sup>5</sup>، أين نجد فيها براعة وتميزا في ضبط الألفاظ، التنبيه على مواضع التصحيقات والأوهام، مع الفوائد اللغوية والأدبية والشواهد الشعرية، وتحرير المسائل وشرح الكلمات وغيرها من الفوائد التي احتوت عليها مصنفاته<sup>6</sup>، ومثال ذلك كثير منها ما جاء في تفسير حديث أم الزرع الذي تناول تفسيره مع استقصاء مسائله في اللغة، النحو، الفقه، البلاغة والنقد، وهو ما أكده في مقدمته بقوله: "من ذكر ما اشتمل عليه هذا الحديث من ضروب الفصاحة، وفنون البلاغة، والأبواب الملقبة بالبديع في هذه الصناعة، من لفظ

<sup>1</sup> - الفتح ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، تحقيق: حسن يوسف خربوش، ط 1، الأردن، مكتبة المنار، 1989 م، ص 684.

<sup>2</sup> - الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق، ص 201.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 5.

<sup>4</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 1.

<sup>5</sup> - عبد السلام هراس: شيء من منهجية عياض في دراسة النص، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 614.

<sup>6</sup> - عبد الله كنون: القاضي عياض أديبا، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 49.

رائق، ومعنى فائق، ونظم متناسب، وتأليف متعاقد متناسق<sup>1</sup>، وغيرها من المصنفات، التي لو كان اعتمادها فيها على الرواية فقط لما حازت على إعجاب العلماء، وبلغ صداها المشرق والمغرب، وكانت مصدر الكثير من المؤلفين<sup>2</sup>، حيث نجد مقدمات مصنفاته تحتوي على قطع نثرية رائعة أمثال: مقدمة مشارق الأنوار، مقدمة الشفا، ترتيب المدارك...

بالإضافة إلى رسائله المبعثرة في كتب غيره<sup>3</sup>، فهو يعتبر ممن تفوق في هذا الميدان، حتى صار في طليعة المصنفين فيه، وخير إثبات على ذلك، تعامله ومطارحته النخبة المختارة منهم، بالرسائل الموازية لرسائلهم<sup>4</sup>، أمثال الفتح بن خاقان، الذي قال في رسائله: "وقد أثبت في كلامه البديع الألفاظ والأغراض، ما هو أسحر من العيون النجل والحدق المراض"<sup>5</sup>، والذي يعتبر مصنفه من أهم المصادر التي حوت على رسائل القاضي عياض مع مصنف التعريف لابنه محمد، الذي ذكر مجموعة من رسائله، نأخذ منها على سبيل المثال رسالة كتبها القاضي عياض في مسابقة مع جلة علماء، وقادة علماء، وسادة أدباء، تعاطوا بينهم كأس الأدب، فتسابقوا في ميدانه، إلى أن قصدوا التعجيز، فتنافسوا على كتابة رسالة معربة رائقة المعاني، فتناول لها القاضي عياض، وقال: أنا لها<sup>6</sup>، وهذا نصها:

"فارتت السادة الجلة أدام الله عزهم بثبات قدم عميدهم، وأبقى عليهم ظله عند مجاراتنا الحاق الكتاب، فكأنها كانت منى دعوى توجب الارتياب، وكان الفقيه أبو فلان صديقنا أعرف بالقصد إلى الزيادة في رسالة الوزير أبي القاسم ابن الجد على إيجاز ألفاظها واندماج أغراضها وجلالة قائلها، واعتدال أواخره وأوائلها، فلم أقدم تلك العشية شيئاً على تسويدها وتذييل برودها،

1- عبد الله الطيب: القاضي عياض الناقد، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 222. القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 18.

2- عبد الله كنون: القاضي عياض أدبياً، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 49.

3- الترابي: المرجع السابق، ص 176.

4- عبد الله كنون: نفس المرجع، ص 51.

5- الفتح ابن خاقان: المصدر السابق، ص 684.

6- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 6.

وإن كان المتحك لذلك الطود العظيم، كمرقع الوشى بالأديم، ولكن بحكم الاضطرار، وقصد الاختيار للاختبار، وطرقني لصاحبها من الحادث الكارث ما شغل عن صقل وجوهها، وأذهل عن توجيهها، وحين وجدت الآن فجوة، وأنست العشية وإن لم تكن سلوة، وجهت بها بشرية رفع الدعوى، وامتحان البلوى، وصرف عين الانتقاد، وتحسين الظن والاعتقاد، وقد أعلمت على الزيادة بالحمرة، لتكون فصلا بين الكلام وعبرة، ولم يمكنى مفارقة المنزل، مراعاة لحق من يقصد وينزل، وحذرا أن ينتقد، من لا يجد فليكن الكل عندكم بالأمانة حتى نجتمع، والسلام عليكم يطول إعظاما لجلالكم ويتسع، ورحمة الله تعالى وبركاته"<sup>1</sup>.

وهي رسالة جاءت في شكل أنيق من الجمل والألفاظ، بديعة التركيب صحيحة المعاني، تتجلى فيها ملكة القاضي عياض الأدبية، وتفوقه في هذا الفن، وهو ما أكده ابنه بقوله: "كتبت من ترسيله - رحمه الله هذه الفصول، لتنبئ عن مكانته من الآداب وإسهاب، وأني لأروم جمع ترسيله في ديوان يشتمل من كلامه على العجب العجاب، الذي اعترف له بالسبق فيه زعماء الأدباء والكتاب"<sup>2</sup>.

ولم يقتصر نثر القاضي عياض على الرسائل، بل تعداه إلى نوع آخر من النثر، وهو الخطب، فالقاضي عياض كان أحد أبرز خطباء عصره، بليغا، فصيحا، حسن الإيراد، من أكتب أهل زمانه، لا يخطب إلا من إنشائه، تميزت خطبه بالفصاحة، والألفاظ العذبة، السهلة المأخذ<sup>3</sup>، منها ما نسجه على بعض سور القرآن، بطريق الاقتباس<sup>4</sup>، أمثال الخطبة التي اقتبس فيها من سورة الكهف<sup>5</sup>، ( أنظر الملحق رقم 3 )، وغيرها من الخطب المذكورة في تراجمه، فللقاضي عياض خطب تم جمعها في حياته، ذكر ابنه أبو عبد الله أنها كثيرة مدونة يشتمل

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 90-98، المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 7 - 8.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 95.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 4-5.

<sup>4</sup> - المقري: المصدر السابق، ص 82، 86.

<sup>5</sup> - لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 226 - 228.

عليها مجلد، قرئت عليه، وسمعتها أصحابه، وانتسخت<sup>1</sup>، ولكن للأسف ما وصلنا منها إلا القليل.

وأما في النظم فكان شاعر بارع، له من الشعر الكثير، متمكن في نظمه، ذو أسلوب بديع<sup>2</sup>، تطاوعه القوافي وتنساب المعاني أمامه في تناسب بديع، وما أثبت له من نظم، كان دليل على تضلعه في صناعة الشعر وعلمه<sup>3</sup>، وقد كانت أغراض الشعر لديه محصورة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصف الفراق والحنين إلى الوطن والأحباب<sup>4</sup>، توجيه طلبه العلم، الغزل، وصف الطبيعة... ونحو ذلك<sup>5</sup>، نذكر منه:

قصيدة في نطاق الشوق لزيارة المدينة المنورة ومقام الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-

يَا دَارَ خَيْرِ المرسلين وَمَنْ به	هَدْيُ الأنامِ وَخُصَّ بالآياتِ
عندي لأجلك لوعة وصبابة	وتَشَوِّقٌ متوقِّدُ الجَمَرَاتِ
وعليَّ عهدٌ إن ملأتُ محاجري	من تلکمُ الجدرانِ والعرصاتِ
لأُعَفِّرَنَّ مَصُونٌ شَيْبِي بينها	من كثرةِ التقبيلِ والرَّشَفَاتِ
لَوْلَا العَوَادِي والأَعَادِي زُرْتُهَا	أبدًا ولو سَعِيًّا على الوجناتِ
لكنْ سأهدي من جميلِ تحية	لقطِينِ تلكِ الدارِ والحُجراتِ
أذْكَى من المِسْكِ المَفْتَقِ نَفْحَةً	تغشاهُ بالأصَالِ والبُكراتِ
وتخصه بزواكِي الصَّلواتِ	وَنَوَامِي التَّسليمِ والبركاتِ <sup>6</sup>

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 87.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 4.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 101.

<sup>4</sup> - الترابي: المرجع السابق، ص 184.

<sup>5</sup> - الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق، ص 204.

<sup>6</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 180.

وقد عقب تلميذه ابن القصير<sup>1</sup> على هذه القصيدة قائلاً: "برد الله ضريحه، وقدس في الجنات روحه، لقد أحكم في هذا الفصل المقال، ووجد للمدح فقال"<sup>2</sup>. وله عند ارتحاله عن قرطبة<sup>3</sup>:

أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ ارْتِحَالِي وَغَرَّدْتُ	حُدَاتِي وَرُمْتُ لِلْفِرَاقِ رِكَائِي
وَقَدْ غَمِضْتُ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ مُقْلَتِي	وَصَارَتْ هَوَاءً مِنْ فُؤَادِي تَرَائِي
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةً يَسْتَحِثُّهَا	وَدَاعِي لِلأَحْبَابِ لَا لِلْحَبَائِبِ
رَعَى اللهُ جِيرَانًا بُقْرُطَبَةَ العُلَى	وَسَقَى رُبَاهَا بِالْعَهَادِ السَّوَاكِبِ
وَحَيًّا زَمَانًا بَيْنَهُمْ قَدْ أَلْفَتْهُ	طَلِيقَ المَحْيَا مُسْتَلَانَ الجَوَانِبِ
أَ إِخْوَانَنَا بِاللَّهِ فِيهَا تَذَكَّرُوا	مَعَاهِدَ جَارٍ أَوْ مَوَدَّةَ صَاحِبِ
غَدَوْتُ بِهِمْ مِنْ بَرِّهِمْ وَاخْتَفَأْتُهُمْ	كَأَنِّي فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي

ويبدو أن شعره كان أكثره في مذاكرة الأدياء ومراسلة الشعراء والزملاء، الذين لم يكن منهم إلا منصفاً ومعترفاً بالعجز عن مدها، نأخذ ما قاله أبو طاهر السلفي شيخه من ثغر الإسكندرية<sup>4</sup>:

أَتَانِي نَظْمُ الأَلَمِيِّ المَوْفَّقِ	يَمِيسُ اخْتِيَالًا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
فَطَالَعْتُهُ مُسْتَبْشِرًا فَوَجَدْتُهُ	نَتِيجَةً فَهَمٌ فِي البَلَاغَةِ مُشْرِقِ
وَأَنْشَدْتُهُ الأَصْحَابَ بَعْدَ تَأْمُلِ	فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ غَيْرُ مُطَرِّ وَمُطَرِّقِ

<sup>1</sup> - هو عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي، من أهل غرناطة، يكنى أبو جعفر، يعرف بابن القصير، من بيت شوري وجلالة، كان فقيه مشاور، رفيع القدر، جليلاً بارع الأدب، صاحب رواية ودراية، تقلب ببلاد الأندلس، ورحل إلى مدينة فاس، فأخذ الناس عنه، ثم رحل إلى إفريقية، وولى قضاء تقيوس، ببلاد الجريد، توفي شهيداً في البحر، على يد الروم بمرسى تونس، وكان قاصداً الحج، سنة 570هـ. انظر المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 15.

<sup>2</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 181.

<sup>3</sup> - الفتح ابن خاقان: المصدر السابق، ص 689.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 102.

ونكتفي بهذا القدر من شعره الذي يتسم بعذوبة الألفاظ، وسلاسة القوافي، ومتانة التراكيب، وهو كثير، لكن لم يوجد بخط يده إلا اليسير كما ذكر ابنه محمد، ويبدو أن أكثر ما عنده إنما أخذه من أصحاب القاضي عياض لا عنه<sup>1</sup>.

### 3. القاضي عياض والمشخة:

يعد القاضي عياض من الشخصيات التاريخية التي اشتهرت بالاستيعاب الفكري، والنبوغ العلمي، حتى قيل: "لولا عياض لما ذكر المغرب"<sup>2</sup>، فقد تصدر علماء وقته، وبرع في مختلف الفنون، وكان بحق إمام في كل فن، دائم الصلة بعلمه، يقرأ، يدرس، يبحث ويؤلف<sup>3</sup>، كما شهد له بذلك أشهر علماء عصره، ومن بعده، وقد تجلّى ذلك في الكثير من النصوص المتضمنة الثناء على علمه، منها:

قال ابنه محمد: "إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه، وبلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم"<sup>4</sup>.

وقال: "أخبرني ابن عمي الزاهد أن القاضي أبا عبد الله بن حمدان كان يقول له وقت رحلته إليه: وحتى يا أبا الفضل إن كنت تركت بالمغرب مثلك، وقال: وأخبرني أن أبا الحسين بن سراج قال له، وقد أراد الرحلة إلى بعض الأسيّاح، فهو أحوج إليك منك إليه".

وقال إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر قال له: "ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض"<sup>5</sup>.

قال ابن شكّوال: "هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم"<sup>6</sup>.

1- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 101-102.

2- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص أ.

3- نفس المصدر، ص يه.

4- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 4.

5- لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 229.

6- الذهبي: المصدر السابق، ص 214.



قال القاضي شمس الدين في "وفيات الاعيان": "هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم"<sup>1</sup>.

أبو الفداء ابن كثير: "كان إمام في علوم كثيرة كالفقه، اللغة، الحديث، الأدب، وأيام الناس"<sup>2</sup>.

يقول الحافظ ابن الأبار في كتابه معجم أصحاب الصدي: "كان لا يدرك شأه ولا يبلغ مداه في العناية بالحديث والآثار وخدمة العلم، مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه، إلى اطلاعه بالأدب وتحققه بالنظم والنثر ومهاراته بالفقه، وبالجملة فكان جمال العصر ومفخرة الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسب فيهم صدرا"<sup>3</sup>.

قال الفتح ابن خاقان: "جاء على قدر، وسبق إلى نيل المعاني وابتدر، فاستيقظ لها والناس نيام، وورد ماءها وهم صيام، وتلا من المعارف ما أشكل، وأقدم على ما أحجمه عنه سواه ونكل، فتحت به للعلوم نحور، وتجلت له منها حور، "كأنهن الياقوت والمرجان"، "لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان"، قد ألحفته الأصالة رداءها، وسقته أنداءها، وألقت إليها أقاليدها، وملكت طارفها وتالدها، فبذ على فتائه الكهول سكونا وحلما، وسبقهم معرفة وعلما، وأزرت محاسنه بالبدر اللياح، وسرت فضائله سرى الرياح، فتشوقت لعلاه الأقطار، ووكفت تحكي نداه الأمطار"<sup>4</sup>.

وقال له أستاذه أبو عبد الله ابن حمدان وقت رحلته: "وحيي يا أبا الفضل إن كنت تركت بالمغرب مثلك"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الذهبي: المصدر السابق، ص 215.

<sup>2</sup> - أبو الفداء الحافظ ابن كثير: المصدر السابق، ص 225.

<sup>3</sup> - الترابي: المرجع السابق، ص 196.

<sup>4</sup> - الفتح ابن خاقان: المصدر السابق، ص 683 - 684.

<sup>5</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص يج.

كل هذا الصيت الواسع للقاضي عياض من تنوع المعارف وسعة الاطلاع وما عرف به من مواهب وقدرات عقلية ممتازة، وما تحلى به من مزايا الضبط، التثبيت وعلو الإسناد، تصنيف المصنفات، ووضع الشروح على الأمهات، جعل أهل بلده يجلسونه للمناظرة عليه في المدونة، وهو ابن إثنين وثلاثين عاما أو نحوها<sup>1</sup>، وكان في تلك الأيام تدريس المدونة والمناظرة فيها من المهام العلمية الكبيرة، التي لا يرشح لها إلا كل متمكن في العلوم الشريعة عامة، وعلوم الفقه المالكي وأصوله خاصة<sup>2</sup>، ولقوة عارضته سلك القاضي عياض في شرحها مسلكا جمع فيه بين الطريقتين والمذهبين<sup>3</sup>.

ومنذ ذلك الوقت صار مقدم فقهاء سبته، مداوما على تدريس الفقه والحديث في مسجده بها، لم يصرفه عن ذلك توليه القضاء، ولم تقطعه حتى الحروب والفتن<sup>4</sup>، يسمع حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويدرس الفقه، حتى وهم في أشد الحصار<sup>5</sup>.

ولم تكن مدينة سبته البلد الوحيد الذي درس فيه القاضي عياض، فقد رتب مجلسا لإسماع الحديث في غرناطة، بعد تعيينه قاضيا عليها، فكان محط إقبال لطلبة العلم والأعيان<sup>6</sup>، كما أخذ عنه بعض من أهل قرطبة، في فترة مكوثه فيها، وهو ما أكده ابن شكوال بقوله: "قدم علينا

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 158.

<sup>3</sup> - المقرئ: المصدر السابق، ج 3، ص 22 - 23.

كان في تدريس المدونة اصطلاحين، عراقي وقروي، فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس، وبنوا عليها فصولا بالأدلة والقياس، ولم يعرجوا على الكتاب بتصحيح الروايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد إلى أفراد المسائل، أما الاصطلاح القروي فهو البحث عن ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب، وتصحيح الروايات، وبيان وجوه الاحتمالات، والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقالات، مع انضاف ذلك من تتبع الآثار، وترتيب أساليب الأخبار، وضبط الحروف، على حسب ما وقع في السماع. انظر المقرئ: نفس المصدر، ص 22.

<sup>4</sup> - الحسين بن محمد الشواطئ: منهج القاضي عياض في اكمال المعلم، المرجع السابق، ص 150.

<sup>5</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 12.

<sup>6</sup> - حسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث (476-544هـ)، نفس المرجع، ص 159.

قرطبة فأخذنا عنه بعضا مما عنده"<sup>1</sup>، وكان عدد طلبته ممن أخذ عنه وحضر مجلسه لا يعد ولا يحصى، وهو ما أكده بنفسه، عن قرأ عليه كتاب الشفا، في مجال تصويب ابن القصير بقوله: "إن هذا الكتاب قد قرأه عليّ من العالم ما لا يحصى كثرة، ولا أقف على منتهى أعدادهم"<sup>2</sup>، فإن كان هذا العدد في مراجعة كتاب الشفا وحده، فما حال باقي مصنفاته، وهو الذي كان من أكتب أهل زمانه.

وقد تكلم الباحث الحسين بن محمد شواط عن كثرة تلامذة القاضي عياض بقوله: "من أعظم آثار عياض -رحمه الله- كثرة تلاميذه من الأندلسيين والمغاربة، بحيث لا نكاد نجد أحدا من أهل الطبقة التي تلت طبقة عياض في تلك الديار إلا وقد تتلمذ عليه وأخذ عنه العلم وكفاه بذلك شرف وفخر، فإن ذلك من أعظم القربات"<sup>3</sup>.

وفيما يخص علاقته مع طلبة العلم، فقد عرف القاضي عياض بسلوكه المستقيم، ومعاملته الطيبة مع طلبته، حيث كان مرضي الخلال، موصوفا بالنبيل، محمود الأفعال والأقوال، حسن المجلس، ممتع المحضر، لين الجانب، صبورا حلّيا، منصفا لأهل العلم، محبا لطلبة العلم، محرضا لهم على طلبه، سهلا لهم الطرائق<sup>4</sup>، وهو ما أكده طالبه عبد الرحمن الغرناطي المعروف بابن القصير: "كان مثل التمرة، كلما ليكت زادت حلاوه، ولفظه عذب في كل ما صرف من الكلام، للنفس إليه تتوق وله طلاوه"<sup>5</sup>، كل هذه الصفات جعلت مجلسه العلمي يتسع بطلبة العلم، الذين كانوا أكثر منهم: خلف ابن شكوال<sup>6</sup>، أبي جعفر أحمد بن عبد

<sup>1</sup>- الترابي: المرجع السابق، ص 168.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: الالمام، المصدر السابق، ص 8.

<sup>3</sup>- حسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وامام أهل الحديث (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 239.

<sup>4</sup>- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4 - 5.

<sup>5</sup>- المقرئ: المصدر السابق، ج 3، ص 1.

<sup>6</sup>- إمام، حافظ، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، جمع بين علوم الرواية والدراية، سمع من القاضي بقرطبة، ثم كتب إليه القاضي من سبتة مجيزا بمروياته ومؤلفاته، له تصانيف بديعة، منها: كتاب الصلة في تاريخ في أئمة الأندلس وعلمائهم

الرحمن بن مضاء اللخمي<sup>1</sup>، عبد الرحمن الغرناطي، ومما يلاحظ أن أشهر تلاميذه هم من أهل طبقة ومعاصريه ولذلك نجدهم يقاربونه في السن، ومنهم من أخذ معه عن شيخ واحد مثل ابن شكوال وابن خير الإشبيلي<sup>2</sup>.

كما كان القاضي عياض كثير الإنصاف والتواضع مع طلبته، ومما يدل على ذلك ما حكاه ابن القصير عن حادثة وقعت له في مجلس الدرس عند القاضي عياض، قال فيها: "دخلت مجلس القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله، إذ كان قاضيا عندنا بغرناطة، وبه جماعة من الطلبة والأعيان، يسمعون تأليفه المسمى بالشفاء، فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات: "ومن قسم به أقسط" قرأه ثلاثيا، وكذلك كان في الأم التي يقرأ فيها، فقلت: إنما هو أقسط، لأن المراد في هذا الموضع "عدل" فالفعل رباعي، كما قال الله تعالى: "وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"، وأما قسط فإنما هو "جار" كما قال تعالى: "وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا"، فتعجب وقال لمن حضر: إن هذا الكتاب قد قرأه عليّ من العالم ما لا يحصى كثرة، ولا أقف على منتهى أعدادهم، وما تنبه أحد لهذه اللفظة، وفاه بلسان الإنصاف، وشكر بفضله، وأبلغ ببراعة علمه في تحسين المناقب والأوصاف، وأورثني ذلك عنده كرامة كبيرة ومبرة<sup>3</sup>، وهو ما جعل درسه في العلم ميدانا رحبا لرسم القدوة الصالحة وتوقير العلم وطلبه وحبه.

وكما اهتم القاضي عياض بالتعليم، اهتم بمناهج التدريس وأساليبه وأعطاه عناية خاصة، ومما يدل على ذلك قيامه بمهمة تثقيف ولده بنفسه، كما نجده وضع خطة لتدريب وتكوين

---

ومحدثيهم وقضاتهم وأدباءهم، معجم شيوخه، الغوامض والمبهمات، وغيرها. الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 هـ - 544 هـ)، المرجع السابق، ص 241.

<sup>1</sup> - هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي، ولد بقرطبة سنة 511 هـ، قرأ القرآن، وأخذ العلم، وأكثر عن الشيوخ في القراءات، الحديث، العربية التي كان له فيها حظ وافر، من مصنفاته "المشرق"، ولي قضاء فاس، ثم مراكش، ثم انتقل إلى الأندلس وفرغ نفسه في نشر العلم، حتى توفي سنة 593 هـ. انظر الترابي: المرجع السابق، ص 169 - 170.

<sup>2</sup> - الترابي: نفس المرجع، ص 169.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 8، المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 13.

صغار المتعلمين في كتابه "الإعلام بحدود قواعد الإسلام"<sup>1</sup>، والذي ألفه استجابة لمطلب أحد المعلمين، من أجل تقديم المساعدة في تدريس قواعد الإسلام، وسهولة فهمها من قبل صغار الطلبة، حيث وضعها في فصول سهلة المأخذ، قريبة المرام، مع إيداعه فوائد جمة<sup>2</sup>، وهو ما أكده في مقدمة كتابه بقوله: "أيها الراغب في الخير، الحريص على تدريب المتعلمين لوجوه البر، فإنك سألتني في جمع فصول سهلة المأخذ، قريبة المرام، مفسرة حدود قواعد الإسلام"<sup>3</sup>، وبذلك كان القاضي عياض كما وصفه العلامة محمد الأمين الصحراوي نزيل مراكش بقوله: "مقام القاضي عياض مثل مقام البخاري ومسلم والأئمة الأربعة فهم حملة الشريعة، وعلومهم التي يبثونها في صدور الرجال بالتلقين، أو التأليف هي أورادهم والوسيلة التي بينهم وبين الله، وذلك أجل الأوراد، وأجدرها نفعاً، وأبقى ثواباً"<sup>4</sup>.

### ثالثاً: المذهب والعقيدة

كان القاضي عياض من كبار العلماء الذين مثلوا أهل السنة في القرن السادس هجري، متكلماً بارعاً، وفقهياً حراً وجدت آراءه صدى لدى فقهاء المالكية الذين ساهموا في إرساء العقيدة الأشعرية والدفاع عنها، وجعلت منه فقيها أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني لديه في انسجامه مذهبياً وعقائدياً<sup>5</sup>.

### 1. القاضي عياض والمذهب المالكي

اعتمد جل جماهير الغرب الإسلامي من علمائها ودهمائها المذهب المالكي، تمسكوا به، وآثروه على غيره من المذاهب، وكان له في نفوسهم منزلة عظيمة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - عبد العزيز بن عبد الله: سبته في عصر عياض، دعوة الحق، المرجع السابق، ص 24.

<sup>2</sup> - الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وامام أهل الحديث (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 227.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: الإكمال بحدود قواعد الإسلام، المصدر السابق، ص 29.

<sup>4</sup> - الترابي: المرجع السابق، ص 197.

<sup>5</sup> - عبد المجيد معلومي: عياض أشعرياً، ندوة القاضي عياض وتأصيل المذهب المالكي، ص 239.

<sup>6</sup> - أبي الطاهر إبراهيم: التنبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق: الدكتور محمد بلحسان، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 2007

م، ج 1، ص 38.

يقول ابن خلدون في مقدمته: "أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل"<sup>1</sup>. ويقول الباحث محمد المكي الناصري في تفضيل المغاربة للمذهب المالكي: "إن اختيار المذهب المالكي من المغاربة كان اختياراً قومياً منذ البداية، فقد تم اختياره والدعوة إليه على يد نخبة مغربية صميمة عملت على تلقينه بعد تلقيه، وعملت على نشره والتصنيف فيه، والكشف عن أصوله وقواعده ومراميه، وتحليل فلسفته، وتوسيع دائرته، وقامت بدور فعال في إبراز معالمه وامتداد حياته عبر القرون، ولم يخدم المغاربة أي آخر مثل ما خدموا المذهب المالكي"<sup>2</sup>.

ولا شك في أن انتماء مالك بن أنس للمدينة المنورة، عاصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومركز الإسلام الأول، جعل المغاربة عامة، والقاضي عياض خاصة، ينظرون إليه من زاوية خاصة، معجبين بعلمه وفضله، ومقتنعين بأنه أقرب إلى روح الشريعة من فقهاء الشام أو العراق أو غيرها من الأمصار، ومفضليه<sup>3</sup>، وهو ما أكده القاضي عياض في عدة مواضع منها قوله: "وصار الناس اليوم في أقطار الدنيا إلى خمسة مذاهب: مالكية، وحنفية، وشافعية، وحنبلية، وداودية، وهم المعروفون بالظاهرية، فحق على طالب العلم، ومريد تعرف الصواب والحق، أن يعرف أولاهم بالتقليد، ليعتمد على مذهبه، ويسلك في التقه سبيله، وها نحن نبين أن مالكا، رحمه الله تعالى، هو ذلك، لجمعه أدوات الإمامة، وتحصيله درجة الاجتهاد، وكونه أعلم القوم، بل أهل زمانه، وإصفاق أهل وقته على شهادتهم له بذلك

<sup>1</sup> - عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2001م، ج 1، ص 568.

<sup>2</sup> - محمد المكي الناصري: المذهب المالكي مذهب المغاربة المفضل، ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ج1، ص 82.

<sup>3</sup> - عباس الجراري: أسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره في المغرب، ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ج 2، ص 185.

وتقديمه، وهو القدوة والناس إذ ذاك ناس والزمن زمان، ثم للأثر الوارد في عالم المدينة التي هي داره، وانطلاق هذا الوصف والإضافة على السنة الجماهير له، وموافقة أحواله الحال الذي أخبر في الحديث عنه، وتأويل السلف الصالح أنه المراد به<sup>1</sup>.

وقال: "اعلموا وفقكم الله أن ترجيح مذهب مالك على غيره وإنافة منزلته في العلم، وسمو قدره من طريق النقل والأثر، لا ينكره إلا معاند أو قاصر لم يبلغه ذلك مع اشتهاره في كتب المخالف والمساعد"<sup>2</sup>.

كما قال: "لا خفاء على منصف بمنصب مالك من الإمامة في علوم الشريعة وعلم الكتاب والسنة، وأنه إمام المسلمين وأعلمهم في وقته بسنة ماضية وباقية، وأمير المؤمنين في الحديث، ثم العلم بالاختلاف والاتفاق، هذا كله مما لا ينكره مخالف ولا مؤلف، إلا من طبع على قلبه التعصب، وأنه القوة في السنن، وهو أول من ألف فأجاد التأليف، ورتب الكتب والأبواب، وضم الأشكال، وصنع من ذلك ما اتخذته المؤلفون بعده قدوة وإماما إلى وقتنا هذا في أقطار الأرض، هذا مع صعوبة الابتداء، وحيرة الاختراع، وهو أول من تكلم في غريب الحديث، وشرح موطنه، الكثير منه"<sup>3</sup>.

والقاضي عياض من السادة الفقهاء في عصره، مالكا عميق الاقتناع بمذهبه، من أهل الفضل والرياسة الذين يرجع إليهم في الفتوى والقضاء، فقيه حافظا لمسائل المختصر والمدونة، قائما عليها، عاقدا للشروط بصيرا بالفتيا والأحكام والنوازل<sup>4</sup>، ومكانته بين علماء المذهب أكدتها مصادر ترجمته منها ما قال:

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص 67.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص68.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 81 - 80.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4، عبد الله كنون، القاضي عياض أدبيا، المرجع السابق، ص 47.

أبو الفداء ابن كثير: "القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، قاضيا أحد مشايخ العلماء المالكية"<sup>1</sup>.

المقري: "له في الفقه المالكي اليد الطولى"<sup>2</sup>.

ابن فرحون: "فقيها أصوليا... بصيرا بالأحكام عاقدا للشروط حافظا لمذهب مالك رحمه الله"<sup>3</sup>.

ومما لا بد منه للفقيه المنتصب للفتوى على مذهب مالك، أن يكون ذو حظ وافر من الاطلاع على المذهب، متطلعا وطامحا للوقوف على كل ما لم يكن عنده فيه علم منه، وهو ما كان للقاضي عياض، فقد رسم صورة لتكوينه الفقهي في مرحلة الطلب، من خلال فهرسته الغنية، والتي أتى فيها على ذكر شيوخه ممن شهر بالفقه المالكي منهم:

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الأموي الذي قال فيه عياض: "كان حافظا للفقه والفرائض، مشاركا في التفسير وعلم النسخ والمنسوخ... ناظرت عليه مدة طويلة في المدونة، وأخذت عنه فوائد من العلم كثيرة"<sup>4</sup>.

- الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الذي كان إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب وآخر المستقلين من شيوخها بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته

<sup>1</sup>- أبو الفداء ابن كثير: المصدر السابق، ص 225.

<sup>2</sup>- المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 21.

<sup>3</sup>- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق، محمد الأحمد أبو النور، القاهرة، دار التراث، ج2، ص 47.

<sup>4</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 58.



أفقه منه ولا أقوم منه لمذهبهم، أرسل للقاضي عياض يجيزه كتابه المسمى "المعلم

في شرح مسلم"، وغيره من تواليه<sup>1</sup>.

- الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشني المعروف بابن أبي جعفر شيخ فقهاء وقته بشرق الأندلس وأحفظهم للمذهب، لقيه القاضي عياض بمدينة سبتة، وفي رحلته إلى مرسية، وجالسه في المناظرة في المدونة، سمع منه، وأجازه جميع رواياته<sup>2</sup>.

وغيرهم من شيوخ وأعلام المذهب المالكي، مع تبحره في أمهات كتب المذهب المالكي، أمثال: رسالة ابن أبي زيد، المدونة، تأليفًا في الإيمان اللازمة للقاضي أبي بكر ابن العربي المعافري... وغيره<sup>3</sup>، مما جعله ممن تبحر في المذهب المالكي وتعمق في أصوله وفروعه، ونفذ إلى أسراره، وأحاط بقضاياها حتى أتقنها وأحكمها، وبلغ منها موضعا جليلا، يرمى بالأبصار، ويشار إليه بالبنان.

ولو أمعنا النظر في تتبع ما ألف القاضي عياض وما كتب في الفقه المالكي، لخرجنا من إيجاز إلى إسهاب، ومن تقليل إلى توسع، وذلك لما ألف من مصنفات قيّمة في الفقه المالكي وأصوله، منها:

- كتاب المستنبطة في شرح كلمات مشكلة وألفاظ مغلطة مما وقع في كتاب المدونة

"التنبيهات"<sup>4</sup>، كان المستند عليه في حل ألفاظ "المدونة"، ضبط مشكلاتها، تحرير

رواياتها، وتسمية رواياتها، فجمع فيه بين شرح المعاني، ضبط الألفاظ، وذكر من

1- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 65.

2- القاضي عياض: نفس المصدر، ص 153 - 154.

3- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص ي.

4- المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 347.

رواها من الحفاظ<sup>1</sup>، وبه وضع منهج جديد للفقهاء والباحثين في أصول المذهب المالكي ممن أتى بعده<sup>2</sup>.

- كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ترجم فيه للعديد من فقهاء المالكية ومن مشهوري عصره، سابقه ومعاصريه، وفي طليعتهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وبين فيه طبقاتهم وأزمانهم وآثارهم<sup>3</sup>.  
وغيرها من التأليف التي تدل على علو كعب القاضي عياض في تأصيل المذهب المالكي، وتكشف عن قوة القاضي عياض ومكانته في الاجتهاد الفقهي المؤسس على المقاصد والمصالح، بما يخلده في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب<sup>4</sup>.

1- المقرئ: المصدر سابق، ج 3، ص 21.

2- عبد الله كنون: القاضي عياض، ندوة الحق، المرجع سابق، ص 16.

3- محمد العربي الخطابي: المرجع سابق، ص 182.

4- ندوة القاضي عياض وتأصيل المذهب المالكي بالمغرب، أعمال ندوة دولية 16 - 17 أبريل 2009 م، مراكش، منشورات جامعة القاضي عياض، إعداد عبد الجليل هنوش، 2010م، ص 17.

## 2. القاضي عياض والمذهب الأشعري:

كان أبو الحسن الأشعري<sup>1</sup> مقراً لمذهب السلف، مناضلاً عليه، لم يبتدع رأياً، ولم ينشئ مذهباً، عقيدته اجتمع عليها جماهير علماء أمة الإسلام من الشافعية، المالكية، الحنفية، وفضلاء الحنابلة، الانتساب لمذهبه هو اعتقاد على طريق أهل السلف<sup>2</sup>.

يقول صاحب كتاب معيد النعم ومبيد النقم: "الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة -ولله الحمد- في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا راع من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، وراع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكية إلا أشعرياً عقيدة"<sup>3</sup>.

ويقول ابن عساكر: "هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري أو منتسب إليه، وراض بحميد سعيه في دين الله ومثن بكثرة العلم عليه"<sup>4</sup>.

وصلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة، ومعرفته بدقائق آراء المخالفين لأهل السنة فيه، يعود إلى المدرسة التي أخرجت القاضي عياض وشيوخه الذين

---

<sup>1</sup> - هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر ابن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد سنة 260هـ، وقيل 270هـ، حفظ القرآن والحديث وأتقن علومهما ودرس الفقه وأصوله، علوم اللغة وأصول التفسير، أخذ الحديث عن الحافظ الساجي، عبد الرحمن بن عبد السلام الجمحي وآخرون، وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ثم ترك مذهبه على إثر مناظرة بينهما ذكر تفاصيلها ابن العماد الحنبلي في مصنفه شذرات المذهب، وابن خلكان في الوفيات وغيرهما، وبعدها صار القائم بنصرة أهل السنة، القامح للمعتزلة وغيرهم من المبتدعة بلسانه وقلمه، له مؤلفات تزيد عن الثلاثمائة مصنف منها: إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، تفسير القرآن، الفصول... توفي سنة 324هـ ببغداد. انظر محمد عبد العليم الدسوقي: صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات وأثره في وحدة وإعادة صياغة المجتمع الإسلامي، ط2، مصر، دار الكتب المصرية، 2013م، ص 19-27.

<sup>2</sup> - تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار الإحياء للكتب العربية، ج3، ص 365.

<sup>3</sup> - تاج الدين عبد الوهاب السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ط 1، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، 1986 م، ص 62.

<sup>4</sup> - محمد عبد العليم الدسوقي: المرجع السابق، ص 56.

تعلم عليهم الكلام وأصول الدين، وساهموا في نشر العقيدة الأشعرية، وترجم لهم في كتابه الغنية<sup>1</sup>، منهم:

- القاضي أبو بكر بن العربي أستاذه ومعلم العديد من فقهاء ذلك العصر، كان حجة في الفقه وأصوله والحديث ويعتبر فارس المتكلمين<sup>2</sup>، قال عنه القاضي عياض: "درس الفقه والأصول عند أبي بكر الطرطوشي، وقيد الحديث واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام"<sup>3</sup>.

- يوسف بن موسى الكلبي المتكلم النحوي أبو الحجاج الضري ت 125 هـ، وهو أحد تلاميذ أبي بكر محمد ابن الحسن المرادي الحضري، كان أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى المغرب الأقصى<sup>4</sup>، وكان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية، ونظار أهل السنة، يعتبر آخر المشتغلين بعلم الكلام في المغرب<sup>5</sup>.

- الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ت 520 هـ، صحب القاضي أبا الوليد الباجي، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وسمع منه وأجازه<sup>6</sup>، تقدم في الفقه مذهب وخلافا، وفي الأصول والتوحيد وحصلت له الإمامة، بعد صيته وعظمت رياسته، أجاز القاضي عياض جميع رواياته وتصانيفه<sup>7</sup>.

وغيرهم من الشيوخ الذين أخذ عنهم القاضي عياض مذهب أبي الحسن الأشعري، أين ذكرهم في مصنفه الغنية، إلى جانب ما أخذ عنهم من أمهات كتب المذهب الأشعري

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص ز.

2- عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991م، ص 92.

3- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 67.

4- المقرئ: المصدر السابق، ج 3، ص 161.

5- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 226.

6- المقرئ: نفس المصدر، ص 162.

7- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 63 - 64.

أمثال: رسالة أبي يزيد القيرواني، كتاب الابتهاج في الجدل والمناظرة لأبي الوليد الباجي، أرجوزة يوسف بن موسى الكلبى في الاعتقاد (الصغرى والكبرى)<sup>1</sup>.

وأهم كتب علم الكلام التي اهتم بها القاضي عياض، هي تلك التي اهتمت بتفسير مسائل الغيبية، والتي تسير وفق مذهب أهل السنة فقط، حيث رجع القاضي عياض إلى بعضها في مسائل منها: تكليم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء، إمكانية رؤية الله تعالى، المعجزات، عصمة الأنبياء من الكبائر... وغيرها، والتي كان فيها ناقل عن أمهات مصنفات الأشعرية ككتب: الأشعري، الباقلاني، ابن فورك، الإسفرائيني، الجويني<sup>2</sup>. والمتأمل في تراث القاضي عياض، يجد أنه على مذهب أهل السنة والجماعة من حيث الجملة أما في أبواب الصفات فهو متردد بين منهج السلف ومذهب الأشاعرة، وذلك لتردده بين الإثبات والتفويض والتأويل<sup>3</sup>، فنظرة سريعة في بعض مصنفات القاضي عياض، كانت لتفصح عن اطلاعه الواسع لمذهب الأشاعرة، وإحاطته الكبيرة به، من خلال ما كان يبيده فيها من الأقوال والاختلافات والاستدلالات والتعقبات، ومصنفه الشفا الذي ناقش فيه القاضي عياض في مواطن كثيرة آراء المعتزلة، والفرق الأخرى على اختلاف المذاهب، كالفلاسفة، الخوارج، وغيرهم، كان أكبر دليلاً على تمكنه من المذهب<sup>4</sup>، أين اعتمد في احتجاجه على آراء أبي الحسن الأشعري، والقاضي أبا بكر الباقلاني، وغيرهم من علماء الأشعرية، وهو ما يدل على صلة القاضي عياض الوثيقة بمذهب الأشعرية وبكتبهم، وقراءته لمؤلفاتهم في الاعتقاد، ويبدو أن القاضي عياض كان حذر من الخوض في علم الكلام والمناظرات إلا "عند نازلة"، كما ذكر ابنه محمد<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 226، القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص ز - ح.

<sup>2</sup> - بدري محمد فهد: كتاب الشفا في حقوق المصطفى، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 503 - 504.

<sup>3</sup> - الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض إمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)، المرجع السابق، ص 47.

<sup>4</sup> - الترابي: المرجع السابق، ص 150.

<sup>5</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4.

ولم يكتف القاضي عياض بالأخذ والقول فقط عن كبار فقهاء المذهب الأشعري، بل ترجم للعديد منهم في مصنفه ترتيب المدارك، أين وضعهم في صنف فقهاء المالكية، وأظهر إعجابه بهم، خاصة مؤسس المذهب، إمامهم أبي الحسن الأشعري ت 334 هـ، الذي تحدث بخصوص كونه معتزلاً أسبقياً قائلاً: "وقد روى في أمره حديث لا أعلم له أصلاً ولا رويته فلا أذكر، ومن رأى أنه كان ابتداء أمره معتزلياً ثم رجع إلى هذا المذهب فهذا لا ينقصه، فقد كان من هو أفضل منه أولاً كافراً ثم أسلم، بل هذا أدل على ثبات قدمه وصحة يقينه في التزام السنة، إذ لم يلتزمها لأنه نشأ عليها ولا اعتقدها تقليداً إلا بما نور الله قلبه وأيده بروحه"<sup>1</sup>.

وأكد أن أبا الحسن الأشعري من فقهاء المالكية الذين زادوا للدفاع عن السنة بقوله: "كان مالكيًا... صنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط، والميزان، والشفاعة، والخوض وفتنة القبر التي نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة العقلية، ودفع شبه المبتدعة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة، وصنف في ذلك التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة، وناظر المعتزلة، وكان يقصدهم بنفسه للمناظرة"<sup>2</sup>.

وذكر بأن أهل السنة بالشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أتى عليه غير واحد منهم وأثنوا على مذهبه وطريقه<sup>3</sup>، كما ترجم للقاضي الباقلاني، والتي ذكر الباحث جلال محمد موسى أن أوفى ترجمة عن القاضي الباقلاني هي التي

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، ط2، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، 1982م، ج 5، ص 27.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 24.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 5.

نجدها عند القاضي عياض بن موسى المالكي في ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك<sup>1</sup>، كما أنه وصف أئمة الأشعرية، أمثال الباقلاني وأبا بكر ابن فورك بقوله: "من أئمتنا"، وهي تأكيد وتوثيق بأن القاضي عياض أشعري المذهب<sup>2</sup>.

### 3. القاضي عياض والتصوف<sup>3</sup>:

- 1- جلال محمد عبد الحميد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ص 318 - 319.
  - 2- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص ح.
  - 3- قال الشيخ أبو القاسم القشيري: "تسمى الأفاضل الذين رأوا الرسول صلى الله عليه و سلم بالصحابة، ومن بعدهم بالتابعين ومن بعدهم بتابعي التابعين ووقفت التسمية، وبعد ذلك قيل للفضلاء من أهل الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت طائفة سمو بالصوفية بعد تمام المئتين من الهجرة، وقد اختلف في اشتقاق ذلك اختلافاً بينا، فقيل التصوف مشتق من الصفاء، وقيل من لبس الصوف، وقيل من الصفة وليس يتخرج شيء من ذلك على الطريقة المرضية للعربية إلا أن من قال يقال تصوف إذا لبس الصوف فذلك له وجه، إلا أن القوم لم يختصوا بلباس الصوف، ومن قال من الصفة أي أن هؤلاء من الصف الأول بقلوبهم، فذلك أيضاً له معنى والصحيح أن هذا الاسم لهم كاللقب"، قال الحافظ أبو نعيم: "قيل هو مشتق من الصفاء أو من الصوفانة أو من صوفة أو من صوفة القفا، أما من الصفاء لصفاء قلوبهم، وأما من الصوفانة وهي بقلة لاجتزائهم بأكلها عن الطعام، وأما من صوفة فهي قبيلة كانت تجيز الحاج على وجه الدهر أي أنهم كأنهم مجتهدون في أفعال، أما من صوفة القفا فلانعطفهم على الطاعات، كانعطف صوفة القفا عليه".
- والتصوف كما يعرفه ابن خلدون: "محاسبة النفس على الأفعال والتروك، والكلام في الأدواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات، ثم تستقر للمريد مقاما، ويطرق منها إلى غيرها، وللصوفية آداب مخصوصة بهم، واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلاح على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه، فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس يوجد لغيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه".
- ويبدو أن الطرق الصوفية لم تتكون في عهد المرابطين، ولكن تكونت في عهد الموحدين على الرغم من أن أصحاب هذه الطرق عاشوا في العهد المرابطي، وعندهم تلقى أبا مدين والشاذلي وغيرهم، يمكن تحديد ظهور مصطلح "تصوف" في المغرب والأندلس بأواخر القرن 3 هـ وبداية القرن 4 هـ، حيث أطلق هذا المصطلح على تلك الجماعات المتزهدة التي أصبحت تزاول رياضات وتتبع سبلا من التطهير الذاتي ومجاهدة النفس. أنظر عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، ط 2، الرباط، المطبعة الملكية، 1993 م، ص 37، عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 39، إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 181، محمد الكحلوي: الفكر الوصفي في إفريقية والغرب الإسلامي (ق 9 هـ - 15 م)، ط 1، بيروت، الطليعة للطباعة والنشر، 2009 م، ص 60.

كان تصوف القاضي عياض مرتبطاً بالشرع والالتزام بالقيم الروحية القائمة على توجيهات القرآن والسنة، فهو يمثل نموذجاً للمتصوف العابد المتمثل لأوامر الله، المبتعد عن اللغو والمبالغة في التقشف والعبادات<sup>1</sup>، فقد كان جواداً سمحاً من أكرم أهل زمانه، كثير الصدقة والمواساة، عاملاً مجتهداً، صواماً، يقوم ثلثاً الليل الآخر لجزء من القرآن، لم يترك ذلك قط على أية حالة حتى يغلب عليه، متدين متورّع، متواضع<sup>2</sup>.

حيث لم يختلط بأمور الدنيا ولا شغل باله بها، ووهب نفسه في حياته لربه ودينه، فكان مقبلاً على العلم والعبادة<sup>3</sup>، حتى أنه ترك شؤون إرثه، ولم يلتفت إلى شيء من ذلك، وأبقى جميع ذلك بيد أخيه، ثم أتلّف كل ما ورث من أبيه<sup>4</sup>، في وجه الخير، حيث كانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات، ووظائف العبادات، فكان معدوداً في أهل الزهد والإيثار، معروفاً بالورع والزهد<sup>5</sup>، مما جعل علماء الفقه وأكابر الصوفية يجمعون على فضله، منهم محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني في مصنفه النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، والذي قال فيه: "القاضي أبو الفضل العالم الشهير والولي الكبير، كان رحمه الله من أولياء الله في البلاد المغربية"<sup>6</sup>، وما نقله الكتاني في فهرس الفهارس الجزء عن كلام أبي عبد الله محمد الأمين الصحرّائي في كتابه المجد الطارف والتالد يشرح فيه شرح صائباً ما أدركه القاضي عياض بفضل علمه من مكانة عالية بين أولياء الله فيقول: "مقام عياض مثل مقام البخاري والأئمة الأربعة فهم حملة الشريعة،

<sup>1</sup> - جمال علال البختي: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، ط

1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2005 م، ص 85.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 5.

<sup>3</sup> - الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب، المرجع السابق، ص 263.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 112 - 113.

<sup>5</sup> - محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، ص 238.

<sup>6</sup> - محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني: نفس المصدر، ص 237.



وعلمهم التي يبثون في صدور الرجال بالتلقين أو التأليف هي أورادهم والوسيلة التي بينهم وبين الله، وذلك أجل الأوراد وأجدرها نفعاً وأبقى للثواب بعد المدة البعيدة"<sup>1</sup>. فكان متميزاً جمع في شخصيته بين الإيمان الراسخ والعلم الوافر، وبعد في النظر، وعمق في الإدراك، وحكم في المعالجة، مما جعله أحد أوعية العلم في زمانه، حافظاً فقيهاً مبرزاً على أقرانه، استطاع الجمع بين السلف والزهد والتصوف، الذي أخذ مبادئه من أكابر شيوخ التصوف في زمانه، نذكر منهم:

- محمد بن خميس أبو عبد الله الصوفي: كان من أهل النقشف التام والصلاح والفضل، والتكلم على كتب حارث المحاسبي<sup>2</sup> وطبقاته، له تأليف "المنتقى من أهل النقي"، سمع منه القاضي عياض بعضه وأجازته كتاب الرعاية لحارث المحاسبي<sup>3</sup>.

- الشيخ أبو سعيد حيدر بن يحيى بن حيدر بن يحيى الجيلي الصوفي: كان ممن تزهد وتصوف، يصوم أكثر الدهر، يعتمر كل يوم عمرة، ولا يكلم في رمضان أحداً، توفي بمكة وقد زاد على ثمانين سنة في حدود 503 هـ، أجاز الشيخ أبو سعيد القاضي عياض جميع رواياته<sup>4</sup>.

- الإمام أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي، أقام في الشام مدة، تفوق في الفقه مذهباً وخلافاً في الأصول وعلم التوحيد وأحرز الإمامة ودرس هناك، لازم الزهد والقناعة، ذاع

<sup>1</sup>- الخطابي: المرجع السابق، ص 179.

<sup>2</sup>- من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأصول والمعاملات، له تصنيف في الزهد والرد على المعتزلة. توفي سنة 243 هـ، انظر القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، هامش ص 92.

<sup>3</sup>- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 92.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 142 - 143.

صيته وعظمت رياسته، ذكر القاضي عياض أنه كتب له يجيزه جميع رواياته  
وتصانيفه<sup>1</sup>.

وهؤلاء هم بعض من شيوخ القاضي عياض الزهاد الذين أثروا عليه بسلوكهم  
وفكرهم، وساهموا في تشكل شخصيته وثقافته الصوفية، يضاف إلى ذلك كتب الزهد  
والمواعظ والوصايا التي درسها أمثال: "آداب الصحبة" لأبي عبد الرحمن السلماني، "أدب  
النفوس" لمحمد بن جرير الطبري، "بهجة المجالس" لابن عبد البر، "تنبيه الغافلين" لنصر  
بن محمد السمرقندي، "الخصال" لأبي بكر أحمد بن عمر الخفاف الصوفي ت 350 هـ،  
"شفاء الصدور" لعبد الرحمن بن محمد الجذامي، "موعظة" داود بن جهور<sup>2</sup>، "الرعاية"  
للمحاسبي، "الإخبار عن فوائد الأخيار"، "أنوار الحقائق وأسرار الدقائق" للسالمي والكلبي<sup>3</sup>.  
كما أن اهتمام القاضي عياض كان واضحاً بالتصوف، من خلال ما اشتملت عليه  
مصنفاته من إشراقات صوفية، فقد اهتم في كتاب الشفا بمواضيع الزهد، حيث يقول "وأما  
زهده في الدنيا، أي عدم ميله إليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدانها"<sup>4</sup>، كما نجد في مقدمة  
كتاب الشفا قوله: "أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، وأطف لي ولك بما لطف بأوليائه  
المتقين، الذين شرفهم الله بنزل قدسه، وأوحشهم الخليفة بأنسه، وخصهم من معرفته  
ومشاهدة عجائب ملكوته، وآثار قدرته، بما ملأ قلوبهم حبرة، ووله عقولهم في عظمتهم  
حيرة، فجعلوا همهم به واحداً، ولم يروا في الدارين غيره مشاهداً، فهم بمشاهدة جماله  
وجلاله يتنعمون"<sup>5</sup>، وهو جزء قصير مليء بالمصطلحات المعتمدة من قبل الصوفية، كما

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 63-64.

<sup>2</sup> - الحسين بن محمد الشواط: القاضي عياض عالم المغرب، المرجع السابق، ص 150 - 155.

<sup>3</sup> - جمال علالا البختي: المرجع السابق، ص 88 - 89.

<sup>4</sup> - الملا علي القاري: شرح الشفا للقاضي عياض، ضبطه: عبد الله محمد الخليفي، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 2001م،  
ج1، ص 313.

<sup>5</sup> - القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد الجاوي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1984م،  
ج1، ص 3-4.

اعتمد في كتاب الشفا على العديد من مؤلفات الصوفية أمثال: الرسالة القشيرية، قوت القلوب، ولطائف الإشارات القشيرية... وغيرهم، كما ردد فيه العديد من العبارات، ومن أمثلة ذلك: حكى عن بعض المريدين، عند الصوفية<sup>1</sup>...

واهتمام القاضي عياض بالتصوف كان أيضاً واضحاً وجلياً في مصنفه ترتيب المدارك، أين عرف بكبار علماء المتصوفة المالكيين، فبسط أخبارهم وعرض آثارهم وأعمالهم في تراجم وافية، أمثال الشيخ أبي بكر الشلبي ت 334 هـ، الذي وصفه القاضي عياض بشيخ الصوفية، ذي الأنباء البديعة، والآثار الغريبة، والذي اعتبره أحد المتصرفين بعلوم الشريعة، وأعلم الصوفية، ولم يتوان عن ذكر كراماته وعلمه وعجائب أحواله، وعبادته<sup>2</sup>، والشيخ ربيع القطام الذي قال فيه القاضي عياض: "قال المالكي: وكان ربيع من الفقهاء المعدودين، والعباد المجتهدين، والنساک أهل الورع والدين"، كما ذكر أنه كان لسان إفريقية في الزهد والرقائق في وقته، وشملت ترجمته أخبار فضائله وزهده<sup>3</sup>.

بالإضافة إلى العديد من أشعاره التي تبين البعد الصوفي لديه أمثال:

في مناجاة المولى<sup>4</sup>:

إِلَيْكَ بُوْتُ بِدَنْبِي فَاغْفِرْ خَطَايَايَ رَبِّي

وَأْمُنُّ عَلَى بَلْطَفٍ تَجْبِرُ بِهِ صَدْعَ قَلْبِي

فَقَدْ رَكِبْتُ ذُنُوباً سَوَدْتُ مِنْهِنَّ كُتُبِي

وَطَالَ تَقْصِيرُ سَعْيِي فِي كُلِّ فَرِيضٍ وَنَدْبٍ

وَقَدْ أَسَأْتُ فَأَحْسَنْ إِذْ ضَاقَ بِالذَّنْبِ رَحْبِي

<sup>1</sup> - حسن جلاب: الآثار الأدبية لصوفية مراكش، ط1، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 1994م، ص 32، 185.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 5، ص 30 - 32.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 310 - 311.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 97، المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 269.

فاقْبَلْ بِفَضْلِكَ تَوْبِي      واغْفِرْ بِرُحْمَاكَ ذَنْبِي

وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي      فَأَنْتَ يَا رَبَّ حَسْبِي

في المدح والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>:

إِلَيْكَ مَدَدْتُ الْكَفَّ أَسْتُمْطِرُ الْفَضْلَا      وَأَسْتَكْشِفُ الْبَلْوَى وَأَسْتَعْطِفُ الطُّوْلَا

دَعْوَتُكَ مُضْطَرًّا فَعَجِلْ إِجَابَتِي      بِتَفْرِيجِ كَرْبٍ طَالَمَا وَصَلَ الْهَوْلَا

وَأَنْتَ مَلَأَدِي يَا مُرَادِي وَسَيِّدِي      فَسَامِحْ مُسِيئًا، قَدْ جَنَى الْجُدَّ وَالْهَزْلَا

نِدَاءٌ مُدَى الْأَعْمَارِ يَا فَالِقُ النَّوَى      وَيَا سَامِعَ النَّجْوَى وَيَا مِنْ هُوَ الْأَعْلَى

يُنَيْمُ مِنَ الطَّاعَاتِ عَفْوِكَ يُرْتَجَى      قَهَ الْفَقْرَ وَالْإِفْلَاسَ وَالْفَقْدَ وَالذُّلَا

وغير ذلك من آثار التي أكدت أن القاضي عياض كان من المتصوفة المعتدلين، الذين اهتموا بالتصوف الروحي السامي، الذي لا يتعارض مع العمل والحياة، وهو ما أكده حسن جلاب بقوله: "يمكن القول بأن هناك تكاملا بين آثار عياض، فمن تكريم النبوة وتدوين السيرة والشمائل المحمدية في قصائده المدحية الدينية، إلى تكريمها ورد الاعتبار إليها والتعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم في كتاب الشفا، مع نفس الاهتمام والغرض تدوين السيرة وجمع الأحاديث... وهو في هذه الآثار كلها يوفق بين الشريعة والحقيقة فلا يسد الأبواب في وجه التيار الصوفي، الذي كانت أسسه تمر بمرحلة التكوين في عصره، ولا ينساق وراءها مندفعاً بل إنه يأخذ من هذا وذاك بالمقدار الذي يضمن استمرارية الوحدة المغربية ولا يهدد كيانها"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 4، هامش ص 270، جمال علال البخني: المرجع السابق، ص 92.

<sup>2</sup> - حسن جلاب: الآثار الأدبية لصوفية مراكش، المرجع السابق، ص 186.

وإلى جانب ما تم ذكره، فقد كان القاضي عياض على علاقة بكبار الزهاد المتصوفة في عصره أمثال ابن العريف<sup>1</sup>، حيث أكد في العديد من المصادر أنه كان هناك مراسلات بين القاضي عياض وبين ابن العريف، وتبادل للأفكار والآراء<sup>2</sup>.  
أما في موقف القاضي عياض من كتاب "الإحياء" للغزالي<sup>3</sup>، على الرغم من اختلاف الآراء وتعدددهم، فليس لنا أحسن مما قال بلسانه والذي نقله ابنه محمد في قوله: "وأخبرني ابن عمي أبي عبد الله الزاهد رحمة الله عليه، قال لي: تذاكر يوم عمي، يريد أبي رضي الله عنه، مع شيخه أبي محمد بن منصور، كتاب الإحياء لأبي حامد، فقال أبي رحمة الله عليه: لو اختصر هذا الكتاب، واقتصر على ما فيه من خالص العلم لكان كتاباً مفيداً"<sup>4</sup>، كما نقل الذهبي من كتاب "معجم أبي علي الصديقي" للقاضي عياض فقرة نصها: "والشيخ أبو حامد ذو الأنبياء الشنيعة والتصانيف العظيمة غلا في طريقة التصوف وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك وألف تأليف مشهورة أخذ عليه منه

1- هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، من طنجة أصلاً، انتقلت أسرة والده إلى المرية، وقد درس على علماء بالمرية وقرطبة وغيرهما، ومن أساتذته، أبو علي الصديقي وأبو القاسم ابن النحاس، وقد تعاطى التدريس ثم تولى الحسبة ببلنسية، وبعد أن كان فقيه ومحدث أصبح يميل إلى الزهد والتصوف، واشتهر زهده في الأندلس. انظر إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 182.

2- جمال علال بختي: المرجع السابق، ص 89.

3- محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، أبو حامد، حجة الغزالي (450-505هـ)، فيلسوف، متصوف، رحل إلى النيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، ثم عاد إلى بلدته الطبران بخرسان، قرأ الفقه في صباه في بلده ولازم إمام الحرمين فجد واجتهد حتى برع في الجدل والمنطق والمذهب والخلاف، قرأ الفلسفة والحكمة وتمكن من ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتب أحسن تأليفها، كان شديد الذكاء والفتنة، ناظر العلماء والأئمة في مجالسه حتى أصبح انظر أهل زمانه وأوحد أقرانه، وقصد الوزير نظام الملك فلازم مجلسه وحدث وناظر وتصدى، أشهر ما كتب "إحياء علوم الدين"، الذي يعتبر من أعظم التصانيف التي صنفت في معرفة قواعد الأحكام. انظر أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2005م، ص 5.

4- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 106.

مواضع<sup>1</sup>، وهو ما أكده الباحث محمد العربي الخطابي بقوله: "الحقيقة إن القاضي عياض لم يشارك في أية فتوى بإحراق كتاب الإحياء، فقد كان عمره حينما وقع ذلك سبعا وعشرين سنة، وهو ما يزال طالبا للعلم، ولم يكن قد سافر بعد إلى الأندلس للأخذ من علمائها، ومنهم ابن حمدين قاضي قرطبة، ومنتزعم الحركة المناهضة للغزالي وعياض لم يرحل إليها إلا سنة 507 هـ ولم يتول خطة القضاء في بلاده إلا سنة 515 هـ<sup>2</sup>.  
ويبدو أن ارتباط اسم القاضي عياض بالأولياء كان في عهد المرينيين بعد أن تم انتشار قبره بمراكش من الإهمال، وأعيد بناؤه، حيث عرف لدى بعض الصوفية، الذين كانوا يزورونه لقراءة كتاب "الشفاء"، ومن هنا صار العامة يقصدونه للتبرك والاستشفاء، حتى صار ذاكرة دينية ووليا من أولياء مراكش السبعة<sup>3</sup>، وقد ذكره اليوسي في قصيدته المشهورة عنهم مطلعها<sup>4</sup>:

بِمَرَكَشٍ لَاحَتْ نُجُومٌ طَوَالِعُ      جِبَالِ رَوَاسٍ بِلِ سَيُوفٍ قَوَاطِعُ  
فَمِنْهُمْ أَبُو يَعْقُوبَ ذُو الْعَارِ يَوْسُفَ      إِلَيْهِ تُشِيرُ بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعُ  
وَنَجَلُ أَبِي عُمَرَانِ عِيَاضُ الَّذِي      إِلَى عِلْمِهِ فِي الْكَوْنِ تُصْغَى الْمَسَامِعُ

وعلى الرغم من ظاهرة التبرك بضريح القاضي عياض بعد وفاته، إلا أن تصوفه في حياته تصوف نقى، لا أثر فيه إلى البدع والفلسفة، فهو أقرب إلى النسك والزهد منه إلى التصوف.

1- جمال علال البختي: المرجع السابق، ص 91.

2- محمد العربي الخطابي: المصدر السابق، ص 190.

3- جمال علال البختي: نفس المرجع، ص 84.

4 - حسن جلاب: الحركة الصوفية في مراكش ظاهرة سبعة الرجال، ط1، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 1994م، ص 169.

## الفصل الثاني: القاضي عياض والسلطة بين التجانس والاختلاف

### أولاً: السلطة في عصر القاضي عياض

1. مصطلح السلطة في الفكر الاسلامي

2. دولة المرابطين

3. دولة الموحيدين

### ثانياً: علاقة القاضي عياض بفقهاء السلطة

1. الفقهاء بين الدين والسياسة في دولة المرابطين والموحيدين

2. القاضي عياض وعلاقته بفقهاء السلطة

### ثالثاً: علاقة القاضي عياض بالسلطة السياسية

1. أمراء السلطة في عصر القاضي عياض

2. علاقة القاضي عياض بأمراء السلطة المرابطية

3. علاقته بسلطة الموحيدين

عاش القاضي عياض في ظل حكم سلطتين كان لهما دور كبير في تاريخ الغرب الإسلامي، الأولى عاصر جلّ أطوارها، وعاش في ظل حكمها، وهي دولة المرابطين التي جمعت بين سلطة الأمراء وهيمنة الفقهاء، فكان الانسجام بينهما لدرجة سميت فيه دولة الفقهاء، والثانية زامن فيها القاضي عياض ظهور داعيتها المهدي ابن تومرت ثم قيامها وسيطرتها على كل الغرب الإسلامي بقيادة خليفتها عبد المؤمن بن علي وهي دولة الموحدين.

### أولاً: السلطة في عصر القاضي عياض

شكل المرابطون والموحدون سلطتين تدفقت من تيارين كبيرين، تيار أول استهدف تغيير القيادة من الداخل تغييراً جزئياً مع تحقيق بعض الإصلاحات، وهو تيار تبنته سلطة المرابطين في بدايتها، محاولة إصلاح مجتمع الملتهمين، وتيار ثاني استهدف الانقلاب والثورة على القيادة، مع إنشاء صيغ وسياسات جديدة، لإزاحة مركز السلطة والحلول محلها، مثله تيار الموحدين<sup>1</sup>.

#### 1. مصطلح السلطة في الفكر الإسلامي:

وجد الأصل اللغوي لمصطلح "السلطة" في القرآن الكريم، إلا أنه لم يحمل المعنى الحقيقي للسلطة السياسية، فإذا رجعنا إلى كتب التفسير نجد مصطلح "السلطان" في القرآن الكريم له دالتين، الأولى القدرة الغالبة والقاهرة، أما الدلالة الثانية الحجة القوية القاطعة<sup>2</sup>، مثل قوله تعالى: "إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ" (النجم: 24)<sup>3</sup>، وفي قوله تعالى: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة: 251)، قيل في معناه: لولا إن الله تعالى أقام السلطان في الأرض

<sup>1</sup> - انظر عماد الدين خليل: حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي، ص 69.

<sup>2</sup> - يوسف القرشي: عن نظرية السلطة في الإسلام دراسة في مفهوم السلطة السياسية ومصادرها والقيود عليها، ط1، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2019م، ص 47.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 47.



يدفع الأقوياء عن الضعفاء، وينصف المظلومين من ظالمهم، لأنقض الناس بعضهم على بعض، ثم أنعم الله تعالى على عباده بإقامة سلطان لهم<sup>1</sup>.

أما في السنة فيبدو أنها أكدت على وجوب "السلطة" وأشارت إلى وظيفتها الموضوعية على وجه التحديد، لكنها سكتت عن تناول التفصيلي للمصطلح من جهة الشكل، أي سكتت عن تعيين نظام الحكم في الدولة<sup>2</sup>، فقد ورد مصطلح السلطان بمعنى الإمام، البيت، الحجة، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيُضَبِّرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً "<sup>3</sup>.

ومصطلح "السلطة" لم يستخدم في التراث الإسلامي إلا متأخرا، وإن كان معناه الحقيقي حاضرا في كتب السياسة الشرعية والفقهاء تحت باب: الخلافة، الإمامة<sup>4</sup>، أين ارتبط بمفهوم الإمامة الكبرى، الواجبة شرعا وعقلا<sup>5</sup>، كما عبّر عنه بمصطلحات أخرى، منها مصطلح "السياسة"، الذي استخدمه الغزالي<sup>6</sup> مؤكدا أنها وجدت لاستصلاح الناس، وذلك بإرشادهم إلى

<sup>1</sup>- بدر الدين بن جماعة: تحرير الاحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، قطر، طبعه رئاسة المحاكم والشؤون الدينية، 1985م، ص49.

<sup>2</sup>- عبد الجواد ياسين: السلطة في الإسلام، ص235.

<sup>3</sup>- يوسف القرشي: المرجع السابق، ص48.

<sup>4</sup>- نفس المرجع، ص13.

<sup>5</sup>- بريكة مسعود: النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م)، ط1، الجزائر، دار ميم للنشر، 2014م، ص48.

<sup>6</sup>- هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، كان مولده ووفاته في الطابران، قسبة طوس بخراسان، (450-505هـ)، قرأ الفقه في صباه ببلده على يد الشيخ أحمد الرادكاني، ثم رحل إلى جرجان بعد أن اشتد عوده ولقي بها الإمام أبا القاسم الإسماعيلي، ثم رحل إلى نيسابور أين لقي أعجوبة عصره إمام الحرمين عبد الملك الجويني شيخ المذهب والخلاف، فأقبل عليه يجد ويحصل ويجتهد، حتى برع في الجدل والمنطق والمذهب والخلاف، وقرأ الفلسفة والحكمة وتمكن من ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وصنف في كل فن من هذه الفنون، كان شديد الذكاء والفطنة، وناظر العلماء والأئمة في مجالسه حتى أصبح أنظر أهل زمانه، قصد الوزير نظام الملك ولزم مجلسه، كان له العديد من التصانيف أشهرها كتاب "إحياء علوم الدين"، الذي يعتبر من أعظم التصانيف التي صنفت في معرفة قواعد الأحكام. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2005م، ص5، صالح الشاعر: المختارات الشعرية لأبي حامد الغزالي من كتابه إحياء العلوم، مكتبة مدبولي الصغير، ص5.

الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة<sup>1</sup>، ومصطلح "الولاية" الذي عبر عنه ابن تيمية<sup>2</sup> قائلاً: "إن مقصود الولاية حصول القدرة والسلطان الذين تحصل بهما مصالح الإمامة"<sup>3</sup>، مؤكداً أن الولاية تمثل: أمانة، واجب، مسؤولية، نيابة، وكالة<sup>4</sup>.

ومسألة الإمامة أو الخلافة مسألة مهمة في العالم الإسلامي، أخذت قدرا قل ما حظيت به مسألة من المسائل، وأحدثت نزاعا سياسيا وفكريا حادا بين مختلف طوائف الأمة، نزاعا أدى فيه السيف دوره في بعض الأحيان، وأدى فيه كل من اللسان والقلم دوره في كثير من الأحيان<sup>5</sup>، فقد كثر فيه الكلام والجدال بين العلماء القدامى والمحدثين<sup>6</sup>، وكانت البداية في كتابات المفسرين والمحدثين في شرح الآيات والأحاديث المتعلقة بأولي الأمر ووجوب طاعتهم<sup>7</sup>، ثم تطورت

1- محمد بن محمد الغزالي: فاتحة العلوم، ط1، مصر، المطبعة الحسينية، 1322هـ، ص 6.

2- هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبي العباس، تقي الدين بن تيمية، الإمام شيخ الإسلام، ولد في سنة 661 هـ، في أسرة من اعرق الأسر علما في الإسلام، فأبوه أبو المحاسن عبد الحلیم من كبار الحنابلة وأئمتهم، وجده أبي البركات عبد السلام ابن عبد الله من أئمة فقهاء الحنابلة، وكان محدث مفسر أصولي، وفي كنف هذه الأسرة تلقى علومه، وفي سنة 667 هـ انتقل ابن تيمية مع عائلته إلى دمشق، وهناك تقطعت مداركه، فنبغ واشتهر، وعمل على الاختلاط بالشيوخ والأخذ عنهم، أين برع في كل فن، واستوعب التراث الفكري والديني الذي تركه الأسلاف، جعله حافظا بين المحدثين، علما بين المفسرين، إماما بين المتكلمين، فقيها أصوليا، جعل له مكانة عليا وشهرة وسعت الآفاق، له العديد من المصنفات منها: "السياسة الشرعية"، "الإيمان"، "الجمع بين النقل والعقل". انظر ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983م، ص أ - د.

3- فؤاد عبد المنعم: شيخ الإسلام ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى، ط1، الرياض، دار الوطن، ص 100.

4- نفس المرجع، ص 213.

5- محمد رأفت عثمان: رياسة الدولة في الفقه الإسلامي، مطبعة السعادة، ص ب.

6- صلاح الدين محمد نوار: الخلافة أو الامامة وتطورها السياسي والديني (11-41هـ/611-632م)، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1996م، ص 7.

7- فؤاد عبد المنعم: نفس المرجع، ص 49.

لتشمل بحوث سياسية خصبة، لشوامخ الفكر الإسلامي كأبي الحسن الماوردي (ت450هـ)<sup>1</sup>، ابن الحزم الظاهري (ت456هـ)<sup>2</sup>، الغزالي (ت505هـ)<sup>3</sup>.

أين نجد منهم من أقام السلطة الممثلة في الخلافة أو الإمامة على العقل، ومنهم من نجده أقامها على الشرع دون العقل<sup>4</sup>، وهو ما أكده الماوردي في قوله: "واختلف في وجوبها هل وجبت بالعقل أو بالشرع؟ فقالت طائفة: وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء في التسليم لزعيم يمنعهم النظام ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين، وهمجا مضاعين... وقالت طائفة أخرى: بل وجبت بالشرع دون العقل، لأن الإمام يقوم بأمر شرعية قد كان مجوزا بالعقل ألا يرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا بها، وإنما أوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن النظام والتقاطع، ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل، فيتدبر بعقله لا بعقل الآخر، ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليه في الدين"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- أبو الحسن علي بن محمد المشهور بالماوردي في المصادر التاريخية والفقهية، نسبة إلى عمل عائلته بصناعة ماء الورد وبيعه، ولد سنة 364هـ / 972م بالبصرة، درس فيها الفقه الشافعي، ثم رحل إلى بغداد لتكملة دراسته في الفقه الشافعي على يد رئيس الشافعية الإسفرائيني، كما درس إلى جانب ذلك الحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية، تقلد زعامة الشافعية في عهد الخليفة العباسي القادر بالله، واشتهرت سفاراته الدبلوماسية بين أمراء بني بويه والخلفاء العباسيين، وكذلك بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة في بداية أمرهم، اشتهر بالعديد من المصنفات في التفسير والفقه، الحسبة، كتب الاجتماع والسياسة حيث لازمت شهرته كتاب الأحكام السلطانية، توفي سنة 450هـ / 1058م. الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1، المنصورة، مطابع الوفاء، 1989م، ص خ

<sup>2</sup>- هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي، ولد بقرطبة سنة 384هـ، كان والده من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر، درس في بداية أمره فقه المالكية وقرأ موطأ مالك، كما درس المذهب الشافعي وتعصب له، ثم انتقل إلى المذهب الظاهري، فعمل على تنقيح المذهب وجادل عنه، ووضع فيه الكتب في بسطه وتفسيره، ثم اتخذ لنفسه مذهباً خاصاً وأقوالاً تقرد بها، له العديد من المصنفات منها: "الإيصال إلى فهم كتاب الخصال"، "طوق الحمامة"، "حجة الوداع"، توفي ابن حزم عن عمر ناهز إحدى وسبعين سنة، وذلك سنة 456هـ. انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، القاهرة، دار المعارف، ص5-12.

<sup>3</sup>- محمد رأفت عثمان: الرياسة في الفقه الإسلامي، ص ج.

<sup>4</sup>- صلاح الدين محمد نوار: المرجع السابق، ص 9-10.

<sup>5</sup>- الماوردي: نفس المصدر، ص 3-4.

مبيناً أن عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، لأنها وضعت لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا<sup>1</sup>.

أما ابن خلدون فقد ذكر أن اجتماع البشر أمر ضروري لا بد منه، وأن السلطة واقع حتمي لذلك الاجتماع، لما يترتب عليه من تعصب مؤدّ للنزاع والقتل فوجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية ينفذون إلى حكمها، وهو ما يحتاجه الناس لحفظ دينهم وسياسة دنياهم، وبذلك فإنه يؤكد على أن السلطة هي المانع لانتشار التخاصم والتظالم المؤدي لهلاك البشر<sup>2</sup>. وهو ما ذهب إليه ابن أبي الربيع<sup>3</sup> بقوله: "لما اجتمع الناس في المدن وتعاملوا، وكانت مذاهبهم في التناسف والتظالم مختلفة، وضع الله سنناً وفرائض يرجعون إليها ويقفون عندها، ونصب لهم حكماً يحفظون السنن، ويأخذونهم باستعمالها لتتظم أمورهم ويجمع شملهم، ويزول عنهم التظالم والتعدي الذي يبدها شملهم ويفسد أحوالهم"<sup>4</sup>.

وعرف ابن خلدون الخلافة والإمامة على أنها "نباية عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا"<sup>5</sup>، وإن القائم بهذا المنصب يسمى إماماً وخليفة، موضحاً أن تسميته بالخليفة لكونه ينوب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في أمته، وأما تسمية الإمام لتشبهه بإمام الصلاة في إتباعه والافتداء به، مع التأكيد أن منصب الإمام أمر إلزامي عرف وجوبه في الشرع باتفاق الصحابة والتابعين، كما ذهب بعض الناس أن مدرك وجوبه العقل، لضرورة

1 - الماوردي: المصدر السابق، ص 3.

2- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2001م، ص 237-239.

3- هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، كان من رجال المعتصم، ذكرت المصادر أنه من أصحاب السياسة والحكمة، وأنه صاحب كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"، دون المزيد من المعلومات عن حياته، وقد ذكر أن صاحب مصنف الأعلام، وصاحب مصنف معجم المؤلفين ذكروا أن ولادته كانت سنة 218هـ ووفاته سنة 272هـ، وهو لا يتناسب مع ما قاله بأنه قدم الكتاب للخليفة المعتصم الذي ولي الخلافة (217-227هـ)، هذا يعني أنه كان طفلاً في فترة خلافة المعتصم. أحمد بن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار كنان للطباعة والنشر، ص 7-8.

4- أحمد بن أبي الربيع: نفس المصدر، ص 93.

5- نفس المصدر، ص 239.

اجتماع الناس وتعذر حياتهم منفردين<sup>1</sup>، وهو ما توافق مع قول الشافعي: "إن الإمامة لا بد منها، يعمل تحت ظلها المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويقاوم بها العدو، وتؤمن بها السبل، ويؤخذ بها للضعيف من القوي، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر"<sup>2</sup>.

وأما في ما يخص مهامها فقد أكد ابن أبي الربيع أن السلطة تحتاج أن يتولاها رئيس واحد، لأن كثرة الرؤساء تفسد السياسة وتوقع التشتت، وأن يكون سائر من ينصب لتمام التأثير والسياسة، أعوانا سامعين منفذين مطيعين لما يصدر عن أمر من يتولى السلطة حتى يكونوا كالأعضاء له ليستعملهم كيف يشاء، ويكون كالحاضر لجميع عمله بحضورهم وإنفاذهم أمره ونهيه<sup>3</sup>، ذلك أن "مدار حياة الناس منذ الأزل وإلى أن تقوم الساعة تدور حول هذين الأمرين، حقوق وحدود، والسلطة هي وحدها القادرة في المجتمع على استخلاص الحقوق من مغتصبها وردّها إلى أصحابها، وعلى إقامة الحدود ضد كل من تسول له نفسه خرق الحقوق، سواء كانت لله سبحانه أو للعباد أو لما هو مشترك بين الطرفين"<sup>4</sup>.

ومما سبق يتضح لنا أن السلطة تتمثل في الخليفة أو السلطان في المركز وممثليه في الولايات والأقاليم من الأمراء والولاة المكلفين بتدبير شؤون الأمة من حفظ الدين، وحماية البلد، ولها عند الرعية حق الطاعة والنصيحة<sup>5</sup>.

## 2. دولة المرابطين:

قامت سلطة المرابطين على أساس دعوة دينية إصلاحية، اعتمدت في بدايتها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موظفة المذهب المالكي ضد بقايا العبادات الوثنية،

<sup>1</sup> - أحمد بن أبي الربيع: المصدر السابق، ص 239 - 240.

<sup>2</sup> - عبود العسكري: أصول المعارضة السياسية في الإسلام، ط1، دمشق، دار معد للطباعة والنشر، 1997م، ص 54-55.

<sup>3</sup> - ابن أبي الربيع: نفس المصدر، ص 94.

<sup>4</sup> - الماوردي: المصدر السابق، ص د.

<sup>5</sup> - بريكة مسعود: المرجع السابق، ص 49-50.

التأثير الشيعي<sup>1</sup>، النفوذ البرغواطي<sup>2</sup>، عاملة على التمكين له في المغرب، الأندلس، وبلاد السودان<sup>3</sup>.

وتحدث الكثير من المؤرخين عن مطلع بدايتهم، معتبرين لقاء يحيى بن إبراهيم الجدالي بالفقيه المالكي أبي عمران الفاسي بالقيروان سنة 440هـ، طريق عودته من الحج هو نقطة البداية، أين سأل الفاسي الجدالي عن قبيلته، وطنه، مذهبه، وكان جوابه: جدالة قبيلته، الصحراء موطنه، وأن لا مذهب لهم<sup>4</sup>، مبررا ذلك بانقطاعهم في الصحراء، حيث لا يصل

<sup>1</sup> - تعتبر الشيعة من أكبر الفرق الإسلامية في العصور الوسطى، عرفت بنشاطها المكثف والمنأوى للسلطة، بحجة أنهم الأحق بالخلافة، استطاعوا من تأسيس خلافة لهم في المغرب سنة 297هـ بقيادة عبيد الله المهدي، ودامت الخلافة إلى غاية 362هـ وهي السنة التي رحل فيها المعز الفاطمي من المغرب إلى مصر لتولي الحكم فيها، مستخفا على المغرب زيري بن بلكين الصنهاجي، وطيلة فترة حكمهم حشد الفاطميين جهودهم في سبيل نشر مذهبهم على نطاق واسع في بلاد المغرب. عائشة تازي: المد الشيعي في بلاد المغرب ورد فعل البربر: 297هـ-362هـ، مجلة عصور الجديدة، ع 7-8، 2012-2013م، ص 108، 118، 123.

<sup>2</sup> - كانت قبائل برغواطة تمثل عددا كثيرا وجمعا عظيما يتمركزون في بلاد تامسنا، قيل في متبئهم صالح بن طريف إنه يهودي الأصل، نشأ ببرباط وهو حصن من عمل شدونة ببلاد الأندلس، رحل إلى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلي، وتعلم السحر وفنونه، ثم قدم بلاد المغرب أين نزل ببلاد تامسنا، فوجد بها قبائل جهال أظهر لهم الإسلام والزهد حتى استفز عقولهم، فولوه على أنفسهم، فلما ولوه شرع الديانة التي أخذوها عنه، وكان يدعى من صدقه واتبع دينه برباطي ثم عربته العرب قفيل برغواطي، وسموا برغواطة، وقد نفى ابن خلدون ذلك مؤكدا أنهم من المصامدة، مواطنهم في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنقى وأسقى، كما ذكر أن طريف أبو صبيح كان كبيرهم، وأنه كان من قواد ميسرة الخفير طريف المضفري القائم بالدعوة الصفرية، كما ذكر أنه بعد هلاكه ولي ابنه صالح الذي كان حضر مع أبيه حروب ميسرة، وأنه كان من أهل العلم والخير فيهم، ثم انسلخ وانتحل دعوى النبوة، وادعى أن القرآن ينزل عليه، حرم فيها وحل وشرع، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين، ثم ادعى أنه المهدي، وأن سيدنا عيسى -عليه السلام- صاحبه، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، وبعد أن ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة خرج إلى المشرق وأوصى بدينه إلى ابنه إلياس، واستمر حالهم على الضلالة والكفر حتى ظهر أمر المرابطين. خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997م، ج2، ص 15-18. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2000م، ج6، ص 276-277، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م، ص 197-199.

<sup>3</sup> - مصطفى بنسباغ: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، تطوان، مطابع الشويخ، 1999م، ص15.

<sup>4</sup> - ينتمي الملتمين إلى قبائل كدالة، لمتنونة، جدالة، لمطة، مسوفة، وهي قبائل منتسبة إلى صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء، ذكرهم ابن خلدون قائلا "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملتمون الموطنون بالفقر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدها في المجالات هنالك دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها،

إليهم إلا بعض التجار المنشغلين بالبيع والشراء، مبينا رغبتهم في طلب العلم والتفقه في الدين إن وجدوا من يعلمهم، ملتصبا منه أن يبعث أحد طلبته معه، ولكن يبدو أنه لم يوافق أحدا منهم للذهاب معه وذلك لبعث الطريق والانقطاع في الصحراء<sup>1</sup>.

هنا تبين للشيخ أبي عمران أنه لتحقيق هذه المهمة لا بد له من فقيه صحراوي يعرف بيئة الملتصين وعاداتهم وتقاليدهم معرفة تامة<sup>2</sup>، فدل على وكاك بن زلو<sup>3</sup> فقيه من فقهاء المغرب الأقصى، كان بينهما قراءة ومعرفة، فتوجه إليه يحيى واجتمع به ودفع إليه كتاب أبي عمران

واعترضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران، واستثناسا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجز، واتخذوا من اللثام خطاما تميزا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من كدالة فلمتونة فمسوقة فوتريكة فناوكا فزغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس قبيلة طرابلس وبرقة، وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كأقدم، وكان دينهم المجوسية، ولم يزلوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس، كانت الرياسة فيهم للمتونة، واستوسق لهم ملك عظيم مذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل، توارثه ملوك دوخوا البلاد الصحراوية، وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الإسلام، فدان به كثيرون، وانقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم، ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعة، واستكروا على ذلك مائة وعشرين سنة، إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفات المعروف بتاسرتا للمتوني فاجتمعوا عليه احبوه وبإيعوه، وكان من أهل الفضل والدين والجهاد والحج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته. أنظر: جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية حضارية، الإسكندرية، دار الوفاء لدينا، ص83، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 241. الناصري: المصدر السابق، ص 5، muhittin kapanşahin: ispanya'da bir murâbitsultani: yusuf b. taşfina murabit, atlas international referred journal on social sciences, vol 4, issue 10, 2018, p799.

<sup>1</sup> - انظر ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2013م، مج 3، ص 5، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 122-123، مؤلف مجهول: الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979م، ص 20.  
<sup>2</sup> - سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1985م، ص 20.

<sup>3</sup> - وجاج بن زلو اللمطي ويسميه ابن خلدون بمحمد وكاك، وهو من أهل السوس الأقصى، رحل إلى القيروان لطلب العلم وأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم عاد إلى السوس أين بنى دارا لطلاب العلم وقراءة القرآن سماها دار المرابطين، كان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص 7.

الفاسي، فكان من الفقيه وكاك أن رحب به وأكرمه واختار له أحد طلبته وهو عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي<sup>1</sup> وأرسله معه<sup>2</sup>.

وكان عبد الله بن ياسين من أهل الدين والفضل ومشاركا في العلوم، التقاه قبائل كدالة ولمتونة<sup>3</sup> عند وصوله إليهم بالسرور، وبالغوا في إكرامه، فأخذ يبيت تعاليم الدين بين البدو الصحراويين، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، واشتد في مؤاخذتهم ومطالبتهم بالإقلاع عن تقاليدهم المنافية للإسلام<sup>4</sup>، فتركوا الأخذ عنه لما أثقلهم من مشاق التكليف، فأعرض عنهم ونبذ عن الناس في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها قليلا في المصيف وفائضا في الشتاء، شيد بها رابطة، وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاثة أشهر<sup>5</sup>، وتسامع بهم الناس، فتساليوا إليهم ودخلوا في رباطهم ودينهم<sup>6</sup>، فكان بمثابة منارة شخّ نورها في ظلمة الصحراء، شجعت أبناء القبائل على الانضمام إليه<sup>7</sup>.

1- هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، ولد في قرية بطرف صحراء غانة تسمى تاماناوت، وأمه هي تينايزامارن من بني جزولة، طلب العلم على الفقيه وجاج بن زلوا، ثم رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف حيث مكث بها سبع سنوات حصل فيها علما كثيرا، دخل المغرب الأقصى مع إبراهيم الجدالي سنة 430هـ إلى ديار جدالة وعلم الناس. سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 21-22.

2- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق، ص 20، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص243.

3- يقول صاحب الحلل الموشية: "فلمت جد لمتونة، وجدالة جد جدالة، ولمط جد لمطة، ومسطوف جد مسوفة، وهم ضواغن في الصحراء، رحالة لا يطمئن بهم منزل، وليس لهم مدينة يأوون إليها، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام، وهم على دين الإسلام، واتباع السنة، يجاهدون بلاد السودان". مجهول: الحلل الموشية، نفس المصدر، ص 17.

4- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 123، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، القاهرة، مطبعة المدني، 1997م، ص301.

5- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 243، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 124-125، الناصري: المرجع السابق، ص 8.

6- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 243.

7- سعدون عباس نصر الله: نفس المرجع، ص 27.



ولما اجتمع إلى عبد الله بن ياسين من أشرف صنهاجة نحو ألف رجل سماهم المرابطون للزومهم رابطته، ثم ندبهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة، وكانت بداية دعوتهم على الجهاد بالكلمة والإقناع، فسار كل رجل منهم إلى قومه وعشيرته، فوعظهم وأنذرهم ودعاهم إلى الإقلاع عما هم بسبيله فلم يستجيبوا لهم<sup>1</sup>.

مما جعل عبد الله بن ياسين يرفع لواء الجهاد ويحمل السلاح<sup>2</sup>، أين خرج هو ومن معه وقاتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة حتى أنابوا إلى الحق واستقاموا<sup>3</sup>، ثم واصل جهاده ضد باقي القبائل وجعل لذلك بيت مال، يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولى على قبائلها، واشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب، وفي طريق جهادهم توفي أميرهم يحيى بن إبراهيم الكدالي، فقدم ابن ياسين يحيى بن عمر اللمتوني ليقوم بأمر المرابطين في حربهم وجهادهم<sup>4</sup>، واستقام الأمر له وملك جميع بلاد الصحراء، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها، وكان من أهل الزهد والدين والصلاح<sup>5</sup>، واستطاع هو وعبد الله بن ياسين من إرساء قاعدة في غرب الصحراء، بعد أن وحدا القبائل الصنهاجية من جدالة ومسوفة ولمطة حول قبيلة لمتونة<sup>6</sup>، ولما توفي يحيى بن عمر سنة 447هـ قدم عبد الله بن ياسين على السلطة أخاه أبا بكر بن عمر، فبايعته قبيلة لمتونة وسائر الملثمين في محرم سنة 448هـ.

وفي سنة 450 هـ وصل أبو بكر إلى مدينة أغمات وملكها وامتلأ له شيوخها بالطاعة، وسكنها مع إمامه عبد الله بن ياسين، بعد ذلك انصرف عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسنا

<sup>1</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 9.

<sup>2</sup> - محمود السيد: المغرب الإسلامي في ظل دولتي المرابطين والموحدين، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2016م، ص 5.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 243.

<sup>4</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 126.

<sup>5</sup> - الناصري: نفس المرجع، ص 126.

<sup>6</sup> - عبد الله عروي: مجمل تاريخ المغرب، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000م، ج2، ص 114.

ليسكنهم ويحثهم على الطاعة، فكانت له فيهم وقائع وأيام استشهد فيها وذلك سنة 451هـ<sup>1</sup>، وبعد "مقتل الزعيم الروحي ومنظر الحركة المرابطية عبد الله بن ياسين، يبدو أن شخصية فقهية قد خلفته في هذا المنصب، فقد وردت إشارة عابرة عند ابن خلدون إلى المدعو سليمان بن حدو الذي شغل هذا المنصب لفترة قصيرة، إلى أن قتل أيضا من طرف البورغواطييين عام 451هـ<sup>2</sup>.

وبعد وفاة عبد الله بن ياسين تابع أبوبكر مهمته حتى خضعت له البلاد سنة 460هـ، وجعل أغمات مركزا له، فوجه عماله إليها، وتوالت عليه الوفود والجيوش من الصحراء حتى كثر الخلق وعظم الازدحام، فشكوا إليه ما يجدون من ذلك وأشاروا عليه الانتقال إلى فحص

<sup>1</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 23، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 244، جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 83، عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 115-116.

يذكر صاحب الحلل الموشية وابن عذارى أنه قتل من طرف البرغواطييين في إحدى المعارك التي جرت بينهما، وهو ما ذكره البكري بأنه قتل ببرغواطة سنة 451هـ سنة بموضع يقال له كريبلت، بينما ذكر ابن أبي الزرع أنه أصيب في المعركة بجروح كثيرة، ونقل على إثرها إلى معسكر المرابطين، وبعد نصحه للمرابطين توفي سنة 451هـ ودفن في موقع يعرف بكريفة بتامسنا وبني على قبره مسجد. ابن عذارى: المصدر السابق، ص13، الحلل الموشية: المصدر السابق، ص 23، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 132.

<sup>2</sup> - مصطفى بن سباع: المرجع السابق، ص 25.

مراكش<sup>1</sup>، فانتقل إليها وفي أثناء مقامه بلغه ما كان من ظهور جدالة على لمتونة<sup>2</sup>، فشرع في العودة إلى الصحراء سنة 463هـ، واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين<sup>3</sup>، وفوض إليه أمر المغرب وأمره بالرجوع إلى قتال من به من قبائل زناتة<sup>4</sup>.

فأقام يوسف بعده مدبرا للأمر قائما بالملك حتى قوي أمره وعظمت شوكته<sup>5</sup>، فلما سمع أبو بكر بضخامة ملك يوسف بن تاشفين وما فتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل إليه من الصحراء<sup>6</sup> ليختبر أحواله، ويقال إنه كان مضمرا لعزله وتولية غيره<sup>7</sup>، ولكن بعد لقاء أبوبكر

1- لما تجاوز المرابطون جبال الأطلس الكبير لم يخطر بأذهانهم الاستقرار في مدينة أغمات التي لا توفر إمكانات امتداد عمراني يستجيب لعاصمة في مستوى تطعمهم، حيث وقع اختيارهم على مراكش لأنه مكان محايد يوجد بسهل في أسفل حادور طويل يمتد من الدير إلى وادي تانسيفت، وعلاوة على توفر المساحات المنبسطة وحجارة البناء بجبل الجليز والصخور الكلسية لإنتاج الجير تانسيفت فإن تربة المنطقة خصبة جدا، وقد استقر المرابطون في مكان مراكش المنبسط الذي يضمن لهم ولبهاثهم حرية التنقل، أين أقاموا بها معسكرا ترامت خيامه وأحيطت بالزرب الشوكي، وفي سنة 462هـ ابتدئ بناء أساس مراكش وذلك قصر الحجر وشرع الناس في بناء الدور دون سور، واشترك في ذلك الأمير أبي بكر وإخوته وجميع أشياخ المصامدة والفعلة من البنائين وغيرهم، أين تم بناء قصر الحجر واستقرت فيه دار الخلافة، ذكر صاحب الاستبصار أن يوسف بن تاشفين أول من قام بتأسيسها سنة 459هـ، وأن أول من بنى فيها دار الأمة واختط سورها سنة 514هـ. مجموعة مؤرخين: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحد، ط1، الدار البيضاء، أشغال الملتقى الأول، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، 1988م، ص 71، 81، 84. مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 208-209.

2- نقل ابن خلكان عن كتاب "المغرب في سيرة ملوك المغرب" في سبب رجوع الأمير أبي بكر بن عمر إلى الصحراء ما مثاله قال: "كان أبو بكر بن عمر رجلا ساذجا خيرا الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال للرفاهية، وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملتهمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط، فلما حصلت البلاد لأبي بكر بن عمر سمع أن عجوزا في الصحراء ذهبت لها ناقة في غداة فبكت، وقالت: ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب! فحمله ذلك أن استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده الجنوبية". انظر الناصري: المرجع السابق، ص 21.

3- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 23.

4- ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلام ملوك الإسلام، ج2، ص 387.

5- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، نفس المصدر، ص 25.

6- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 135.

7- الناصري: نفس المرجع، ص 21.

بيوسف بن تاشفين ورؤية كثرة جيوشه تنازل أبوبكر عن السلطة إلى يوسف بن تاشفين وانصرف إلى الصحراء، أين أقام بها مدة يجاهد الكفرة من السودان إلى أن استشهد<sup>1</sup>.

تمتع بعدها يوسف بن تاشفين بالسلطة، وانتظمت له بلاد الأندلس، أين انقرض ملك الطوائف منها أجمع كأنه لم يكن، فاستولى على العدوتين معا وخطب لبني العباس، وهو أول من تسمى بأمرير المسلمين<sup>2</sup>، وفي عهد يوسف بن تاشفين انتقلت السلطة من طور الشورى والاختيار تحت رقابة عبد الله بن ياسين إلى وراثية<sup>3</sup>.

وبغض النظر عن طريقة تناقل السلطة فدولة المرابطين تمكنت في فترة حكمها من تحقيق ما عجز عنه من كان من قبلها، فقد حررت المغرب الذي كان يعاني تحت وطأة المغراويين، البرغواطيين، اليفرانيين وغيرهم، كما حررت بلاد الأندلس التي كانت هي بدورها تتألم وتلتوي وتتلقى الضربات تلو الضربات على يد النصارى الطغاة بسبب ملوك الطوائف، وتمكنوا لأول مرة من تخلص المغرب والأندلس من التمزق السياسي، الظلم الاجتماعي والاقتصادي، والفساد الخلفي<sup>4</sup>.

### 3. دولة الموحيدين:

لم يكن ظهور حركات المعارضة في المغرب الإسلامي إلا تعبيراً بشكل أو آخر عن الجدل مع السلطة، فكل الثورات استهدفت القيادات القائمة على زمام السلطة، ومعظمها كان

<sup>1</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 135.

<sup>2</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 56 - 58.

انظر: pascal buresi: les almoravides, p3, <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-01440057>

<sup>3</sup> - مصطفى بنسباغ: المرجع السابق، ص 142.

<sup>4</sup> - عبد الهادي الحسين: عياض خريج مدرسة الحديث المرابطية، مجلة الاعتصام، ص 8، ع 7، ص 44.

ذكر الباحث أنه كما كان لها الفضل في تخلص الأندلس من التمزق السياسي، كان لدخولهم الأندلس الدور الكبير في تسريع سقوط دولتهم، وذلك كان نتيجة اتصالهم المفاجئ بحضارة متطورة وهم غير مستعدين لذلك، حيث أنهم حينما دخلوا للأندلس كانت الآداب والشعر وملذات العقل حلت منذ زمن بعيد محل الحرب والرغبة في الغزو.

alfred bel: les benou ghanya, ernest leroux éditeur, paris, 1903, p7.

يملك برامج عمل ذات خلفية دينية عقائدية، كل حسب اجتهاده ومن زاوية رؤياه المذهبية، لتكون بمثابة خلفية تتخلق في رحمها الحركة وتكسب الأنصار وتربطهم بطروحات تلك العقائد<sup>1</sup>، ولم يختلف الأمر بالنسبة لسلطة المرابطين التي واجهت معارضة وثورة زعزعت كيانها، ومحت وجودها من قبل المصامدة<sup>2</sup> بقيادة المهدي ابن تومرت<sup>3</sup>.

وهنا لا نستطيع أن ننسب كل أمجاد دولة الموحدين لقبائل المصامدة وحدهم، فقد تطرقت الباحثة غرداين مغنية في أطروحتها عن نسب حركة الموحدين وانتمائها القبلي، مبينة أن أصل الموحدين يعود لقبائل عديدة، ذلك أن جماعة الموحدين تضم أشخاصا من عدة قبائل أغلبها مصمودية وأخرى زناتية، معتمدة في ذلك على أن صاحب الدعوة وهو المهدي بن تومرت أصله من قبائل المصامدة، وأن حامي الدعوة والمسؤول على استمراريتها عبد المؤمن بن علي هو من قبائل زناتة<sup>4</sup>.

وكان ابن تومرت في بداياته مجرد طالب علم، خرج من مسقط رأسه في قبيلة أرغن من شمال بلاد السوس<sup>5</sup> قاصدا الأندلس لتحصيله، ومنها ذهب للعراق حيث لقي الشيخ أبا حامد

1- عماد الدين خليل: حول القيادة والسلطة في التاريخ، ص 72-73.

2- كان لهم في صدر الإسلام بجمال درن عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لإخوانهم برغواطة في نحلة كفرهم، فكان منهم قبل الإسلام ملوك وأمراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته. الناصري: المرجع السابق، ص 78.

3- هو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، نسبة إلى قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس بالمغرب الأقصى، وقد غلب عليه لقب ابن تومرت، وقيل إن أمه من لقبته بابن تومرت وسبب ذلك أن أمه فرحت به وسرت، فقالت باللسان الغربي: "أتومرت اينويسكأبيوي"، ومعناه: يا فرحتي بك يا بني، وكانت أيضا إذا سئلت عن ابنها وهو صغير تقول باللسان الغربي: "بك تومرت" معناه: صار فرحا مسرورا. أنظر القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج1، هامش ص 13.

4- غرداين مغنية: نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة (ق5-7هـ / 11-13م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م، ص 39-40.

5- وهو بلد بالمغرب كانت الروم تسميه قْمُونِيَّة وقيل السوس كورة مدينتها طنجة، ويوجد السوس الأدنى والسوس الأقصى، ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين، وليس بالمغرب أجمع بلد أكبر ولا ناحية أوفر خير من السوس الأقصى، فهو مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها نهرا عظيما يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماسة، وعليه القرى المتصلة

الغزالي<sup>1</sup>، وقد ذكر صاحب القرطاس هذا اللقاء قائلاً: "كان جملة من لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الإمام الأوحى أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه، لازمه لاقتباس العلم منه ثلاث سنين، فكان أبو حامد إذا دخل عليه المهدي يتأمله ويختبر أحواله الظاهرة والباطنة، فإذا خرج عنه يقول لجلسائه: لا بد لهذا البربري من دولة، أما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه ويتسع ملكه فإن ذلك ظاهر عليه في صفاته، وبائن عليه في شمائله، وردت بذلك الأخبار، ودلت عليه العلامات والآثار، فنقل إليه الخبر بعض الأصحاب وأخبره أن ذلك عن الشيخ في كتاب، فلم يزل يجتهد في خدمة الشيخ ويتقرب إليه، حتى أطلعه على العلم الذي كان عنده فيه، فلما تحققت عنده الحال استخار الله تعالى وعزم على الترحال"<sup>2</sup>، وفي رواية أخرى "حكى ابن صاحب الصلاة عن عبد الله بن عبد الرحمن العراقي شيخ مسن من سكان فاس قال: كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي، فجاءه رجل كثر اللحية على رأسه كرزي صوف، فدخل المدرسة وأقبل على الشيخ أبي حامد، فسلم عليه فقال ممن الرجل؟ فقال من أهل المغرب الأقصى، قال: دخلت قرطبة؟ قال نعم، قال: كيف كان فقهاؤها؟ قال: بخير، قال: هل بلغهم كتاب الإحياء؟ قال نعم، قال: فماذا قالوا فيه؟ فصمت الرجل حياء، فعزم عليه ليقولن ما طراً، فأخبره بإحراقه وبالقصّة كما جرت، قال:

والعمائر الكثيرة والبساتين والجنات بأنواع الفواكه والثمار والاعناب وقصب السكر، وأهل السوس فرقنا إحداهما فرقة موسويون يقطعون على موسى بن جعفر صاحب بن ورسند والغالب عليهم الجفاء وغلظ الطبع، والفرقة الثانية سنية مالكية حشوية وبينهم القتال متصل ليلاً ونهاراً والدماء الدائمة، ولهم مسجد يصلي فيه الفريقان فرادى عشر صلوات إذا صلوا هؤلاء أتوا هؤلاء بعشر أذانات وعشر إقامات والمالكيون منهم فوق الشيعة في الفظاظه وغلظ الطبع وجباسة الأخلاق. مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 211، أبي القاسم ابن حوقل: المسالك والممالك، ليدن المحروسة، مطبع بريل، 1873م، ص 65-66، ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، مج3، ص281.

<sup>1</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 145.

تلقي دروس في قرطبة على يد القاضي ابن حمدون، ثم انتقل إلى المهديّة وحضر دروس الامام المازري، ثم انتقل إلى الإسكندرية وهو في سن 18 سنة من أجل لقاء الامام أبو بكر الطرطوشي، ثم انتقل إلى بغداد أين تلقى تعليمه على الشيخ أبو حامد الغزالي.

e.fagnan : almohades des hafcides, imprimerie adolphe braham, constantine, 1895, p2.

<sup>2</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 172. انظر الناصري: المرجع السابق، ص 90.

فتغير وجهه ومدّ يده إلى الدعاء، والطلبة يؤمنون، فقال: اللهم مزّق ملكهم كما مزقوه، وأذهب دولتهم كما أحرقوه، فقال أبو عبد الله بن تومرت السوسي الملقب بالمهدي: أيها الإمام، ادع الله أن يجعل ذلك على يدي، فتغافل عنه، فلما كان بعد أيام، أتى الحلقة شيخ آخر على شكل الأول، فسأله الشيخ أبو حامد، فأخبره بصحة الخبر المتقدم، فدعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدي: على يدي إن شاء الله، فقال: اللهم اجعله على يدك، فقبل الله دعاءه، وخرج أبو عبد الله ابن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب، وقد علم أن دعوة الشيخ لا ترد<sup>1</sup>.

عاد ابن تومرت إلى المغرب سنة 512 هـ على ما يحتمل<sup>2</sup>، قادما من المشرق بعد أن أمضى سنوات فيها طالبا للعلم متصلا بالعلماء، وأول نزول له إلى البر كان في المهديّة

<sup>1</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموسوية، المصدر السابق، ص 104-105.

تتفق جل المصادر القديمة التي أرخت لدعوة ابن تومرت على لقاء ابن تومرت بأبي حامد الغزالي، غير أننا نلمس في عدد من هذه المصادر الشك في هذا اللقاء وعدم الجزم بصحته، فنجد ابن خلدون يذكر اللقاء قائلا: "ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي وفأوضه بذات صدره في ذلك فأراد عليه لما كان فيه الإسلام يومئذ بأقطار المغرب من اختلال الدولة وتقويض أركان السلطان الجامع للأمة المقيم للملة"، وهو ما ذهب إليه المراكشي بقوله: "وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام ترده فإله أعلم"، بينما تشير بعض المصادر إلى أن ذلك اللقاء لم يتم إطلاقا، وإنما هو لقاء مزعوم اختلقه أنصار الدعوة الموحدية لتبرير عملية الإطاحة بالمرابطين، منهم ابن الأثير الذي أكد أن ذلك الاجتماع لم يتم إطلاقا. انظر مليكة عقون: إشكالية الإمامة في الفكر السياسي العربي الإسلامي " المهدي ابن تومرت نموذجا"، تلمسان، النشر الجامعي الجديد، 2018م، ص 44، ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 302.

أما فيما يخص حادثة إحراق كتاب الغزالي "الإحياء" فقد تم ذلك في أول سنة عام 503 هـ بأمر من أمير المرابطين علي بن يوسف وبإجماع فقهاء قرطبة بقيادة قاضيها آنذاك عبد الله محمد بن علي بن حمدين، أين تمت حرقه على هيئته بجلوده بعد وضع الزيت عليه، وحضر عملية الإحراق جماعة من أعيان الناس، ونفذ أمر الإحراق في جميع البلاد، حتى أنه أخذت نسخ من أصحابها من أجل إتلافها منها نسخة ميمون بن ياسين الذي توعدده علي بن يوسف على إحضارها، ومنها كتاب ابن العربي الذي أمر بحله في الماء، فحل معظمه وفقد سائرته، وتوالى الإحراق على ما اشترى منه في بلاد المغرب طيلة العام. ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي المكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 70-71.

<sup>2</sup> - ذكر محقق كتاب نظم الجمان أن ابن خلكان ذكر أن محمد ابن تومرت انتهى إلى المهديّة بعد سفره من مصر في عهد يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، وقد جعل ذلك في سنة 505 هـ، وكان قد ذكر في ترجمة تميم بن المعز أبي يحيى هذا أن ابن تومرت قد اجتاز بالمهديّة في عهده بعد عودته من المشرق، وذلك نقلا عن كتاب "أخبار القيروان" لعبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز، وقد نبه ابن خلكان على ذلك من تناقص واضطراب، أما ابن الأثير فإنه يتفق مع ابن خلكان في الرأي الأول وهو أن ابن تومرت دخل المهديّة في سنة 505 هـ في أيام يحيى بن تميم وذلك خطأ، إذ إن دخول

بإفريقية<sup>1</sup>، وكان ظاهريا يدعو إلى أحد أهم المبادئ الأساسية في الإسلام وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن باطنيا ابن تومرت لم يكن مجرد واعظ وعالم يقتصر على التضلع في علوم الدين وتحصيل العلوم أو صاحب مدرسة فقهية قائمة بذاتها، ولم يكن همه تأسيس فرقة أو إغناء مذهب ما، بل كان رجل له فكره وخططه لإحداث تغيير جذري في الحياة السياسية المغربية، وذلك ببناء سلطة وإسقاط سلطة<sup>2</sup>، وهو الهدف الذي كان يلتمسه منذ البداية، بالرغم مما صورته المصادر في أثناء رحلته وهو عائد إلى بلاده، أين نجده في البحر أو البر يلقي المواعظ دون أن يهتم بما يتعرض له من اضطهاد ومطاردة<sup>3</sup>.

هذا التغيير في سلطة بلاد المغرب ما كان ليحدث لولا ظهور شخصية قيادية برزت في حركة الموحدين وكان لها الدور الأساسي والبارز في تحويل دعوة ابن تومرت إلى دولة، وهو عبد المؤمن بن علي<sup>4</sup> أحد طلبه ابن تومرت وخليفته على الموحدين بعده<sup>5</sup>.

ويعد لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي في بجاية أهم شيء حدث له في هذه الرحلة، فالدولة التي كان يطمح لإنشائها، والسلطة التي كان يريد امتلاكها لا تقوم إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين<sup>6</sup>، وبعد هذا اللقاء أتم المهدي رحلته عبر المدن أين دخل مدينة تلمسان

---

ابن تومرت المهدي لم يحدث إلا في سنة 511 هـ في عهد علي بن يحيى بن تميم الذي حكم إفريقية ما بين سنتي 509-515 هـ. انظر ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي المكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990م، هامش ص 92.

<sup>1</sup> روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة: أمين الطيبي، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1982م، ص 11.

<sup>2</sup> ابن تومرت: اعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مراكش، مطبعة أوليلي، ص 26، محمد زنيبر: الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي ابن تومرت، مجلة المناهل، ع 24، 1982م، ص 119.

<sup>3</sup> محمد زنيبر: نفس المرجع، ص 118-119.

<sup>4</sup> سيتم تعريف الشخصية في الفصل الرابع.

<sup>5</sup> غرداين مغنية: المرجع السابق، ص 104.

<sup>6</sup> البيدق أبي بكر الصنهاجي: أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تصحيح وترجمة لافي بروفنسال، 1928م، ص 56.

تحدث البيدق عن لقاءهما فقال: "فرغ المعصوم رضه رأسه فواقفه أمامه فقال له أدخل يا شاب فدخل فأراد أمن يقعد في جملة الناس فقال له الامام المعصوم رضه اذن يا شاب فلم يزل يدنو من الامام والمعصوم يقربه حتى دنا منه فقال له



وقد سمع الناس فيها بخبره، فأحضره قاضيها ووبخه على خلافه لأهل قطره، ثم استمر في مسيره ومر على مدينة فاس ثم مكناسة أين تعرض فيها للضرب جراء نهيه عن المنكر، فخرج منها واستمر في سيره بين المدن المغربية حتى وصل إلى مدينة تينملل رغبة منهم بعد أن وصلت أخباره إليهم، أين أطاعوه وبايعوه<sup>1</sup>.

واتخذ الصراع بين المرابطين والموحدين اتجاها آخر منذ استقرار المهدي بتينملل سنة 518هـ، فبعد ما كان صراع مذهبي تحول إلى صراع عسكري، يشوبه العديد من المناوشات الحربية ضد المرابطين والقبائل المناوئة لهم<sup>2</sup>، واستطاع ابن تومرت تجهيز جيش عظيم من المصامدة، نزل لحصار مراكش وحاصرها شهر لكن الجيش انهزم انهزاما ذريعا وقتل منهم الكثير وسلم من القتل القليل كان فيهم عبد المؤمن بن علي<sup>3</sup>، وبعد هذه الواقعة غير الموحدون طريقتهم وصاروا "يشنون الغارات على نواحي مراكش، ويقطعون عنها مواد المعاش وموصول المرافق، ويقتلون ويسبون، ولا يبقون على أحد ممن قدروا عليه"<sup>4</sup>.

وفي ظل هذه الحرب والمناوشات التي كانت بينهم توفي المهدي ابن تومرت سنة 524هـ، وبويع بعده عبد المؤمن بن علي، وواصل عبد المؤمن حروبه مع المرابطين حتى وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ، وخلال هذه المرحلة عظم شأن الموحدين وتمت أحوالهم<sup>5</sup>.

---

المعصوم ما اسمك يا فتى فقال عبد المؤمن فقال له المعصوم وأبوك علي فقال نعم فتعجب الناس من ذلك فقال له يا شاب من أين اقبالك قال له من نظر تلمسان من ساحل كومية فقال له المعصوم من تاجرا أم لا فقال له نعم فزاد الناس تعجبا فقال له المعصوم رضه أين تريد يا فتى فقال سيدي نحو المشرق التمس فيه العلم فقال له المعصوم رضه العلم الذي تريد اقتباسه بالمشرق قد وجدته بالمغرب". البيدق: نفس المصدر، ص 55-56.

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 303، ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص 139.

<sup>2</sup> - أحمد عزايوي: رسائل موحدية مجموعة جديدة، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ج2، 2001م، ص 25.

<sup>3</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 89.

<sup>4</sup> - المراكشي: نفس المصدر، ص144.

<sup>5</sup> - أحمد طه: المرجع السابق، ص 97.

واستفحل أمر عبد المؤمن بتينملل وسائر بلاد المصامدة<sup>1</sup>، وانتصر على المرابطين انتصار باهر، عسكريا وسياسيا، واستطاع هزيمة جيش الأمير تاشفين الذي استدعاه الخليفة علي بن يوسف قبل وفاته من الأندلس سنة 532هـ لمحاربتهم بعد تفاقم هجماتهم، وسيطر على العديد من المدن منها: تلمسان سنة 539هـ، فاس سنة 540هـ، مراكش سنة 541هـ<sup>2</sup>. ولما دان لعبد المؤمن جميع أقطار المغرب الأقصى من ملك المرابطين توجهت أنظاره نحو المغربين الأوسط والأدنى، فجمع جمع عظيم قاصد بجاية حاضرة الحماديين واستطاع تملكها، كما استطاع تملك المهديّة سنة 553هـ<sup>3</sup>، وبذلك سيطر الموحدون على كل بلاد المرابطين سواء في بلاد المغرب أو بلاد الأندلس، كما امتدت سيطرتهم على بلاد لم يصلها المرابطون من بلاد المغرب الأوسط وإفريقية، وقيل إنه لو أرادوا أخذ مصر لقدروا على ذلك<sup>4</sup>.

### ثانيا: علاقة القاضي عياض بفقهاء السلطة في عصره

عاصر القاضي عياض سلطتين كان للفقيه فيهما مكانة متميزة جعلت له دورا بارزا داخل بلاط السياسة والحكم، وقد مهد لهذا الدور مؤسسي تلك السلطة، وهم فقهاء جمعت شخصيتهم بين الديني والسياسي<sup>5</sup>، فدولة المرابطين اعتمدت على العلماء وسخرتهم في إقامة النظام الإداري والقضائي والتدريس، فكانوا خير سند لها في توحيد المغرب مذهبيا وصيانتة داخليا،

<sup>1</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 70.

<sup>2</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 154.

وبقيت مراكش لم يدخلها داخل ولم يخرج منها خارج ثلاثة أيام وكانوا يتشاورون على سكنها فامتنع الموحدون أن يسكنوها فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأي شيء لا تسكنوها فقال لهم الموحدون امتنع المهدي من ذلك ولا سيما تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها لأمة محمد عم والتشريق والتحريف لغيرها من اليهود وغيرهم فقال الفقهاء تطهر وتسكنوها فقالوا لهم ما تطهيرها فقال الفقهاء تهدم جوامعها وتبنى جوامع أخرى فهدمت جوامعها لأجل تشريقها وتحريفها عن القبلة إمالتها إلى المشرق وهدم فيها جامع علي ابن يوسف ولم يهدموه كله بل هدموا بعضه وأرسل الأماناء إلى المدينة. البيدق: المصدر السابق، ص 105.

<sup>3</sup> - المراكشي: المصدر السابق، ص 152، 168.

<sup>4</sup> - محمد الصاوي: دولة الموحدين، ط1، الجيزة، دار طيبة للطباعة، 2015م، ص 5.

<sup>5</sup> - انظر غرداين مغنية: المرجع السابق، ص 70-74.

مراقبين لأعمال الساسة وفق ميدان عقدي وفقهي<sup>1</sup>، أين عملوا على تطهير العقائد مما أضيف عليها من ضلالات وأوهام، وساهموا في تجذير أصول المذهب السني بالمغرب<sup>2</sup>، ودولة الموحدين التي مهد لقيامها المهدي ابن تومرت، فكيف كانت علاقة القاضي عياض بهؤلاء الفقهاء؟

### 1. الفقهاء بين الدين والسياسة في دولة المرابطين والموحدين:

تمتع الفقهاء في الغرب الإسلامي بمكانة مميزة في السلطة، فدولة المرابطين كان مؤسسها الفقيه عبد الله بن ياسين صاحب الدعوة فيها والمعين لأمرائها، وهو الذي فتح المجال أمام الفقهاء وسمح لهم بالمشاركة في السلطة، أما الثانية فكان المهدي بن تومرت المنظم لبدائيتها، الممهد لقيامها.

#### أ. عبد الله بن ياسين:

كان دخول عبد الله بن ياسين إلى المغرب إيذانا ببزوغ عهد جديد ودولة جديدة، ومثل نقطة تحول لم تعرف مثلها أقطار إفريقيا الغربية والوسطى<sup>3</sup>، فقد استطاع القضاء على الفتن والضلالات التي كانت منتشرة في البلاد، وساهم في تكوين مجتمع مغربي متماسك المذهب، لجمع شمله تحت حكم دولة واحدة تضبط شؤونها<sup>4</sup>.

وإن اعتناق قبائل صنهاجة الإسلام أيام الفتح الأول كان في العمق اعترافا بالولاء السياسي للخلافة، ولكن مضمونه الديني كان ضعيفا، ومع الابتعاد عن الأمصار حيث الفقهاء والعلماء، والتوغل في الصحاري والاختلاط مع الزنوج الوثنيين، تلاشى حتى ذلك

<sup>1</sup> - كسار أحمد قاسم: قضاء القاضي عياض دراسة تاريخية، الرابطة المحمدية للعلماء، ع1، 2011م، ص 42.

<sup>2</sup> - محمد الكتاني: مقدمة معاصرة لكتاب الشفا للقاضي عياض، مجلة المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، المرجع السابق، ص 373.

<sup>3</sup> - عبد القادر زمامة: أبو عمران الغفجومي أول مفكر في تأسيس دولة المرابطين، من كتاب أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي، ط1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، 2010م، ص 396.

<sup>4</sup> - إبراهيم حركات: ندوة عبد الله بن ياسين، ط1، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، 1998م، ص5، عبد الله بن كنون: ذكريات مشاهير الأمة في العلم والأدب والسياسة، قدمه محمد بن عزوز، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2010م، ج3، ص 1422.

المضمون الديني ولم يبق منه إلا بعض المظاهر، مما أوجب تنظيم الدعوة مجدداً إلى سنة الإسلام، وهذا بالضبط ما أوماً إليه حج يحيى بن إبراهيم، أمير حلف صنهاجة الغربيين<sup>1</sup>.

ويجب أن نذكر هنا أن عبد الله بن ياسين كانت له رحلة إلى بلاد الأندلس لطلب العلم دامت سبع سنوات حصّل فيها علوماً كثيرة، عاد بعدها إلى بلاد المغرب وفي رحلة العودة مر بتامسنا فوجد فيها خلق كثير، كانوا تحت إمرة البرغواطيين، كما مر على بلاد المصامدة فوجدهم يغيرون على بعضهم بعضاً، يسرقون الأموال ويسبون النساء، ولا يعودون إلى حاكم أو إمام، فسألهم بن ياسين إن كانوا مسلمين، فكان جوابهم أنهم حقا مسلمون، وهنا سألهم تقديم إمام عليهم يحكم بينهم بالشريعة الإسلامية، فرفضوا ذلك متحججين بأن لا أحد منهم يقبل حكم أحد من غير قبيلته<sup>2</sup>، فتركهم ورحل عنهم، وهو ما يمكن أن يبرر تقدمه للمهمة التي وكلها وجاج بن زلوا نحو قبائل صنهاجة.

هذه المهمة التي كانت بداية للدعوة وسببا في دخول عبد الله بن ياسين إلى بلاد صنهاجة برفقة زعيمها يحيى بن إبراهيم الجدالي بعد أن فوّضه شيخه وجاج بن زلوا لذلك "يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين"<sup>3</sup>، ويبدو أن عبد الله بن ياسين عندما أقام معهم تورع عن أكل لحومهم وشرب ألبانهم لاعتباره مصدر أموالهم غير طيب، وكان عيشه من صيد البرية<sup>4</sup>، وعمل على تطهير المجتمع الصنهاجي من العقائد، الأفكار، الأوهام، الأباطيل والخرافات التي علقت فيه، ودعاهم إلى إقامة السنة وتطبيق الشريعة "فانقادوا إليه انقيادا عظيما، وأولوه برا وتكريما، ولازموه مدة طويلة"<sup>5</sup>، وقد ذكرت المصادر التاريخية الأمور الجديدة التي قام بها بن ياسين خلال فترة مكوثه في الصحراء تمثلت في مجملها في:

<sup>1</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 111.

<sup>2</sup> - ابن عذاري: المصدر السابق، ص 7-8.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 243.

<sup>4</sup> - البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، ص 165.

<sup>5</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 20-21.

- علمهم الدين وشرائع السنة
- أقام الحدود الإسلامية
- ساوى بين الناس<sup>1</sup>
- أمرهم ألا يتزوجوا أكثر من أربع نساء
- أمرهم بالصلاة والزكاة<sup>2</sup>
- طلب منهم بناء مدينة سموها ارتنتى
- أمرهم ألا يرفع بناء بعضهم على بعض<sup>3</sup>
- غير العديد من عاداتهم الفاسدة<sup>4</sup>

وبقي فيهم عبد الله بن ياسين منقادين لأمره ونهيه إلى أن نقض أحدهم وهو الجوهر ابن جسيم شيء من أحكامه وتوافق مع بعض من كبرائهم من الرجال، ذكر البكري أسماءهم، أحدهما يدعى أيار والآخر اينتگوا، فعزلوه عن الرأي والمشورة، وقبضوا منه بيت مالهم، وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من أثاث، فخرج عبد الله بن ياسين خائفا منهم<sup>5</sup>، وقد أضاف ابن الأثير أن ثورتهم على عبد الله بن ياسين لم يكن السبب الشدة فقط بل يوجد سبب آخر تمثل في إفتائه بقتل يحيى بن إبراهيم الجدالي<sup>6</sup>.

واختلف المؤرخون في تحديد فترة هذا الانقلاب على عبد الله بن ياسين، فمنهم من يرى أنه حدث أيام الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي عندما شدد عليهم في ترك ما كانوا عليه من منكرات، أمثال ابن أبي الزرع والناصرى، بينما يرى آخرون أمثال ابن عذراى،

<sup>1</sup>- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 124، عصمت عبد اللطيف دندش: حول رباط عبد الله بن ياسين، ندوة عبد الله بن ياسين، المرجع السابق، ص 17.

<sup>2</sup>- ابن أبي الزرع: نفس المصدر، ص 124، الناصري: المرجع السابق، ص 7.

<sup>3</sup>- البكري: المصدر السابق، ص 165.

<sup>4</sup>- الناصري: نفس المرجع، ص 8.

<sup>5</sup>- البكري: نفس المصدر، ص 165-166، ابن عذراى المراكشي: المصدر السابق، ص 6.

<sup>6</sup>- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 20.

ابن خلدون، والبكري بأن هذه الفتنة حدثت في عهد الأمير يحيى بن عمر اللمتوني، الذي عينه عبد الله بن ياسين خليفة ليحيى بن إبراهيم الجدالي بعد وفاته<sup>1</sup>.

وعلى إثر هذه الحادثة خرج عبد الله بن ياسين من المنطقة، وعند خروجه اختلف المؤرخون أيضا في وجهته، فبينما نجد البكري يذكر أن عبد الله بن ياسين توجه إلى الفقيه وجاج بن زلوا يشكوه ما بدر من قبائل صنهاجة، ذاكراً أن وجاج عاتبهم عتاب شديد على ما كان منهم، ووضح لهم أن من خالف أمر عبد الله بن ياسين فقد خالف الجماعة ودمه مهدورا، وأمر عبد الله بن ياسين بالعودة إليهم وهو ما كان، أين عاد إليهم عبد الله بن ياسين وقتل من خالفوه ومعهم خلق كثير ممن استوجب القتل منهم، واستولى على الصحراء كلها، وأجابته القبائل ودخلوا في دعوته<sup>2</sup>، وهو ما ذكره ابن عذارى مؤكدا أن عبد الله بن ياسين استطاع أن يضم إليه بعض القبائل الصحراوية الذين استجابوا لدعوته، كما ذكر أن يحيى بن عمر اللمتوني أمير لمتونة كان أشدهم انقيادا لأمره هو وقبيلته، واستطاع من خلاله ضم قبائل أخرى أمثال لمطة ومسوفة<sup>3</sup>.

بينما ذكر ابن أبي الزرع والناصرى أن وجهته كانت السودان لكن الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي منعه من ذلك ونصحه بمكان في الصحراء يتجه نحوه من أجل التنسك والتعبد<sup>4</sup>، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون أين ذكر أنه اختار الرحيل للتنسك والتعبد مع اختلاف واحد، وهو أنه تنسك مع يحيى بن عمر بن تلاكاكين<sup>5</sup>، وهناك ابتتيا رابطة، وبعد فترة تسامع الناس أخبارهم، فانضموا لهم حتى اجتمع له عدد كبير،

<sup>1</sup> - عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 18، انظر ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص124، الناصري: المرجع السابق، ص 8، ابن عذارى: المصدر السابق، ص 6-7، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 243، البكري: المصدر السابق، ص 165.

<sup>2</sup> - البكري: نفس المصدر، ص 166.

maurice delafosse, op cite , p37 .

<sup>3</sup> - ابن عذارى: نفس المصدر، ص 7.

<sup>4</sup> - الناصري: نفس المرجع، ص 8، ابن أبي الزرع: نفس المصدر، ص124.

<sup>5</sup> - ابن خلدون: نفس المصدر، ص 243.

فأخذ يقرئهم القرآن والسنة، وسماهم المرابطين<sup>1</sup>، وهو اسم إن دلّ على شيء فهو ذكاء وفطنة عبد الله بن ياسين، فهو بهذا الاسم يحو أي انتماء قبلي أو عرقي، تلك الانتماءات التي لطالما فرقت بينهم وجعلتهم أعداء متنافسين، وجعل العقيدة هي التي تجمع بينهم وليس النزعات القبلية العنصرية<sup>2</sup>، فكانوا منقادين لأمره، ممتثلين لحكمه<sup>3</sup>. وهكذا انتقل من العمل الإصلاحى إلى العمل السياسى، وبهدوء وتأن حول دعوته إلى طموح في إقامة كيان سياسى تحت قيادة واعية مؤمنة، تخرج المجتمع الصنهاجى خاصة والمجتمع الصحراوى عامة من جور الجهل إلى عدل الإسلام.

ولإقامة كيان سياسى على أسس عقيدية توحيدية صحيحة، مع ما تقتضيه الدولة السياسية من اجتهادات بشرية، بعد أن أصبح زعيم المرابطين الروحى<sup>4</sup>، كانت بدايته بدعوة القبائل إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة وترك ما هم عليه من كفر وضلالة، ولأنهم لم يستجيبوا له، حاربهم واستطاع التغلب عليهم وضم العديد منهم<sup>5</sup>. وبعد ذلك سن لهم قوانين وفرض عليهم أحكام لضبط حياتهم، وتنظيم أمورهم، ذكرها البكري باسم "ما شد به عبد الله بن ياسين من أحكام"، نذكرها في شكل نقاط:

- أخذ ثلث الأموال المختلطة ليطيب لهم ما بقي منها.
- قام بجلد الرجل الذي دخل في دعوته تطهيرا لذنوبه، فكان الزاني يضرب مئة سوط، وحد شارب الخمر والمفترى ثمانين سوطا، وإن اكتشفوا أنه ارتكب جريمة القتل قتلوه سواء جاءهم تائب أم تغلبوا عليه وأدخلوه في رباطهم.

<sup>1</sup>- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 125.

<sup>2</sup>- عبد الله بن كنون: ذكريات مشاهير الأمة في العلم والأدب والسياسة، المرجع السابق، ص 1428.

<sup>3</sup>- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 21.

<sup>4</sup>- عبود العسكري: المرجع السابق، ص 111.

<sup>5</sup>- انظر ابن عذارى: المصدر السابق، ص 9-12، الناصري: المرجع السابق، ص 9 - 15، ابن أبي الزرع: المصدر

السابق، ص 125-127، ابن خلدون: نفس المصدر، ص 243-244، مجهول: الحلل الموشية، نفس المصدر، ص 21-

- يضرب عشرون سوط كل من تخلف على صلاة الجماعة، ومن فاتته ركعة منها يضرب خمسة أسواط.
- من فرط في صلاة في عمره وجب عليه القضاء.
- من رفع صوته في المسجد ضرب.
- يأخذون الزكاة وينفقونها على أنفسهم<sup>1</sup>.

ويبدو أن تشدد عبد الله بن ياسين كان سلبيًا في بعض الأحيان، أين ذكر البكري أن المصلين كانوا في بعض الأحيان يصلون دون وضوء، للإسراع وعدم تفويتها، فلا يتعرضون لحد الضرب بالسياط، كما كان تشدده في غير موضعه في بعض الأحيان، وهو ما تبين في حادثة التاجر الغريب وخصمه، أين قرر بن ياسين ضربه وتأديبه بعد قوله حاش لله، ولولا تدخل القيرواني وتذكيره أن ما قال ذكر في القرآن الكريم، فعاد عن قراره<sup>2</sup>، وعلى الرغم من ذلك الخطأ فالعودة عن الخطأ يحسب لعبد الله بن ياسين وعدله، ولم يكن تشدده مقتصرًا على العامة فقط بل شمل أصحاب السلطة، فقد ذكرت المصادر حادثة ضرب الأمير يحيى بن عمر عشرين سوطًا، بعد مباشرته القتال بنفسه، وهو ما كان في نظر عبد الله بن ياسين خطأً وجب التأديب عليه لأن الأمير لا يقاتل<sup>3</sup>.

وهكذا كان مشروع عبد الله بن ياسين مشروعًا نافعًا للمجتمع الصحراوي، ذلك أنه لم يقتصر على إصلاح المفاصل داخل المجتمع، بل تعداه لتنظيم السلطة وفق الشريعة الإسلامية، وسلك في ذلك مسلك حكيم وفعال زاد في الثقة فيه وفي مبادئه حينما ترك القيادة السياسية لغيره واكتفى بالتوجيه والإشراف على الشؤون الدينية للمرابطين<sup>4</sup>، وهو ما أكده صاحب الاستقصا بقوله: "كان يحيى بن عمر يتولى النظر في أمر الحرب وعبد

<sup>1</sup>- البكري: المصدر السابق، ص 169-170. ابن عذاري: المصدر السابق، ص 13.

<sup>2</sup>- البكري: نفس المصدر، ص 170، ابن عذاري: نفس المصدر، ص 13.

<sup>3</sup>- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 127.

<sup>4</sup>- علال الخديمي: جهاد عبد الله بن ياسين والحركة المرابطية، ندوة عبد الله بن ياسين، المرجع السابق، ص 83.



الله بن ياسين ينظر في أمر الدين وأحكام الشرع"<sup>1</sup>، وصحيح أن اسم عبد الله بن ياسين ارتبط بنشأة وقيام دولة المرابطين، لكن ذلك لم يجعله يخوض في السياسة وبقي رجل دعوة أكثر منها رجل دولة<sup>2</sup>.

وبذلك ارتبط الفقهاء بالسلطة، وصار الدين عند المرابطين حركة تقود السلطة والمجتمع<sup>3</sup>، فكانت السلطة الدينية في الدولة المرابطية بأيدي فقهاء المالكية، يسيرون بأرائهم واستشاراتهم السياسة العامة، ويسهرون على تعميم قواعد الشريعة، اجتمع فيهم الدور السياسي والقضائي، فكانوا يحضرون مجالس الأمير، يستشارون ويرافقون الجيش في الغزوات، ويراقبون أحكام القضاة<sup>4</sup>.

فكان يوسف بن تاشفين محبا للعلماء والفقهاء والصلحاء، مقرّبا لهم<sup>5</sup>، يأخذ برأيهم، ويصرف الأمور إليهم، ويقضي بفتياهم<sup>6</sup>، وكان ابنه علي بن يوسف " يقلد العلماء، ويؤثر الفضلاء"<sup>7</sup>، فكان للفقهاء في وقت حكمهم الكلمة النافذة<sup>8</sup>، وبذلك اعتبرت سلطة الفقهاء والعلماء في دولة مرابطين السلطة الثانية، ولو أنها لا تمثل مفهوم السلطة بشكلها الحقيقي، فقد كانت ندا مباشرا للسلطة السياسية التي تحكم بالقوة، معتمدة عليها في تنفيذ برنامجها وحفظ مصالحها، ممثلة في سلطة تعتمد على الدين في التأثير على الجموع الشعبية<sup>9</sup>.

1- الناصري: المرجع السابق، ص 11.

2- أحمد الشكري: عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية، ندوة عبد الله بن ياسين، المرجع السابق، ص 73.

3- أنور محمد الزناتي: دور الفقهاء في الأندلس علميا -سياسيا - اقتصاديا-اجتماعيا - ثقافيا (448-541هـ/ 1056 - 1147م)، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2016م، ص 308.

4- عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 119.

5- ابن أبي الزرع: المرجع السابق، ص 137.

6- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 82.

7- نفس المصدر، ص 84.

8- محمد بن الحسين الحجوي الثعالبي: الفكر السامي، ج 4، ص 4.

9- عبود العسكري: المرجع السابق، ص 112.

ب. ابن تومرت:

لقد ارتبط التفكير في إحداث تغيير في العالم الإسلامي على مر تاريخه بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تمت الاستفادة من هذا الأمر في سياق سياسي أكثر منه دينيا، أين تم توظيفه للخروج عن الحاكم الجائر الذي تؤدي سياسته إلى إفساد المجتمع وضياح أحوال رعيته<sup>1</sup>، ولم يكن ابن تومرت بعيدا عن فهم هذا الواقع، حيث جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بداية لحركته وتبريرا لها، والمتتبع لمسار رحلته في المصادر، من المهدية إلى غاية وصوله إلى جبل تينمل، يجد أنها كانت حافلة بقصصه في النهي عن المنكرات التي أوجدها في المدن التي مر بها، والذي يهمننا في هذه المرحلة ليس تتبع روايات المؤرخين عن قصة رحلته في المغرب والتي تحدثت عنها المؤرخون، المتقدمون والمتأخرون بإسهاب، وما يهمننا هو الهدف من هذه الرحلة وهذه التصرفات لابن تومرت ونتائجها قبل وصوله إلى جبل تينمل؟

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي دعوة يتخذ من خلالها الفقيه موقف اتجاه الوضع القائم، فتكون في ظاهرها موجهة من عالم إلى جاهل أو غافل، لكنها في أغلب الأحيان تخفي داخلها نقدا للسلطة<sup>2</sup>، ولقد اعتمد عليها ابن تومرت منذ بداية رحلته، إذ كانت رحلة ابن تومرت في بدايتها ومنذ أن وطأت قدماه المغرب الإسلامي بداية من المهدية، تتمثل في تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع<sup>3</sup>، فكان يدرس العلم، يظهر الورع والزهد، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حيثما حل<sup>4</sup>، فأراق الخمر وكسر آلات اللهو والطرب، وغلظ على أهل المجون، في كل من الإسكندرية، المهدية، تونس، قسنطينة، بجاية وتلمسان وغيرها، وما كان ينجيه من طائلة العقاب إلا ما

<sup>1</sup> - مليكة عقون: المرجع السابق، ص 57.

<sup>2</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 146.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 302.

<sup>4</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 173.

يلوح عليه من سمة الخير ومساندة الرأي العام له<sup>1</sup>، وابن تومرت في مرحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ظاهراً إصلاحياً، لكن في الباطن يضمّر شيء للسلطة، فقد عرف عنه أنه بينما كان يتجول في المدن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كان ينتقد حكام المرابطين ويدعو إلى خلع طاغتهم<sup>2</sup>.

وهو ما تأكد بوصوله إلى مراكش بعد أول لقاء مباشر بينه وبين سلطة المرابطين ممثلة بأmirها علي بن يوسف حيث نجده يتجراً عليه، أين وعظه وأغلظ منه<sup>3</sup>، ولم تكفه الجراءة على أمير المسلمين، بل تعدى ذلك إلى عائلته، إذ صادف ذات يوم شقيقة أمير المرابطين علي بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملتئمين في لباس نسائهم فأنبأها<sup>4</sup>، وهو ما كان سبب في غضب علي بن يوسف، وطلب إحضاره إلى بلاط السلطة من أجل مناظرة تجعله من خلالها معرفة نواياه وأهدافه<sup>5</sup>.

1- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، ج1، ص 100.

2- مغنية غرداين: المرجع السابق، ص 59.

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 303.

وذلك أنه لما أقبل إلى جامع علي بن يوسف فوجد علي بن يوسف قاعداً على غفارة ابن تيزمت والوزراء واقفون فقال له الوزراء ودّ الخلافة على الأمير فقال لهم وأين الأمير أنما أرى جوارى منقبات، فلما سمع ذلك علي بن يوسف حطّ النقاب عن وجهه وقال لهم صدق، فلما رآه المعصوم قال له الخلافة لله وليست لك يا علي بن يوسف. البيدق: أخبار المهدي، ص 67-68.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 303.

5- أسامة عبد الحميد السيد السامرائي: دولة الموحدين تأسيسها-ثورتها-تنظيماتها-عقيدتها، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2015م، ص 95.

ولم تكن هذه المناظرة أول مواجهة لابن تومرت ضد فقهاء السلطة، فنجد في رحلته إلى المهديّة، رأى بها سوقاً تباع فيه الخمر، فكسر دنانها وأراقها، وغير المنكر، فأغاظ واليها علي بن يحيى بن تميم، وهم به، ثم رأى أن يبعث له الفقهاء، فأرسل إليه الفقيه المازري، الذي عاتبه لمعاداة السلطان، وقال له: أخاف عليك عاديتك وعادية جنده، ونجد العزيز بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس بن حماد يجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك، فاجتمعوا في دار أحدهم، واحتفلوا في إعداد المطاعم والمشارب، ووجهوا عن الإمام رضي الله تعالى عنه إلى المسجد الذي كان يحل فيه، فامتنع من الوصول إليهم، فوجهوا إليه الكاتب عمر بن فلفل، فإلصقه وأقسم عليه ورغبه وتضرع إليه حتى أسعفه، فوصل إليهم، فناظره وساءلوه، فأجابهم ما أسكتهم، ثم سألهم فلما أثاروا جواباً، ولاطفه ابن فلفل عند ذلك يراوده على ترك ما هو بسبيله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن القطان: نظم الجمان، المصدر السابق، ص 92-94.

واعتبرت مناظرة المهدي مع فقهاء دولة المرابطين من أشهر المناظرات في العصر الوسيط، لأنها أسالت الكثير من الحبر، خاصة فيما يخص ضعف الفقهاء في مواجهته، وكانت هذه المناظرة مناظرة عامة حضرها أشياخ لمتونة، فقهاء مراكش، طلبتها، بالإضافة إلى عامة الناس، فعرفهم علي بن يوسف بأمر المهدي، موضحاً أنه هنا لاختباره، فإن كان عالم اتبع وإن كان جاهل أُبِّب<sup>1</sup>، ومما ذكر في ما جاء في هذه المناظرة، "فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء البلاد: سلوا هذا الرجل ما ينبغي منا، فانتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن أسود فقال: ما هذا الذي ينقل عنك من الأقوال في حق الملك العادل الرحيم، المنقاد إلى الحق، المؤثر طاعة الله على هواه؟ قال ابن تومرت: أما ما نقل عني فقد قلته، ولي من ورائه أقوال، وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه، ليعلم بتعريه عن هذه الصفة أنه مغرور بما تقولون له وتضرونه به، مع علمكم أن الحجة عليه متوجهة، فهل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهراً، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى؟ وعدد من ذلك شيئاً كثيراً، فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياءً، ففهم الحاضرون أنه طامع في المملكة لنفسه"<sup>2</sup>.

ويبدو أن الحظ كان حليف ابن تومرت، ذلك أن جل من حضر هذا اللقاء من فقهاء المرابطين كان من أصحاب الحديث والفروع، ولم يكن لهم معرفة بالأصول والجدل، وهو تجنب المناظرة من الكتاب والسنة وصميم علم السلف<sup>3</sup>، مما رجح الكفة لابن تومرت على خصومه، خاصة أنه كان عالم بالمذاهب، حافظاً لها<sup>4</sup>، فجعل ابن وهيب<sup>5</sup> يغتازل لذلك،

<sup>1</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 174.

<sup>2</sup> - ابن خلكان: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ج5، ص 49-50.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 466.

<sup>4</sup> - ابن القطان: المصدر السابق، ص 77.

<sup>5</sup> - "قال ابن وهيب وكان كثير الاجترأ على الملك: "أيها الملك، إن عندي لنصيحة، إن قبلتها حمدت عاقبتها، وإن تركتها لم تأمن غائلتها، فقال الملك: ماهي، قال: إني أخاف عليك من هذا الرجل، وأرى أن تعتقله وأصحابه وتتفق عليهم كل يوم

ويتدخل أمام السلطان محاولاً إقناعه بالفتك به، وكاد أن ينجح لولا تدخل اثنين من وجوه المرابطين<sup>1</sup> الذين نجحوا في تبديل العقوبة إلى التغريب من المدينة<sup>2</sup>.

وبعد هذه المواجهة بين ابن تومرت وسلطة المرابطين بشقيها السياسي والديني، ذاع صيته وكثر عليه الجمع، فاجتمع عليه اتباع وتلاميذ، وتكاثر عليه الناس، امتلأت قلوبهم له محبة ومهابة وتعظيماً، فأعلم الخاصة منهم قصده، وأخذ يطعن في السلطة، واعتبر المرابطين كفرية مجسمين، ونتيجة لنشاطه طرد من مدينة مراكش<sup>3</sup>.

فانطلق متوجهاً إلى مدينة أغمات، أين خلع مبايعة علي بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه<sup>4</sup>، ولم يمكث طويلاً فيها حتى انتقل إلى مدينة تينمل<sup>5</sup>، وكان يسكنها قبائل من مسمودة، وهي منطقة لم يستطع المرابطين أن يفرضوا سلطانهم عليها لأن جنودهم وكان

---

دينار لتكتفي شهره، وغن لم تفعل ذلك لتتفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفكك ذلك". ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 50.

1- يروي ابن الأثير أن الذي منع أمير المسلمين أن يأخذ برأي مالك بن وهيب هو رجل من أكابر الملتزمين يدعى بينا بن عثمان، المراكشي: المصدر السابق، هامش ص 176.

2- روجلي لي تورنو: المرجع السابق، ص 28.

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص

4- ابن القطان: المصدر السابق، ص 83.

5- يقول ابن خلكان: "فلما خرج محمد وأصحابه من عند الملك قال لهم: لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب، فما نأمن من أن يعاود الملك في امرنا فينالنا منه مكروه، وإن لنا بمدينة أغمات أخا في الله، فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأياً ودعاء صالحاً، واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم، وهو من فقهاء المصامدة، فخرجوا إليه ونزلوا عليه، وأخبره محمد خبرهم وأطلعاه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك، فقال عبد الحق: هذا الموضع لا يحميكم، وإن احصن الموضع المجاورة لهذا البلد تين مل... فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر، فقصده مع أصحابه". ابن خلكان: نفس المصدر، ص 50-51.

وقال اليسع بن أبي اليسع في استيطان الإمام المهدي لتينمل: إن أهل مدينة تينمل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي - رضي الله عنه - تعالى يعلمونه بطاعة هزيمة الجبل، وأن مجيئه وسكناه عندهم أصلح وله أقرب من تسامع الناس به، فرحل إليهم - رضي الله عنه - بجميع من أطاعه، وحصل بتينمل، وأكرمه أهلها وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدتهم مارقاه. ابن القطان: نفس المصدر، ص 139.

معظمهم من الفرسان لم يشعروا بالراحة في بلاد جبلية كتلك، وهو ما استغله ابن تومرت أين شهدت حركته تطورها الكامل في تلك المنطقة<sup>1</sup>.

وفي سنة 515 هـ وصل ابن تومرت إلى السوس الأقصى وقد تبعه كثير من البربر، فادعى المهداوية<sup>2</sup>، وقام فيهم خطيباً، فقال: " الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاؤه، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالإمام المهدي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً، يبعثه الله إلى نسخ الباطل بالحق، وإزالة الجور بالعدل، مكانه المغرب الأقصى، وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل"، ولما فرغ المهدي من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم عبد المؤمن بن علي الذي قال له هذه الصفة لا إلا توجد فيك، فأنت المهدي، فبايعوه، وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رسول الله<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - روجلي لي تورنو: المرجع السابق، ص 31.

<sup>2</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 107.

<sup>3</sup> - انظر مؤلف مجهول: نفس المصدر، ص 107، وابن القطان: المصدر السابق، ص 125، المراكشي: المصدر السابق، ص 188.

ذكر الباحث محمد زنيبر أنه هناك اختلاف بين المصادر في الجواب بل هناك مصدر يشير إلى تلك الاختلافات، فيذكر ابن القطان أن بيعته كانت إما 514 هـ على قول وأما في سنة 515 هـ على قول، وفي موضع آخر يذكر عند تعرضه لأحداث 516 هـ أن ابن تومرت ابتداء بإعلان أمره ومبايعة الناس له، ونجد صاحب روض القرطاس يذكر أن ابن تومرت إثر التقائه عبد المؤمن وهو في طريق عودته إلى المغرب أخذ يشيع عند الناس أنه الإمام المهدي المنتظر، ويؤكد نفس المصدر أن عبد المؤمن ما أن تعرف على ابن تومرت حتى علم بمراده وما قصد إليه من طلب الخلافة، وكان هذا بين سنتي 511 - 512 هـ عند قدوم المهدي بجاية، أما عبد الواحد المراكشي فقد أشار أن دعوته قامت من تينمل وأنه شرع هناك في تدريس العلم والدعاء إلى الخير دون أن يظهر إمرة ولا طلبية ملك، وأنه بعد أن قضى مدة في تعليم المصامدة مبادئ دعوته وحصل على ثقتهم ومحبتهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير، وأقاموا على ذلك مدة، وأمر رجالاً منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل، وجعل يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وفي الأخير استنتج أنه هناك بيعة جرت في سنة 514 هـ بينه وبين تلاميذه وأصحابه، ثم كانت بيعة 515 هـ التي تشير إليها جل المصادر وقد جاءت إثر تأسيسه لرابطة العباد، أين بايعه المصامدة على التوحيد وقتل المجسمين، لكن هذا لا يمنع أن تجدد له البيعة سنة 516 هـ أين بدأ المهدي في تنظيم دعوته وأخذت دعوته تؤتي أولى ثمارها، ثم تأتي

واستطاع بعد مبايعته بفترة قصيرة أن يكون مجتمعا متمحورا حول شخصه وتوجهه الفكري، وذلك بعد عمل كبير قام به لحماية فكره بسياج قوي يمنع أي نقد أو مناقشة لتعاليمه، والذي فرضه بالقوة وبمنطق العقاب البدني قصد السيطرة على قبائل الجبل<sup>1</sup>، فنجده لا يتردد في إنزال العقاب الشديد بأولئك الذين لم يسلكوا سلوكا حسنا، بل وصل لحد استئصال جماعات كاملة لأنه اعتبرها جماعات إسلامية فاسدة<sup>2</sup>، وخير دليل على ذلك ما حدث سنة 519هـ، أين "تودي في الناس في جبل المصامدة المطيعين: من كان مطيعا لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وللإمام المهدي رضي الله تعالى عنه فليقبل! فكانوا يأتون قبائل، فيعرضون على البشير، فيخرج قوما عن يمينه وقوما عن يساره، فكل من أخرج عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة، وما خرج عن يساره، إلا شك في الأمر وفي الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه... ويطلق أهل اليسار، وهم يعلمون أنه ليس لهم إلا القتل، فلا يفر منهم أحدا، وكان إذا اجتمع منهم كثير قتل قراياتهم: يقتل الأب ابنه والابن أباه والأخ أخاه"<sup>3</sup>.

وبعد استقرار الأحوال للمهدي بتينملل، صار وأتباعه يشكلون خطرا أكبر على المرابطين سواء بالمناوشات الحربية معهم أو مع القبائل المؤيدة لهم، هذا زيادة على الحرب المذهبية بين الطرفين، فبينما اعتبر المرابطون الموحدون خوارج على الجماعة الإسلامية، اتهمهم المهدي بالشرك بالله والانحراف عن سنة نبيه مشهرا بالمناكر في دولتهم<sup>4</sup>، وقد ظلت الفترة

---

مبايعة هنتاتة وجنيسة ما بين سنتي 517 - 518 هـ، وهنا نرى أن المهدي اتبع أسلوبا مبنيا على التدرج في الدعوة. محمد زنيير: المرجع السابق، ص 132-140.

<sup>1</sup> - محمد المغراوي: السلطة الموحدية والنخبة العالمية بين التوتر والانفراج، أعمال الأيام الوطنية الثالثة والعشرين - تدبير المغاربة للختلاف: استلهم لأساليب التعايش وقبول الآخر، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2016م، ص 63.

<sup>2</sup> - روجلي لي تورنو، المرجع السابق، ص 48.

pierre guichard: les almohades, mars 2003, p1,

[https://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/pdf/pdf\\_les\\_almohades.pdf](https://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/pdf/pdf_les_almohades.pdf)

<sup>3</sup> - ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص 147-148.

<sup>4</sup> - أحمد عزوي: المرجع السابق، ص 25.

الأولى من الحركة التي كان مسرحها معقل تينملل مجهولة لمدة طويلة، إذ إن الإخباريين لا يفصلون الكلام على الموحدين إلا بعد أن بدأت مهاجمة دولة المرابطين سنة 522هـ/ 1128م<sup>1</sup>، أين جهز ابن تومرت جيش قوامه عشرة آلاف بين فارس وراجل، نزل لحصار مراكش وأقاموا عليها شهرا لكنهم هزموا هزيمة شنعاء، وقد بلغ خبر الهزيمة المهدي وهو بالجبل، وكانت قد حضرته الوفاة قبل عودة أصحابه ممن سلم وفر، فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبون أن النصر لهم، وأن العاقبة حميدة، ثم توفي في سنة 524هـ ودفن في الجبل، وقبره هناك مشهور يزار، وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من وفاة المهدي، لكن حركته وأفكاره بقيت قائمة بأصحابه ومن تبعه، فقد استطاع بناء حركة دينية، رسخ أفكارها ووضع دعائمها في أتباعه، وترك فيهم الرغبة على تحقيق حلم الوصول إلى السلطة وفي مقدمتهم خليفته عبد المؤمن بن علي.

## 2. القاضي عياض وعلاقته بفقهاء السلطة:

كان القاضي عياض مشاركا فعالا في العديد من مجالات السلطة الدينية، أين تقلد التدريس، الإفتاء، القضاء، "وألقت إليه الرياسة مقاليدها، وملكته طريفها وتليدها"<sup>3</sup>، فهو من الفقهاء البارزين المعروفين في ذلك العصر، استطاع بعلمه من اقتطاع مناصب عالية داخل السلطة، وتمكن من بناء علاقات بارزة مع فقهاءها، وهنا نتساءل عن أساس العلاقة بين

<sup>1</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 152.

<sup>2</sup> - ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 53.

كانت وفاة المهدي عقب وقعة البحيرة، قال ابن خلدون: "لأربعة أشهر بعدها" وقال ابن الخطيب وغيره: كانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسائة، وقال في القرطاس: "لما رجع الموحدون من غزو مراكش إلى تينملل خرج إليهم المهدي فسلم عليهم ورحب بهم، وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد وبمدة ملكهم، وأعلمهم أنه يموت في تلك السنة، فبكوا وأسفوا ثم مرض مرضه الذي مات منه، وقدم عبد المؤمن للصلاة أيام مرضه، ثم توفي في التاريخ المتقدم"، وذكر بعض المؤرخين: "إن المهدي رأى في منامه قبل وفاته كأن آتيا أتاه فأنشده أبياتا نعى له فيه نفسه، وأعلمه باليوم الذي يموت فيه فكان كذلك". الناصري: المرجع السابق، ص 97.

<sup>3</sup> - المقري: المصدر السابق، ج3، ص18.



القاضي عياض وفقهاء الدولة، وهل منصبه أثر على علاقته مع ابن تومرت الذي جاء إلى المغرب وهو يحمل أفكارا ثورية كانت موجّهة ضد الفقهاء قبل الأمراء؟  
أ. علاقته بفقهاء سلطنة المرابطين:

صحيح أن القاضي عياض لم يعاصر مهندس حركة المرابطين أبو عمران الفاسي، ولا مؤسسها عبد الله بن ياسين، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يترك لنا نصيبا وفيرا عنهم في مؤلفاته توضح لنا ولو قليلا عن نظرة القاضي عياض لفقهاء دولة المرابطين الأوائل، وتوافقه معهم، فنجد في مصنفه الفريد "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" ترجمة لأبي عمران الفاسي، ذكر فيها أنه كان من حفاظ مذهب مالك المتمكنين المتميزين مستدلا بذلك بما قال فيه البقلاني: "لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر، وكان إذ ذاك بالموصل، لاجتمع فيها علم مالك: أنت تحفظه وهو ينصره، ولو رآكما مالك لأسر بكما"<sup>1</sup>، واصفا له بالمعلم، الإمام، الثقة، الدين، ذاكر ما له من ذبوع وانتشار لدى العلماء وطلاب العلم، واضعا له في صنف الفقهاء المجتهدين المكثرين الذين جمعوا المذهب المالكي، مؤكدا أن فتاويه وصلت المشرق والمغرب، واعتنى الناس بقوله، وتخرج على أيديه عدد من طلاب العلم وجهابذة المعرفة من أقطار المغرب والأندلس<sup>2</sup>، مقدما له على شيوخ القيروان لما حاز من ذكر ورياسة دين في وقته<sup>3</sup>.

ويبدو أن القاضي عياض قد عمد إلى الاستفادة من علمه ومصنفاته من خلال رحلته في طلب العلم، حيث نجده يذكر في غنية شيوخه أنه حصل على إجازة من شيخه ابن حصار مما أجاز له أبو عمران الفاسي<sup>4</sup>، كما ذكر فهرست الفاسي في مجموعة فهارس

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 7، ص 246.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 245-246.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 239-240.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 106.

الشيخ التي ذكرها في غنيته<sup>1</sup>، كما نجده اعتمد في التصنيف على مصنفات أبي عمران الفاسي، أين يستدل بأقواله وفتاويه في العديد من القضايا<sup>2</sup>.

أما فيما يخص مؤسس حركة المرابطين الشيخ عبد الله بن ياسين، فيعد القاضي عياض الوحيد من القدماء الذي ترجم له، في سياق طبقة من فقهاء المغرب الأقصى عاشوا النصف الأول من القرن الخامس الهجري، في شكل سرد تاريخي<sup>3</sup>، بداية بتوجهه إلى الصحراء مع يحيى بن إبراهيم الجدالي ليعلم قومه العلم<sup>4</sup>، ثم أعماله في الصحراء وشدته في تغيير المنكر وانعزاله "مع صاحبه في جماعة ممن يقولون بقوله، لتغيير جاهليتهم، وانذارهم ممن اتبعه، ولم يزل يستقري تلك القبائل، حتى أسلموا على أيديهم، وأظهر الايمان هناك"<sup>5</sup>.

كما تحدث القاضي عياض عن شدة عبد الله ابن ياسين في تنفيذ أحكام الشريعة وما جلب له ذلك من مشاكل، وذكر أنه قيل إن عبد الله من شدة تنفيذه الأحكام أفتى بقتل الشيخ الذي جلبه معه لنشر الإسلام، مما جعله يرحل عن جدالة إلى لمتونة، أين ذكر القاضي عياض أنه هناك بدأت رحلته في مواجهة الجهل ونشر الإسلام الصحيح، "فأقام بأمرهم، وجاهد معهم، وقلدوه أمرهم، وأنفذ حدوده في أميرهم"<sup>6</sup>، ويبدو أن القاضي عياض لم يتحدث بإسهاب عن عبد الله بن ياسين لأنه جعل له نصيبا في مصنفه المخصص لتاريخ دولة المرابطين<sup>7</sup>، الذي للأسف يعتبر من المصادر النادرة والمفقودة عن تاريخهم.

1- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 228.

2- القاضي عياض: التنبيهات، المصدر السابق، مج 1، ص 149.

3- محمد بنشريفية: حول كتابة سيرة محررة لعبد الله بن ياسين، ندوة عبد الله بن ياسين، المرجع السابق، ص 11-12.

4- القاضي عياض: المصدر السابق، ترتيب المدارك، ج8، ص 81.

5- نفس المصدر، ص 81.

6- نفس المصدر، ص 82.

7- نفس المصدر، ص 83.

وعلى الرغم من قصر الترجمة التي خصصها القاضي عياض لشيخ المرابطين في مصنفه ترتيب المدارك، لكنها كانت مليئة بالملاحظات والأحكام التي قد توضح لنا رأي القاضي عياض بصاحب دعوة دولة المرابطين، أين وصفه بـ "ذو الأنباء العظيمة، والقصاص الغربية، القائم بدعوة المرابطين، المزين لدولتهم لأول خروجهم"<sup>1</sup>، مبينا الإجلال والتعظيم الذي كان يحظى به من المرابطين، وذلك في قوله: "والكل له مطيع، وسيرته في أموره هناك، وتعزيزاته معروفة ومحفوظة، يثابر عليها مشيخة المرابطين، ويحفظون من فتاويه وأجوبته ما لا يعدلون عنه"<sup>2</sup>، وما جاء به القاضي عياض يؤكد النظرة الطيبة له، فقد بدا واضحا بين طيات عباراته ومصطلحاته التقدير الذي يبديه لشخصه، وهذا إن دل على شيء فهو الإعجاب بالشيخ والافتخار به، خاصة أنه كان رجل علم وخير كما ذكر، ولم ينس وهو القاضي أن يتطرق للعدل الذي كان يتميز به عبد الله بن ياسين في تنفيذ أحكام الله، حتى ولو على الأمير نفسه، أين ذكر حادثة إقامة الحد على أبي بكر بن عمر لِحَقِّ تعين له عنده<sup>3</sup>.

هذا في ما يخص من سبقوه، أما علاقة القاضي عياض في من عاصروهم من فقهاء السلطة، فيبدو أنها بدأت في فترة مبكرة وبالضبط في فترة تكوينه العلمي التي أوصلته إلى مناصب عليا في دولة المرابطين، فقد تحدثت المصادر أن رحلته إلى الأندلس لطلب العلم كانت محل اهتمام العديد من فقهاء الدولة، فنجد الوزير ابن الجدي يكتب رسالة إلى قاضي الجماعة بقرطبة ابن حمدين يوصيه به، وقد احتوت وصفا كريما جميلا عن القاضي عياض نصه: "وله في الفضل مذاهب يُبهرجُ عندها الذَّهَبُ، وعنده في الثُّبُلِ ضرائب لا يفارق زَنْدَهَا اللَّهَبُ، وستقرُّ به، فتستغربه، وتخبره، فتكبره، إن شاء الله"<sup>4</sup>، ونجد أبا محمد

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 81.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 82.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 81-82.

<sup>4</sup> - ابن الفتح بن خاقان: المصدر السابق، ص 326-327.

ابن منصور قاضي الجماعة يكتب إلى الحافظ الغساني موصيا به<sup>1</sup>، وهذا الاهتمام من قبل فقهاء السلطة لتزكية القاضي عياض والتوصية به عند قضاة وفقهاء الأندلس، فإن دل على شيء فهو يدل على الصيت الحسن والعلاقة الطيبة التي استطاع بناءها معهم في فترة تكوينه العلمي في سبتة، حيث كان من شيوخه عدد لا يستهان به من فقهاء السلطة.

أين نجد فهرست شيوخه تحوي أسماء كثيرة لفقهاء كان لهم الحظ في الرياسة في ظل سلطة المرابطين، أين اعتلوا مناصب الوزارة، الفتوى، القضاء، والتدريس، ذكرهم القاضي عياض منبها إلى مناصبهم وآثارهم مع روابطه بهم، وهم:

- القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد: قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع<sup>2</sup>، كان مقدما وذا منزلة عند أمير المسلمين، اعتبره عياض زعيم الفقهاء في وقته في كل من المغرب والأندلس، معترفا له بصحة النظر، دقة الفقه، وجودة التأليف، مؤكدا بأنه كان من مقاصده في طلب العلم في الأندلس<sup>3</sup>، ويبدو أن العلاقة بينهما كانت وطيدة ومستمرة ولم تنقطع حتى بعد إتمام تكوينه العلمي وتوليه القضاء، فنجد العديد من المراسلات القائمة بينهما، أرسلها القاضي عياض لشيخه يستفسره عن بعض المسائل في القضاء<sup>4</sup>، نلاحظ في محتواها كل الاحترام والتقدير المتبادل، مؤكدة العلاقة الطيبة التي كانت تجمعهما، أين نلاحظ ابن رشد يبتدئ إجابته على أحد أسئلة القاضي عياض ب "الجواب عليه يا سيدي، وأعظم عددي، وأجل أوليائي في الله وعمدي، ومن أبقاه الله مؤيدا بتقواه، معانا على

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، هامش ص 6.

<sup>2</sup> - المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 59-60.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 54-55.

<sup>4</sup> - ابن رشد: فتاوي ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص

ما فيه بره ورضاه"<sup>1</sup>، وفي موضع آخر يبتدئ ب "تصفت يا سيدي أعزك الله بطاعته، وتولاك بكرامته، ونفعك باجتهداك وتهممك وبحثك عن الحقائق بحسن تدبرك، وأدام الإمتاع بك، وأنام أعين الحوادث عنك برحمته"<sup>2</sup>، وهذا إن أكد على شيء فهو المكانة المميزة للقاضي عياض عند القاضي ابن رشد.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي القرطبي: تولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين حمد فيهما أثره، استعفى من أولاهما، ثم أجبر ثانية، صرف أمير المسلمين الأمور الكبار في الأندلس إليه، واعتمد على فتواه بعد وفاة ابن رشد<sup>3</sup>، قال فيه القاضي عياض: "أحد الفقهاء الفضلاء... كان حسن الضبط جيد الكتب كثير الرواية له حظ من الأدب، مطبوعا في الفتيا مقدا في الشورى، صليب الدين متواضعا متمتا حلما"<sup>4</sup>.

- القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي: ولي القضاء مدة ثم صرف وكان فطنا ونبيلاً<sup>5</sup>، ذكر القاضي عياض أنه كان أديبا حافظا وفصيحا، وشاعرا وفير الخير حسن المجلس<sup>6</sup>.

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي: ولي القضاء بمدينة سبتة نحو ست سنين، كما أنه التزم القضاء بمدينة فاس<sup>7</sup>، قال فيه: "كان من أحسن القضاة وأنزههم وأجراهم على الطريقة القويمية، فمضى فقيدا حميدا"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - ابن رشد: المصدر السابق، ص 1228.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 1163.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 47-48.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 47.

<sup>5</sup> - نفس المصدر، ص 68.

<sup>6</sup> - نفس المصدر، ص 68.

<sup>7</sup> - نفس المصدر، ص 28.

<sup>8</sup> - نفس المصدر، ص 29.

- **الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الأموي:** شيخ سبته وقاضيا ومفتيا، ولي قضاءها مرتين، أولها أيام برغواطة<sup>1</sup>، والأخرى في أول دولة المرابطين<sup>2</sup>، قال فيه: "كان موصوفا بالصلاح والعفة من صغره من أهل الورع والتحري"<sup>3</sup>.
- **الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد:** تولى القضاء في تلمسان، إشبيلية، فاس، ذكر القاضي عياض أنه "كان جليلا فاضلا فقيها ذكيا"<sup>4</sup>.
- **القاضي أبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الطليطي:** كان من شيوخ القاضي عياض، قرأ عليه وسمع منه العديد من المصنفات، كما كتب هو عن القاضي عياض وسمع منه<sup>5</sup>.
- **الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شيرين:** وصفه القاضي عياض بأنه أحد العلماء الفضلاء الصالحاء<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - كانت مدينة سبته ومدينة طنجة تحت حكم بني حمود الإدريسيين من لدن دولة الأمويين، ولما انقرضت دولتهم وخلفهم بنو حمود عليها، أنابوا على مدينتي سبته وطنجة من وثقوا بهم من مواليم الصقالبة، وبقيت على هذه الحال من نائب إلى نائب إلى أن استولى عليها سكوت البرغواطي، والذي كان عبدا لشيخ حداد من موالى الحمويين، ثم صار إلى علي بن حمود فأخذت النجابة تظهر عليه حتى استقل بالأمر وأقعد على كرسي عملهم بطنجة وسبته، وأطاعته قبائل غمارة، وفي سنة 470هـ قرر يوسف بن تاشفين إدخال طنجة وسبته في حكمه، حيث أرسل قائده صالح بن عمران في جيش قوامه 30 ألف فارس إليها، وكان سكوت البرغواطي آنذاك قد بلغ من العمر 86 سنة، فالتقى الجمعان وانهمز سكوت وقتل في المعركة وأدخلت طنجة تحت حكم المرابطين، أما مدينة سبته الذي كان حاجبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت فلم تدخل في حكم المرابطين حتى سنة 477هـ على يد المعز بن يوسف بن تاشفين. الناصري: المرجع السابق، ص 30-31، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 142-144.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 58.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 58.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 64.

<sup>5</sup> - نفس المصدر، ص 72-74.

<sup>6</sup> - نفس المصادر، ص 75.

- **الفقيه الحاكم أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقي بن مخلد:** تولى الفتيا والحكم بقرطبة ثم تولى عنهما، كما دعي لتولي القضاء لكنه امتنع<sup>1</sup>، ذكر القاضي أنه كان من أجل بيوت العلم بقرطبة وبقية مشيختها<sup>2</sup>.
- **الوزير أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي:** أجاز القاضي عياض جميع رواياته<sup>3</sup>.
- **إبراهيم بن أحمد البصري أبو إسحاق القاضي:** ولي قضاء سبتة نحو ستة أعوام ثم استعفى، ثم وليها مرة أخرى إلى أن استعفى منها بضعفه عنها، فعوفي وحرر<sup>4</sup>، ذكر القاضي عياض أنه كان أحد الفضلاء الأجلاء، صينا نزيها محمود السيرة في قضائه<sup>5</sup>.
- **القاضي الشهيد الحافظ أبو علي الحسين الصدي المعروف بابن سكرة:** ولي قضاء مرسية، فحمدت سيرته واشتدت في الحق شكيمته إلى أن استعفى فأعفي، ثم دعي لقضاء إشبيلية فامتنع حتى عوفي، خرج للغزو سنة أربع عشرة مع الأمير إبراهيم فاستشهد<sup>6</sup>، ذكر القاضي عياض أنه بسط أخباره وأخبار شيوخه في كتابه المعجم<sup>7</sup>، من مواصفاته التي ذكرها أنه كان ذا خلق ودين متين<sup>8</sup>.

1- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 97.

2- نفس المصدر، ص 97-98.

3- نفس المصدر، ص 99.

4- نفس المصدر، ص 123-124.

5- نفس المصدر، ص 124.

6- نفس المصدر، ص 131.

استشهد القاضي أبو علي الصدي في موقعة قنتدة، بثغر الأندلس، قتل فيها من المتطوعين نحو من عشرين ألف، ولم يقتل من العسكر أحد، وكان القاضي أبو علي يومئذ من أبناء الستين. انظر المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص 154.

7- القاضي عياض: نفس المصدر، ص 131.

8- نفس المصدر، ص 131.

- **عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي:** كان رأساً في أغمات مقدما في التدريس بها والفتيا، لا يصانع في فتياه ولا يدهن أحداً، كان أمير المسلمين علي بن يوسف يعرف حقه ويكرمه ويمارحه، وكان هو يُدلى عليه بصحبته وسلامة مذهبه<sup>1</sup>.
- **القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي:** نقل "إلى حضرة السلطان فتمكن منه وجل مقدره ثم استنكر حاله شيئاً فعوفي"<sup>2</sup>، ولي قضاء سبته مرتين، ذكر القاضي عياض أنه كان جميل العشرة حميد السيرة<sup>3</sup>.
- **القاضي الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري:** ولي الخطابة في مدينة سبته غير مرة وولي قضائها مرتين، كما تولى قضاء الجزيرة الخضراء مدة<sup>4</sup>.
- **الفقيه القاضي عبد الرحمن بن محمد الكتامي المعروف بابن العجوز:** ولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، ثم خلافة القضاء بالحضرة<sup>5</sup>، قال فيه القاضي عياض: "الفقيه القاضي أبو القاسم من بيت علم وجلالة، فقيه ابن فقيه ابن فقيه خامس خمسة وعبد الرحمن أكبرهم في العلم والجلالة والأمانة"<sup>6</sup>.
- **عبد الرحمن بن محمد بن بقي بن مخلد القرطبي الحاكم بها:** لقيه القاضي عياض بقرطبة وجالسه كثيراً<sup>7</sup>.
- **أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن البيذش:** مقدم الصلاة والإقراء بجامع غرناطة، والخطبة فيه، وشيخ مقرئها ورواتها، عرف عنه أنه أحد الفضلاء الصالحين المتقنين في المعارف<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 154-155.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 155-156.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 156.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 165.

<sup>5</sup> - نفس المصدر، ص 168.

<sup>6</sup> - نفس المصدر، ص 168.

<sup>7</sup> - نفس المصدر، ص 169.

<sup>8</sup> - نفس المصدر، ص 174.



- **عبد الرحمن بن عبد الله بن منتيل السرقسطي**: خطيب بلده وإمام جامع<sup>1</sup>، كما ولي في بلنسية الخطبة والصلاة، ذكر القاضي عياض أنه كان "صالحا ورعا يقصده الرؤساء وغيرهم يتبركون بدعائه وجربت منه الاستجابة"<sup>2</sup>.
- **أبو الحسن علي بن محمد بن دري الأنصاري**: حاز رئاسة الإقراء فيها، ورئاسة جامع غرناطة، كما ولي صلاته وخطبته<sup>3</sup>، ذكر القاضي عياض أنه أحد النحاة المقدمين والمشايخ المقرئين، فاضلا متواضعا محببا إلى الناس متصرفا في حوائجهم، مقبول القول مقضي الحاجة عند أصحاب السلطة<sup>4</sup>.
- **الفقيه مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي**: كان زعيم المغرب وشيخه، ذا القول المسموع والجاه العريض، ولي الخطبة والصلاة والفتيا بمدينة سبتة، ثم انتقل إلى طنجة، فولي فتياها وخطبتها وصلاتها، كما تقلد أحكامها<sup>5</sup>، ذكر القاضي عياض أنه "انصرفت إليه جميع أمور الأندلس والمغرب، وفوض إليه أمير المسلمين يوسف في كبارها وكان مهيبا صليبا"<sup>6</sup>.
- **شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني**: ذكر القاضي عياض أنه ولي قضاء إشبيلية سنين، وتقلد خطبة إشبيلية نحو من خمسين سنة<sup>7</sup>.  
وهؤلاء هم جماعة من شيوخ القاضي عياض كانت لهم الرياسة في ظل حكم دولة المرابطين، فقهاء تقلدوا مناصب من قضاء، فتوى، خطابة، في مختلف المناطق من: قرطبة، سبتة، فاس، إشبيلية، تلمسان، مرسية، الجزيرة الخضراء... جعلت منهم

<sup>1</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 167.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 167.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 176.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 176.

<sup>5</sup>- نفس المصدر، ص 197.

<sup>6</sup>- نفس المصدر، ص 197.

<sup>7</sup>- نفس المصدر، ص 213.

فقهاء سياسة، التقى بهم القاضي عياض وتلقى منهم الكثير من العلوم، سماعاً، قراءة، مع إجازة، ذكرهم في فهرسته بطريقة أكدت لنا أن علاقته بهم كانت علاقة الطالب بشيوخه، المتمثلة في التقدير والاحترام، والتي أدت به إلى عدم الخوض في ما حصل في حياتهم من جدل، فنجده يمر على الخبر دون إطالة أو تحليل، وخير مثال على ذلك ما ذكر عن شيخه ابن العربي الذي قال فيه: "ولكثرة حديثه وأخباره وغرائب حكاياته ورواياته ما أكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثه"<sup>1</sup>، دون أن يزيد، كما نجده ذكر أن الشيخ أبو عبد الله محمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي القرطبي "قتل وهو قاض يوم الجمعة وهو ساجد في صلاة الجمعة طعن بحديدة وقتل العامة للحين قاتله"<sup>2</sup>، ولم يخض القاضي عياض في الأمر فقد قال: "وجهل السبب في ذلك، وقد كثر التخوض فيه"<sup>3</sup>.

ولم تكن فهرسته المصنف الوحيد الذي شمل ذكر بعض فقهاء سلطة المرابطين، بل نجد مصنفه ترتيب المدارك يحتوي على بعض من فقهاء السلطة ممن عاصروه، نذكر منهم:

- محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود العكي: ولي الخطبة والصلاة بمدينة سبتة، وكان ممن يحضر السلطان مجالسهم، ذكر القاضي عياض أنه امتاز بصفات خيرة من الورع، الزهد، الفقه، والعبادة<sup>4</sup>.
- مروان بن عبد الملك اللواتي: ولي الفتيا والخطبة أياما في سبتة، والقضاء في طنجة، أكد أبو الفضل أنه سلك طريقا عظيما من الشدة والغلظة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 68.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 47-48.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 48.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 172.

<sup>5</sup> - نفس المصدر، ص 177.

- **عبد الخالق بن مروان بن عبد الملك اللواتي**: ذكر أبو الفضل أنه ولي القضاء في طنجة محل والده، فسار فيه محمود السيرة<sup>1</sup>.
- **محمد بن مروان بن عبد الملك اللواتي**: كان قاضيا في مكناسة، ثم تولى قضاء المرية، ذكر القاضي عياض أنه سلك مسلك العدل والزهد حتى لم يقدر مع فساد الزمان<sup>2</sup>، ويبدو أن العديد من عائلة بنو مروان تولوا القضاء، فنجد القاضي عياض يذكر غير ما سبق ذكره، عبد الرزاق بن مروان (ولي قضاء طنجة)، عبد الله بن علي (ولي قضاء غرناطة، تلمسان، الجزيرة)، عبد الرحمن (ولي قضاء مكناسة)، علي بن عبد الرحمن (ولي قضاء تلمسان)، مؤكدا بأن بنو مروان كانوا من ندرات الزمان<sup>3</sup>.
- **أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي**: كان كبير بلده في الفتيا والرواية، وكان له وجهة ومكانة عند السلطة، وولي القضاء في بلده أكثر من مرة<sup>4</sup>.
- **أبو عبد الله بن حمدين**: ولي قضاء الجماعة بتقديم من يوسف بن تاشفين، فسار فيه أحسن سيرة، حتى أن الناس شكروا أيامه، وأنه عرف عليه الجمع بين حسن الخلق وحسن الملكة في تنفيذ الأحكام<sup>5</sup>.
- **محمد بن عبد الله بن غالب الهمداني**: ولي قضاء سبتة، ثم قضاء الجماعة، وصفه القاضي عياض أنه كان من أهل النبل، الفضل، والجلالة، وأكد حسن السيرة في قضاؤه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 178.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 179.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 178-179.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 186.

<sup>5</sup>- نفس المصدر، ص 193.

<sup>6</sup>- نفس المصدر، ص 170.

وغيرهم من أهل الفقه الذين تولوا مناصب الفتوى، الخطابة، القضاء في ظل السلطة، ذكرهم القاضي عياض في مصنفة ترتيب المدارك، أين نجد في مجمل ذكره، كل صفات الخير والتميز، مع حسن السيرة والعدل، دون ذم أو عيب، جعلتنا نتأكد أن علاقته بفقهاء سلطة المرابطين كانت علاقة ممتازة لم يشوبها أي نزاع أو فراق، فهي علاقة التوافق والترابط بين التلميذ، الفقيه، المدرس، القاضي، مع مشيخته، زملائه، أصحابه، ربط بينهم المذهب، العقيدة، السلطة، المنصب.

### ب. علاقته بمهدي الموحدين:

عاصر القاضي عياض ظهور مهدي الموحدين منذ بدايته إلى غاية وفاته، وتعايش مع كل فترات حياته، جعلت منه طرفا من أطراف الصراع، نظرا لمنصبه وانتماءاته، فالقاضي عياض فقيه من فقهاء المرابطين، قاض من قضاة دولتهم، مفت وخطيب، له من الرياسة في بلده ما لم تكن لغيره كما ذكرنا سابقا، وابن تومرت جاء معاديا للسلطة وفقهائها، فكيف كان موقف القاضي عياض من مهدي الموحدين؟

عرف عن القاضي عياض تصنيف المصنفات بنظرة تَعْتَبِرُ بتأثير الزمان والمكان<sup>1</sup>، كما عرف عنه حدة الذكاء، وحضور الجواب<sup>2</sup>، خاصة أنه عاش في زمن عرف الكثير من المتغيرات السياسية والمذهبية معا، جعلته في ظرف حتمي للتعبير عن مواقفه، خصوصا لما جاء به المهدي بن تومرت.

وعلى الرغم من عدم وجود لقاء مباشر بين الرجلين<sup>3</sup>، فإنه وجد أن مصنفات القاضي عياض تحمل بين طياتها ردود فعل لما جاء به ابن تومرت من مذهب وعقيدة، حاولنا

<sup>1</sup> - محمد زنيير: اتجاه القاضي عياض الفكري بين واقع ومذاهب، مجلة المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، مرجع سابق، ص 402-403.

<sup>2</sup> - علي القاري: المصدر السابق، ص 7.

<sup>3</sup> - قيل إن القاضي عياض قتل على يد ابن تومرت بسبب دعوة الغزالي عليه، ولكن تم تكذيب ذلك من قبل المؤرخين، خاصة وأن ابن تومرت توفي قبل القاضي عياض. أنظر مقدمة ترتيب المدارك، ج1، ص ك.

التطرق لها من خلال وضع أفكار ابن تومرت ومواجهتها بما كان للقاضي عياض من دراسة وتحليل في ذلك الأمر، في النقاط التالية:

- وأول شيء نتطرق له هو العصمة واستخدامها سياسياً كأداة شرعية لإسقاط السلطة، فقد صرح ابن تومرت بالعصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم<sup>1</sup>، معلناً أن له الحق في الاستيلاء على الحكم، وأن سلطته مستمدة من إرادة الله<sup>2</sup>... "فإذا وصل إليكم كتابنا هذا فتأملوه وتفهموه فإنّ كلام المهدي نور وضياء ورحمة وشفاء لما في الصدور"<sup>3</sup>، "أنا المهدي... وأما الفعل فإنه يفتح الدنيا شرقها وغربها"<sup>4</sup>، "واسأل الله العصمة ولا يعلم الغيب إلا الله، أمر الله حتم يمتثل، ومن خالفه يقتل"<sup>5</sup>...، وقد استبدت صفة العصمة بفكر ابن تومرت، وهي من الصفات اللازمة توفرها في الأئمة لدى الشيعة التي ترفعهم لمقام الأنبياء، وتجعلهم مصدر الهداية والتشريع، وتعصمهم من الوقوع في الخطأ<sup>6</sup>، وبما أن عقيدة القاضي عياض السنية تأتي في الطليعة، والتي تقرر أن لا عصمة لأحد من الناس غير الأنبياء وغيرها من مظاهر التشيع<sup>7</sup>، نجده أطلق العنان لقلمه وتطرق لهذا المجال، وحقيقة أن القاضي عياض أبدع بشهادة من

<sup>1</sup>- المراكشي: المصدر السابق، ص 187.

من بين الصفات التي استبدت بفكر ابن تومرت صفة العصمة، وهو من المبادئ الشيعية وعلى أساس أن العصمة مطلقة لا تقبل أن تكون محمل نقاش أو دحض أو اعتراض، وهي من الصفات اللازمة في الأئمة لا بد من أن تتوفر فيهم، فهم معصومون من الخطأ والضلال والكذب والبدع والباطل وهم محل إشعاع فكري وعلمي، ومصدر التشريع والهداية، وهذا التوجه يتنافى وطبيعة البشر فالقرآن الكريم لم يثبت العصمة المطلقة لأنبيائه، وإن كان هناك شبه إجماع على أن مفهوم العصمة عن الخطأ وارتكاب الكبائر على وجه العمدة يأتي بعد النبوة مع جواز النسيان. ابن تومرت: المصدر السابق، ص 25.

<sup>2</sup>- محمد زبير: الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي ابن تومرت، المرجع السابق، ص 118.

<sup>3</sup>- البيدق: المصدر السابق، ص 10.

<sup>4</sup>- ابن تومرت: نفس المصدر، ص 400.

<sup>5</sup>- البيدق: نفس المصدر، ص 12.

<sup>6</sup>- ابن تومرت: نفس المصدر، ص 25.

<sup>7</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 1، ص 10.

عاصره ومن جاء بعده، أين ألف مصنفه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، ردا لاعتبار مقام النبوة، وهو الذي قال: "فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزز حرمة الاصطفاء، ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها"<sup>1</sup>، مؤكدا في مقدمة الكتاب أن سبب تأليفه هو التعريف بقدر النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- وما يجب له من توقير وإكرام لمنصبه الجليل وحكم من قصر في ذلك<sup>2</sup>.

وقد قسم القاضي عياض الكتاب في أربعة أقسام، جعل القسم الثالث منه "سر الكتاب، ولباب ثمرة هذه الأبواب، وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نوره فيه من النكت والبيانات، وهو الحاكم على ما بعده، والمنجز من غرض هذا التأليف وعده، وعند التقصي لموعده، والتقصي عن عهده، يشرق صدر العدو اللعين، ويشرق قلب المؤمن باليقين"<sup>3</sup>، وقد غلب عليه طابع الجدل والكلام، مبتعدا عن الصيغة النقلية التي اعتمدها في باقي الأقسام<sup>4</sup>، معنونا له بـ " فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم، وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه"<sup>5</sup>، متطرقا فيه عن العصمة، أين خص الله النبي بالطاعة دون المعصية، ذاكرا أن الله -سبحانه وتعالى- قد أجاز للنبي ما لا يجوز على البشر، ونزعه عن كثير من الآفات على الاختيار وعلى غير الاختيار لتكريمه الله له بالعصمة<sup>6</sup>، مؤكدا أنه لا يصح للبشر ما يصح للأنبياء، فهم وسائط بين الله وخلقه، صحيح أن ظواهرهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر، لكن بواطنهم وأرواحهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر، فهي متعلقة بالملا

1- حسن الجلاب: الآثار الأدبية لمتصوفة مراکش، المرجع السابق، ص 174.

2- القاضي عياض: الشفاء، المصدر السابق، ص 4-5.

3- القاضي عياض: نفس المصدر، ص 10.

4- حسن الجلاب: نفس المرجع، ص 168.

5- القاضي عياض: نفس المصدر، ص 690.

6- نفس المصدر، ص 694.

الأعلى، متشبهة بالملائكة، سليمة من التغير والآفات، لا يلحقها غالباً عجز ولا ضعف الإنسانية<sup>1</sup>، فكان المصنف بمثابة إسهام في دحض كل من تبنى منهاجاً ضد النبوة أو تطاول بالتشبه بكرامة من كراماتها، وخير رد على ادعاءات ابن تومرت.

- نادت بعض التيارات خاصة المعتزلة<sup>2</sup> منهم وقسماً من الأشاعرة<sup>3</sup> بتأويل الآيات القرآنية، وعدم الالتزام بمدلولها الحرفي، لأن ذلك يؤدي إلى الوثنية والشرك، وأطلقوا على الرافضين للتأويل بـ "المجسمة" أو "المجسمين"، وهو ما ذهب إليه ابن تومرت، الذي وجد في هذه التهمة وسيلة رئيسية لتكفير المرابطين، واستحلال دمائهم، لأنه بزعمه يشبهون الله بخلقه<sup>4</sup>، وأنكر على فقهاء جمودهم على مذهب السلف، واتهمهم

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الشفا، المصدر السابق، ص 691-692.

<sup>2</sup> - اختلف العلماء في تحديد فترة ظهورها، حيث بعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي - رضي الله عنه - اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما تنازل الحسين عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، أين اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم ومساجدهم واشتغلوا بالعلم والعبادة، أما الأغلبية من العلماء يرون أن واصل بن عطاء هو رأس المعتزلة، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري، وقد خالف الحسن في مسألة مرتكب الكبيرة وهي مسألة شغلت الأذهان في ذلك العصر، والذي كان يرى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ليس بمؤمن ولا كافر، ثم اعتزل مجلس الحسن البصري، وهناك من المستشرقون من أرجح أصل التسمية لأنهم كانوا رجالاً أتقياء متقشفين، وأن التسمية تدل على الزهد في هذه الدنيا، هذا فيما يخص التسمية أما مذهبهم فهو قائم على القول بالأصول الخمسة: "التوحيد والعدل والوعد والعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فإذا جمع أحد بين هذه الأصول فهو معتزلي. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذهب الفقهي، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 118-119.

<sup>3</sup> - لما تولى المتوكل الحكم أبعده المعتزلة عن مجلسه وأدنى خصومهم، وفك قيود العلماء، وتجرد جماعة الفقهاء لمنزلتهم، وظهر في أواخر القرن الثالث رجل امتاز بصدق البلاء وهو أبو الحسن الأشعري الذي ولد بالبصرة سنة 260هـ وتوفي سنة 330هـ، تخرج على المعتزلة في علم الكلام، وتلمذ لشيخهم في عصره أبي علي الجبائي، ولكن الأشعري وجد في نفسه ما يبعده عن المعتزلة، ومال إلى آراء الفقهاء والمحدثين، ثم انسلخ عن مذهب المعتزلة، وعاد لمذهب الجماعة، ثم أنشأ مذهب

يرد فيه على المعتزلة وأفكارهم سمي مذهب الأشاعرة. أبو زهرة: المرجع السابق، ص 151-152.

<sup>4</sup> - عمر ابن حمادي: الصراع الدعائي أثناء الثورات التراشق بالألقاب بين المرابطين والموحدين، أشغال الملتقى الدولي الخامس حول الحركات الاجتماعية في العالم العربي الإسلامي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008م، ص 369-370.

بالتجسيم<sup>1</sup>... "أما أصول الفتن فهي الافتراق وعدم الاجتماع، والاختلاف وعدم الاتفاق، وحفظ سواد الحروف، وتضييع حدود القرآن، واتباع رسوم العبادات، وإهمال معانيها، والتمسك بالأسماء، وتعطيل حقائق الدين... والاعتماد على المجسمين والرضا بالحال"<sup>2</sup>، "واجتهادكم على إحياء السنة، وتآلفكم، وتعاونكم على إظهار الحق، واجتماعكم على إخماد الباطل والضلال، وجهاد المجسمين المفسدين"<sup>3</sup>، "وطاعة أهل التجسيم والفساد، والانحياز إلى جنبتهم"<sup>4</sup>، "سأل المهدي أصحابه عن لمتونة: ما يقولون عنا؟ فقالوا: لقبونا بالخوارج، فقال لهم: لقبوهم أنتم بالمجسمين"<sup>5</sup>... وغيرها من المواقف التي نسب فيها ابن تومرت التجسيم لهم معتبرهم من خصوم التأويل، مؤكداً ذلك، معتمداً عليه في أحقية الجهاد ضدهم.

وكان خير جواباً للقاضي عياض في مصنفه الإعلام بقواعد الإسلام أين شرح الأمر بشكل بسيط دون تعقيد، بقوله: "أن يعتقد أن الله واحد أحد غير منقسم بذاته (وغير المنقسم في ذاته تعني لأن ذاته لا تماثل الذوات ولا الأجسام... لا في التقدير... ولا في القبول الانقسام والتجزئة... فلا يقال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو نور الله، لأن نور الله جزء من ذاته، وذاته لا تتفكك ولا تنقسم)، وأنه ليس معه ثان في ألوهيته، وأنه حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه إله كل شيء وخالقه، وأنه على كل شيء قدير، وأنه عالم بما ظهر وما بطن... وأنه سميع بصير متكلم بغير جارحة ولا آلة (فهو سميع بسماع يتكشّف به كمال صفات المسموعات، من غير آذان، وبصير ببصر يتكشّف به كمال التفريق بين المبصرات، من غير حدقة، ولا تجب رؤيته الظلمات، متكلم بكلام قديم، قائم بذاته

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 303.

<sup>2</sup> - ابن تومرت: المصدر السابق، ص 383.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 404.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 409.

<sup>5</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 111.



لا يشبهه كلام المخلوقات، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء، أو بانطباق شفة (أو تريك اللسان)، بل سمعه وبصره وكلامه صفات له لا تشبه صفاته الصفات، كما لا تشبه ذاته الذوات (لا تشبه صفاته صفات المخلوقين، فهو يعلم لا كعلم، ويسمع لا كسمع، ويبصر لا كبصري، لأن ذاته ليست كالذوات، لا تتخيلها العقول، ولا تدركها الأذهان)<sup>1</sup>، وهو هنا ينزه الله - عز وجل - عن الصفات البشرية.

وفيما يخص قضية التأويل فقد وضع القاضي عياض في مصنفه الشفا إشارة في حكم من يضيف إلى الله - عز وجل - من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة أو ما يقرب ذلك، عن طريق التأويل والاجتهاد<sup>2</sup>، حيث أخذ في ذلك موقف وسط، متبعاً مذهب مالك وأصحابه في عدم تكفير من تأول في المسائل التي لا تؤدي إلى كفر صريح، موضحاً أن القضية في تشعبها تتعلق في البث فيما كان يجوز الاجتهاد في أصول الدين من حيث تحكيم المفاهيم العقلانية في النصوص الواردة، المفيدة للتشبيه وتجسيم الكيفيات المادية التي لا تعقل في الأمور الغيبية، أم لا يجوز الاجتهاد، ويبدو أن القاضي عياض وقف إلى جانب النص الشرعي موقف التوقيف والإجماع، منكرًا أن يكون للعقل أي دور في مسائل الأصول<sup>3</sup>، وذلك بقوله: "وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السبِّ ولا الرِّدة وقصد الكُفر، ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المقضي إلى الهوى والبدعة، من تشبيهه (أي تشبيهه الله - سبحانه وتعالى - بغيره، كإثبات يد له وجسم)، أو نعت بجارحة (أي وصف الله - سبحانه وتعالى - بإثبات عضو له) أو نفي صفة كمال، فهذا ما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده، واختلف قول مالك وأصحابه

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الإعلام بحدود قواعد الإسلام، المصدر السابق، ص 33-35. ما بين الشلتين موضوع للشرح والتوضيح، انظر هامش مصنف الإعلام بقواعد الإسلام، ص 33-35.

<sup>2</sup> - محمد العربي الخطابي: ذكرى أبي الفضل عياض اليحصبي، المرجع السابق، المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، ص 191.

<sup>3</sup> - محمد الكتاني: مقدمة معاصرة لكتاب الشفا، المرجع السابق، المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، ص 374-375.

في ذلك، ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا (فارقوا أهل السنة وانفردوا بمكان مختص بهم، لإظهارهم المخالفة، وخشية وإضلال العامة والخروج إذا قويت شوكتهم) فئة، وأنهم يستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا، وإنما اختلفوا في المنفرد منهم، وأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم، وترك قتلهم، والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم، حتى يظهر إقلاعهم، وتستبين توبتهم، كما فعل عمر -رضي الله عنه- بصبيغ<sup>21</sup>.

- هاجم ابن تومرت فقهاء دولة المرابطين، واعتبر أنهم أصول الفتنة، والداء والمرض لهذه الدولة، متهما إياهم باستغلال العلم لصالح السلطة وتضليل الناس، واتباع المال والدنيا، طاعنا في علمهم وفتياهم، واصفا إياهم بالعديد من الصفات نذكر منها: المفسدين، الملبسين، أولياء الشياطين، أهل التجسيم، أتباع الباطل،<sup>3</sup> وغيرها من الصفات، مع اتهامهم بالتزير بالفقه والدين لخداع الناس، وصددهم عن الحق وإعانتهم على الباطل، واستغلال العلم للتعليق بأصحاب السلطة وإعانتهم على الضلال، من أجل الدنيا وملذاتها<sup>4</sup>.

وخير جواب استطعنا انتقاءه من مصنفات القاضي عياض على ما نعت به ابن تومرت هو ومن كان في وقته من فقهاء السلطة، ما ذكره في مصنفه "ترتيب المدارك"، واصفا فقهاء مذهب مالك ممن اتبعوه في العلم والدين، وكان منهم هؤلاء الفقهاء قائلا: "أتباع صدق وعدل، وأخلاف هدي وفضل، وأكناف معرفة وعلم، ومعادن خير وحلم، اختار منهم أئمة المسلمين، ونصب منهم أعلاما للدنيا والدين، فبينوا للناس ما نزل إليهم، وشرحوا لهم ما أشكل عليهم، وانقادوا لما ثبت من السنن

<sup>1</sup> - هو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ بن شريك بن عسل، كان يتتبع القرآن ومشاكله، فأمر عمر رضي الله عنه بضربه، ومنع الناس من مجالسته. القاضي عياض: الشفا، المصدر السابق، هامش ص 1051.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 1051. ما بين الشلتين موضوع للشرح والتوضيح، انظر هامش نفس مصنف.

<sup>3</sup> - أنظر ابن تومرت: المصدر السابق، ص 408.

<sup>4</sup> - أنظر نفس المصدر، ص 408-409.

لديهم، واعتبروا باستتباطهم وصحيح اجتهادهم حكم ما لم ينص على عينه، وقاسوا بما فهموا من الشرع حكمه في غيره، ولم يزيغوا عن سنن التحقيق، ولا أخذوا ببنيات الطرق، ولا حَكَموا الآراء المظلة في الدين، ولا انهملوا انهمال الملحدين، ولا تنطعوا تنطع المعتدين، بل تبعوا آثار من مضى قبلهم، واقتفوا في التمسك بأصول الشريعة سبلهم، ولم يضرهم من خلاف من خالفهم من الفرق"<sup>1</sup>.

- لم يكن التجسيم والتلبيس التهم الوحيدة التي استخدمها ابن تومرت ضد الفقهاء، بل اتهمهم أنه لم تكن لهم معرفة بالجدل والنظر<sup>2</sup>، وهنا نقول إن مصنفات القاضي عياض المتنوعة خير دليل على تكذيب ادعاءات ابن تومرت في جهل فقهاء تلك الفترة بعلم الكلام والجدل، وقد تطرقنا في الفصل الأول عن صلة القاضي عياض بالجدل والنظر، ذاكرين شيوخه الذين تخصصوا في هذا المجال، مدحضين قول ابن تومرت في ذلك، وهو أكد من جل الباحثين، منهم ما ذكره عبد القادر زمام: "فقبل المهدي بن تومرت ، وقبل أن يحمل حملته العظمى القاسية على المرابطين وما عرفوا به، هم والعلماء المحيطون بدولتهم... كانت هناك وحدة متكاملة بين المذهبية الأشعرية في العقائد، والمذهبية المالكية في الفقه وأصوله وفروعه، فقد مثل هذه الوحدة عدد من علماء المغرب والأندلس ذكرهم عياض في هذا الكتاب..."<sup>3</sup>.

كما نجد القاضي عياض يقسم علماء المذهب المالكي إلى صنفين، صنف آمن بالتقاليد فتجلى فيه الوفاء التام لقواعد المنهاج الذي وضعه مالك وكبار شيوخ المذهب المالكي الأولين، وصنف مع انتمائه للمذهب المالكي، يسمح لنفسه بشيء

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص 5.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص ط.

<sup>3</sup> - عبد القادر زمام: القاضي عياض منهاج في العلم وقدوة في السلوك، المناهل، العدد الخص بالقاضي عياض، المرجع السابق، ص 647.

من التحرر فيميل إلى استعمال الرأي والأخذ بمبدأ الاجتهاد<sup>1</sup>، وهو ما ينفي افتراء ابن تومرت فكما وجد من اتبع السلف وجد من واكب العصر في الاجتهاد.

- نادى ابن تومرت بالرجوع إلى القرآن والحديث والإجماع لاستنباط الأحكام الشرعية دون واسطة من الفروع الفقهية<sup>2</sup>، حتى بلغ بأمر الموحدين بعده إلى إحراق كتب المذهب في سائر البلاد<sup>3</sup>، وكان الفقهاء في عصر القاضي عياض يرتكزون على النصوص المروية عن الإمام مالك، أي الموطأ في الحديث والمدونة في الفقه بعد القرآن والحديث<sup>4</sup>، وقد تحدث القاضي عياض في مصنفه ترتيب المدارك بإسهاب على تاريخ ظهور المدونة في المغرب، مموها إلى مكانتها في المذهب، موضحاً على أنها من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن، أفرغ فيها العلماء عقولهم، وشروحها، وبينوها، مؤكداً أنه ما اعتكف أحد على المدونة ودرستها إلا ظهر ذلك في ورعه وزهده، وما عداها أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه<sup>5</sup>، لكن في هذه النقطة قد يكون القاضي عياض وافق رأي ابن تومرت أو تنبه لعيب الفقهاء باعتمادهم على المدونة وتركهم التحقق والاجتهاد، مما جعله يصنف مؤلف التنبيهات، وقد أوضح ذلك في مقدمة الكتاب: "لتوفر عامتهم وجمهورهم على علم المسألة والجواب، وتفرغهم لذلك عن التحقق بعلمي الأثر والإعراب، ولذلك استمرت رواياتهم في الكتاب في كثير منها على الوهم الصريح والتصحيح القبيح"<sup>6</sup>.

1- محمد زنيير: اتجاه القاضي عياض الفكري، المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، المرجع السابق، ص 401.

2- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 361.

3- القاضي عياض: التنبيهات، المصدر السابق، ص 25.

4- محمد زنيير: اتجاه القاضي عياض الفكري، المرجع السابق، ص 411.

5- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج3، ص 300.

6- القاضي عياض: التنبيهات، نفس المصدر، ص 24.

أما فيما يخص اعتمادهم على موطأ مالك فقد كان له العديد من الأجوبة التي تؤكد أولية المصنف، وقد أخذنا أبياتا شعرية قالها، وأدركنا فيها إجابة وتلميح على شخص ابن تومرت تحديدا أبياتها:

كِتَابُ الْمُوطَأِ مِنْ تَصَانِيفِ مَالِكِ	إِذَا ذُكِرَتْ كُتُبُ الْعُلُومِ فَخَيْرُهَا
وَرَأَى كَأَنْوَارِ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ	أَسَانِيدَ، أَمْثَالَ الرُّوَاسِي، صَحِيحَةَ
يُنْجِي هُدَاهَا مِنْ جَمِيعِ الْمَهَالِكِ	هُوَ الْحُجَّةُ الْغَرَاءُ وَالْعِصْمَةُ الَّتِي
وَفِيهِ جَلَاءُ الْمُشْكَلاتِ الْحَوَالِكِ	بِهِ يُهْتَدَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَيُقْتَدَى
عَلَى رَغْمِ خَيْشُومِ الْحَسُودِ الْمَمَاحِكِ	عَلَيْهِ مَضَى الْاِجْمَاعُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ
يَعْلَمُ كُلُّ نَهْجٍ تِلْكَ الْمَسَالِكِ	وَأَوَّلَ تَصْنِيفٍ تَهْذُبُ فَاغْتَدَى
وَاتَّقَانَ تَرْتِيبَ لِتِلْكَ الْمَدَارِكِ	بِتَأْلِيفِ أَشْكَالٍ وَحُسْنِ عِبَارَةٍ
وَخَلَصَ مَحْضِ التَّبِ تَخْلِيفِ سَابِكِ	فَجَاءَ كَمَا حَلَى الْوِشَاحُ مُنْظَمٌ
وَمِنْهُ اسْتَقْدَ شَرَعَ النَّبِيِّ الْمُبَارِكِ	فَعَنْهُ فَخَذُ عِلْمِ الدِّيَانَةِ خَالِصًا
فَمَنْ حَادَ عَنْهُ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ <sup>1</sup>	وَشَدَّ بِهِ كَفَّ الصَّنَانَةِ تَحْتَوِي

- صنف ابن تومرت العديد من المؤلفات في الحديث، كانت في مجملها مجموعة من الأحاديث مرتبة حسب المواضيع أو مختصرة لكتب في حديث الصحاح منها: "محاذي الموطأ"، "مختصر صحيح مسلم"، وهي مصنفات محذوفة الأسانيد، تركيزا لمنهجه في الرجوع إلى الأصول من القرآن والحديث<sup>2</sup>، وفي هذا الموضوع كان للقاضي عياض مصنف في علوم الحديث سماه ب "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع"، في معرفة الضبط وتقييد السماع والرواية<sup>3</sup>، ذكر فيه أن

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص 78-79.

<sup>2</sup> - النجار: المرجع السابق، ص 154-156.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، المصدر السابق، ص 21.

الإسناد من الدين، وأن لولاه لقال من شاء ما شاء<sup>1</sup>، وقد تحدث في الأمر فأسهب وأقنع، ونأخذ مما قال:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ اسْتَمِعْ قَوْلَ امْرِئٍ      مَحِضِ النَّصِيحَةِ لِلْمُرِيدِ الرَّاعِبِ  
 الْعِلْمُ فِي أَضْلَيْنِ لَا يَغْدُوهُمَا      إِلَّا الْمُضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ اللَّاجِبِ  
 عِلْمُ الْكِتَابِ وَعِلْمُ الْآثَارِ الَّتِي      قَدْ أُسْنِدَتْ عَن تَابِعٍ عَن صَاحِبِ  
 جَاءَتْ بِهَا الْأَثْبَاتُ عَنْهُمْ وَاعْتَنَّتْ      بِمَسَانِدٍ وَمَرَايِلِ وَغَرَائِبِ  
 حَتَّى نَفَتْ طَعْنَ الْغَوِيِّ وَمَيَّرَتْ      خَطَأَ الْغَيْبِيِّ وَزُورَ وَضَعَ الْكَاذِبِ  
 فَأَتَتْ كَمَا انْتَضَمَ الْوِشَاحُ وَتُقِفَتْ      سُمْرُ الرِّمَاحِ وَلَاخَ ضَوْءِ النَّاقِبِ  
 لَوْلَا رَوَايَتُهُمْ مَا لَمَا اتَّصَلَتْ بِنَا      وَلَمَا عَلِمْنَا سُنَّةً مِنْ وَاجِبِ  
 مِنْهَا مَثَارُ الْفَقْهِ وَهِيَ دَلِيلُهُ      وَالرَّأْيِ مَطْرَحٌ لِأُبْعَدِ جَانِبِ<sup>2</sup>

وهنا نشعر أن القاضي عياض يحذر طلبه العلم من اتباع المهدي بن تومرت في رفضه العودة إلى الأسانيد، ناصحا لهم، معتبرا ابن تومرت غوي وكاذب. - صنف ابن تومرت العديد من التصنيفات التي تحوي العقيدة التي نادى إليها، مطالباً أتباعه بتدبرها وتبليغها، منها مصنف "التوحيد"<sup>3</sup>، "القواعد"، "الإمامة"<sup>4</sup>، "أعز ما يطلب"، "المرشدة"... وفي نفس الوقت نجد القاضي عياض صنف العديد من المصنفات، والتي نشعر أن جلها جاء للرد على عقيدة ابن تومرت، مواجهة لأفكاره

<sup>1</sup>- القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، المصدر السابق، ص 194.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 43-44.

<sup>3</sup>- صنفه باللسان البربري، وهو سبعة أحزاب، عدد أيام الجمعة، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم أثر صلاة الصبح، بعد الفراغ من قراءة القرآن، وهو يحتوي على معرفة الله تعالى، وسائر العقائد، كالعلم بحقيقة القضاء والقدر، والايمان بما يجب لله تعالى، وما يستحيل عليه، وما يجوز وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مؤلف مجهول:

الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 109-110.

<sup>4</sup>- نفس المصدر ص 108-109.

ومصنفاته، وسنحاول في هذا الجدول مقابلة مصنفات القاضي عياض بما رد على ابن تومرت من أفكار ومصنفات:

جدول رقم (2): مقابلة مصنفات القاضي عياض بما رد على ابن تومرت

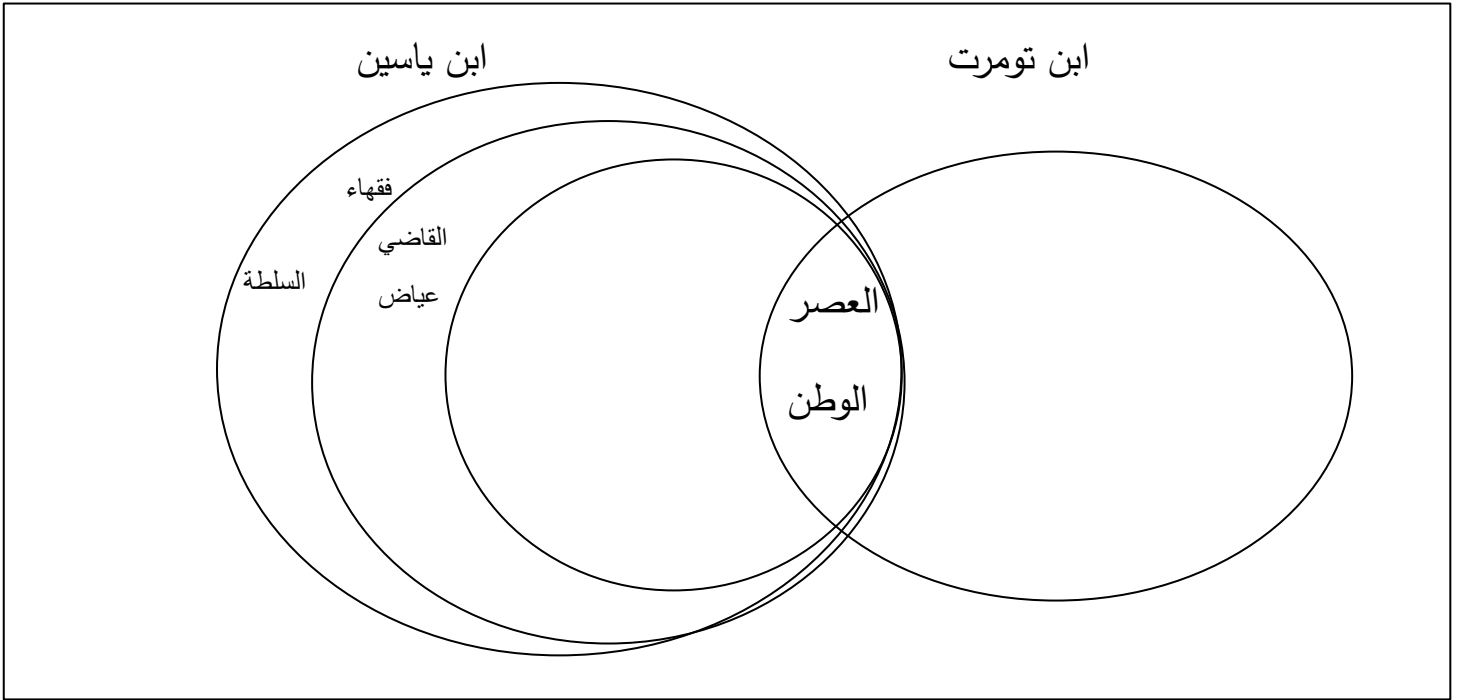
مصنفات القاضي عياض	على ماؤد على ابن تومرت
الشفاء في تعريف حقوق المصطفى	العصمة، المهدوية، التأويل
التنبيهات المستتبطة على كتب المدونة والمختلطة	استنباط الأحكام دون واسطة للفروع الفقهية - قيمة المدونة
الالمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع	حذف الأسانيد في رواية الأحاديث
ترتيب المدارك - الغنية	أولية مالك والمذهب المالكي، الافتراءات على فقهاء المالكية في عصره، تعريف قيمة المدونة والموطأ
الإعلام بحدود قواعد الإسلام	مصنفاه "التوحيد" و"القواعد" ووضعها في معرفة العقيدة وتعليمها
إكمال المعلم في شرح مسلم	مختصر صحيح مسلم
مشارك الأنوار على صحاح الآثار	محاذي الموطأ

المصدر: من إنجاز الباحثة<sup>1</sup>

ومما سبق حول علاقة القاضي عياض بفقهاء سلطة المرابطين وفقهه الموحدين، يمكننا توضيح ذلك وتبسيطه من خلال هذا المخطط:

<sup>1</sup> - تم إنجازه بالاعتماد على ما جاء في الفصل الأول ومصنف عبد المجيد بن النجار: المرجع سابق، ص 143-155.

مخطط 1: يوضح علاقة القاضي عياض بفقهاء سلطة المرابطين وفقه الموحدين



المصدر: من إنجاز الباحثة

والمخطط يوضح لنا العلاقة المبنية بين القاضي عياض وبين ثلاثة أطراف هم: عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين، فقهاء سلطة المرابطين، ابن تومرت مؤسس حركة الموحدين، أين نجد علاقة القاضي عياض بفقهاء سلطة المرابطين علاقة مترابطة، ذلك أن القاضي عياض تكون في مدرسة الفقهاء الذين بدورهم تخرجوا من المدرسة التي وضع أسسها عبد الله بن ياسين، وبذلك نجد دائرة القاضي عياض محتواه في دائرة الفقهاء وكلاهما محتواه في دائرة عبد الله بن ياسين، ويبدو أن القاضي عياض تقاسم مع الفقهاء كل مجالات الحياة خاصة السلطة والتوجه المذهبي والعقدي، على الرغم من أن منهم من قاسمهم العصر ومنهم من لم يقاسمهم نفس العصر، وهما الاختلاف الوحيد بينه وبين عبد الله بن ياسين، ولكن ذلك لا ينفي أنه عاصر الدولة التي أسسها وعاش في مجال حدودها، وفي نفس الوقت هو التوافق الوحيد بينه مع تزامن ظهوره في نفس العصر وبين ابن تومرت حسبما هو موضح في الشكل فلم



يتوافق القاضي عياض مع مهدي الموحدين إلا في مجال الوطن وهو المغرب الأقصى،  
والعصر الذي ولدا فيه.

### ثالثا: علاقة القاضي عياض بالسلطة السياسية

شهد المغرب الأقصى ما بين القرنين الخامس والسادس هجري، فترة مزدهرة من أخصب  
فتراته، حيث قامت على أرضه أقوى سلطتين قادها أمراء اعتبروا من أقوى القادة الذين عرفتهم  
المنطقة<sup>1</sup>، كان القاضي عياض في ظل الأولى طالبا، مدرسا، قاضيا، فاستغل هذه الفترة  
المزدهرة من حياته في جمع العلم ونشره، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان وفيا  
لأمراء هذه الدولة الذين اهتموا بالفقه والفقهاء، وللأسف هذه الفترة لم تدم طويلا حتى بدأت  
ملامح دولة أخرى تلوح في الأفق، يطرد لمعان شعاعها الضوء الخافت المتبقي من دولة  
المرابطين، هي دولة الموحدين التي عايش أبو الفضل كل مراحل بدايتها حتى قيامها على يد  
خليفته عبد المؤمن<sup>2</sup>.

### 1. أمراء السلطة في عصر القاضي عياض:

عاصر القاضي عياض خمسة أمراء لدولتين عرفا عنهما أنهما أقوى دولتين عرفهما  
تاريخ الغرب الإسلامي، منهم من أعاد للمغرب مجده، وللإسلام قوته، ومنهم من اعتبر من  
أعظم الملوك في عصره، حيث أسسوا دولة كتبوا أسماءهم فيها بحروف من ذهب، وسجلت  
حياتهم وبطولاتهم في التاريخ، وهم:

- **يوسف بن تاشفين:** هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن  
منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي، الصنهاجي الحميري<sup>3</sup>، ولد سنة 400هـ،  
وتوفي سنة 500هـ، عرف عنه حسن الخلق، التواضع، كثرة الحياء، الجود، الكرم،

<sup>1</sup> جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 83.

<sup>2</sup> القاضي عياض: التنبيهات، المصدر السابق، مج 1، ص 22.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 24.

المواظبة على الجهاد والزهد في الدنيا<sup>1</sup>، بزغ نجمه في حركة المرابطين في سنة 448هـ، في معركة الواحات التي فتح فيها المرابطون مدينة سجلماسة، وكان هو قائدا للجيش المهاجم<sup>2</sup>، وهو ما أهله سنة 453هـ لاستخلاف الأمير أبي بكر على المغرب بعدما ارتحل إلى الصحراء، ونزل له عن زوجه زينب بنت إسحاق<sup>3</sup>، فحينئذ سار ابن تاشفين بعسكره من المرابطين ودوخ المغرب<sup>4</sup>، وغزا قبائل زناتة واقتضى طاعتهم، ثم بنى مدينة مراكش واستوطنها الناس<sup>5</sup>، وقوي أمره وعظمت شوكته، فدون الدواوين، رتب الأجناد<sup>6</sup>، ودخل الكثير من البلاد، وبإيعه جميع أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة، المصامدة، غمارة، وسائر قبائل البربر<sup>7</sup>.

ولما كان سنة 465هـ تنازل أبا بكر بن عمر ليوسف بن تاشفين عن الإمارة بعد عودته من الصحراء بحضور أشياخ لمتونة، أمراء المصامدة، أعيان الدولة الخاصة والعامة، وعاد إلى موضع نزوله بأغمات، وعلل أبو بكر هذا التنازل بأحقية يوسف بهذا المنصب ورغبته بالعودة إلى الصحراء<sup>8</sup>، وبهذا تمكن يوسف بن تاشفين من المحافظة على ما وصل إليه مع حصوله على الإمارة، واستطاعت دولة المرابطين

1- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 136-137.

2- سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 38.

3- تزوج يوسف بن تاشفين زينب النفاوية سنة 463 هـ، وأخبرته أنه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله وأعطته الأموال الغزيرة، فأركب الرجال الكثيرة، ودمع له القبائل أموالا عظيمة، فجند الأجناد وأخذ جمع الجيوش من البربر والاحتشاد، وبتدبير زوجته استطاع السيطرة على الحكم في دولة المرابطين. ابن عذاري: المصدر السابق، ص 68.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 245.

5- ابن الخطيب: تاريخ المغرب في العصر الوسيط - القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العيادي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964م، ص 235.

6- ابن عذاري: نفس المصدر، ص 18.

7- ابن أبي الزرع: نفس المصدر، ص 139-142.

8- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 26-27.

أن تصل إلى ذروة قوتها وامتداد سلطانها بقيادته، حيث استطاع تمديد سلطته من الجزائر إلى المحيط ومن طنجة إلى سجلماسة<sup>1</sup>.

وانتهج يوسف بن تاشفين في الحكم نهج من خلفه من مؤسسي الدولة، واشتهر بقوته، زهده وعدله، ووصل صيته كل العالم الإسلامي، حتى ذكر أن الغزالي فكر بالانتقال إلى المغرب ليعيش في كنف حكمه وعدله<sup>2</sup>، وخلال هذه الفترة كانت الأندلس في أضعف حالاتها، ووصلت إليهم بطولات المرابطين وانتصاراتهم بقيادة ابن تاشفين، ولم يجد حزب الفقهاء والأمراء وحتى العامة فيها سوى الاحتماء بهم في وجه العدو الصليبي، أين دعوه لجواز الأندلس وإنقاذهم<sup>3</sup>، ولما وصله الخبر حشد الجنود وجمع الجيوش وجاز إلى الجزيرة، وكان ذلك سنة 489هـ<sup>4</sup>، فقاد معركة سجلت في التاريخ، وحقق نصر عظيم في واقعة الزلاقة سنة 478هـ<sup>5</sup>، أين كان عمره تقريبا 80

<sup>1</sup> - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط1، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ص 29.  
<sup>2</sup> - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص 30.  
<sup>3</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 124.

في السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر عاش الإسلام الإسباني أزمة عميقة، أين كانت المنطقة الجغرافية التي يسيطر عليها المسلمون من الأندلس مجزأة إلى ممالك متعددة، فحاول ملك قشتالة ألفونسو السادس استغلال الفرصة في التخلص من حكمها والسيطرة عليها، والذي غزا طليطلة سنة 1085م، ثم بدأ يتقدم بقواته للسيطرة على أقاليم أخرى من الأندلس مستغلا التمزق السياسي الذي عرفته المنطقة، فعجز ملوك الطوائف عن احتواء القشتاليين أين استجدوا بيوسف بن تاشفين لإنقاذهم، هذا القرار لم يكن سهلاً على المعتمد وغيره، لكنهم لم يجدوا طريقاً آخر، أين نجد المعتمد عندما اقترح طلب المساعدة من المرابطين، طلب منه ابنه التريث وعدم الإسراع في الاتصال بالمرابطين الذين يستطيعون إنهاء سلطتهم، وهنا قال المعتمد مقولته الشهيرة "من الأفضل أن أموت كراعي جمال في المغرب الكبير على أن أعيد الأندلس إلى أرض الكفر". أو قول "الأفضل لي إن أكن راعي جمال من أن أكون راعي خنازير".

leopoldo torres balbás, artes almoravide y almohade, blass, s. a. tipográfica. - núñez de balboa, 27. madrid, p7. muhittin kapanşahin , p802.

<sup>4</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموسوية، المصدر السابق، ص 51-52. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 248.

<sup>5</sup> - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص 33.

أنظر: ameer ali , syed : short history a of the saracens being a concise account of the rise and decline of the saracenic power and of the economic, social and intellectual development of the arab nation from the earliest times to the destruction of bagdad, and the expulsion of the moors from spain, the macmillan company, london, 1899, p533.

عاما ولكنه أعطى أحسن مثالا للشجاعة، وحسن التفكير، وأصبح يوم الزلافة عيدا لدى كل المسلمين، "فيوم الزلافة ثبت قدم الدين بعد زلاقتها، وعادت ظلمة الحق إلى إشراقها، نفست مخنق الجزيرة بعض التنفس، واعتز بها رؤساء الأندلس"<sup>1</sup>، وكان لها دوي عظيم في العالمين الإسلامي والنصراني.

وبذلك تمكن بن تاشفين من حماية جبهة الإسلام وتوقيف الزحف النصراني في الأندلس<sup>2</sup>، كما فتح الباب أمام المرابطين للسيطرة على الجزيرة الخضراء، خاصة بعد تدخل فقهاء الغرب والشرق الإسلامي وفتوهم بجواز إسقاط ملوك الطوائف، على أساس ظلمهم الرعية ومداخلتهم العدو<sup>3</sup>، وفي سنة 484هـ تم جوازه إلى سبتة هو وجيوشه اللمتونية، أين بقي هو في سبتة وأرسل جنوده الذين دخلوا الأندلس لإسقاط ملوك الطوائف<sup>4</sup>، ولم يزل يرسل جيوشه إلى أن خلع كل أمرائها وملك جميع بلادها<sup>5</sup>، فأقامت الأندلس في عهده على أحسن حال، في رفاة محفوفة وموفرة إلى حين وفاته<sup>6</sup>.

وهكذا استطاع يوسف بن تاشفين تحقيق ما عجز عن تحقيقه العديد من قادة المغرب قبله، فقد استطاع توسيع دولته وجعلها تمتد في قارتين، حدودها الشمالية ما بين نهر تاجه ووادي أنه في شبه الجزيرة الإيبيرية في أوروبا، وحدودها الجنوبية في إفريقيا المدارية<sup>7</sup>، واعتبر أحد أعظم الأمراء الذين أعادوا للإسلام عزه.

<sup>1</sup> - مؤلف مجهول: الحل الموشية، المصدر السابق، ص 66.

<sup>2</sup> - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 33. الناصري: المصدر السابق، ص 49.

<sup>3</sup> - عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 125.

<sup>4</sup> - مؤلف مجهول: نفس المصدر، ص 66-72.

<sup>5</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 156.

أنظر.: leopoldo torres balbás: la référence précédente, p7.

<sup>6</sup> - مؤلف مجهول: نفس المصدر، ص 82.

<sup>7</sup> - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص 35.

- **علي بن يوسف:** هو علي بن يوسف بن تاشفين، ولد سنة 477هـ بمدينة سبتة، عرف عنه الذكاء والفهم، تولى النظر في المظالم والشكايات وعمره 18 سنة، وفي عمر 23 سنة تولى السلطة بعد وفاة أبيه سنة 500هـ<sup>1</sup>، فقام بالأمر أحمد قياماً، واضطلع به أحسن اضطلاعاً، واجتمعت عليه الأمة<sup>2</sup>، وملك من البلاد ما لم يملك والده، فكان ملك في المغرب ممتداً من بجاية إلى السوس الأقصى، كما ملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة إلى بلاد السودان، وملك بلاد الأندلس شرقاً وغرباً، والجزائر الشرقية، ميورقة ويااسة<sup>3</sup>.

وقد عرف عن علي بن يوسف الخلق والصدق، فكان عظيم البر، جزيل الصلة، كثير الصدقة، زكياً فقيهاً<sup>4</sup>، سلك في حكمه طريق والده، فوزع الأموال، رد الأحكام إلى قضاة البلاد، ضبط الثغور، فكان وديعاً على دولته ورعيته، ظاهراً على الكفر وأهله<sup>5</sup>، جاز إلى الأندلس للجهاد كم من مرة، وكانت له وقائع سجلها التاريخ، ففي سنة 503هـ دخل مدينة طلايوت، و27 حصناً من أعمال طليطلة، وفتح مجريط

<sup>1</sup> ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 157، مؤلف مجهول: الحلال الموشية، المصدر السابق، ص 84. أرسل علي بن يوسف رسلاً إلى جميع أنحاء الإمبراطورية، سواء في المغرب أو الأندلس ليعلم وفاة والده، وعبر قاداته عن تعازيهم واعترفوا بخلافته للسلطة، باستثناء ابن أخيه يحيى بن أبو بكر، الذي كان حاكماً على مدينة فاس، أين رفض الاعتراف بالأمير الجديد، وهنا سار علي بن يوسف إلى مدينة فاس لمواجهة تمرد ابن أخيه، أين نزل في ضواحيها وأرسل رسالة إلى يحيى المتآمر، يدعوه فيها إلى إعادة النظر وإبداء طاعته، وكان يحيى بن أبو بكر قد حاول تحريض أهل فاس على التمرد على ابن يوسف لكن وجود الجيش في أطراف المدينة كان له تأثير أكبر على المواطنين، ولما رأى ابن أبا بكر أنه لا يملك إلا القليل من الدعم هرب خوفاً على سلامته، ودخل علي بن يوسف مدينة فاس سنة 500هـ، وفر يحيى بن أبو بكر باتجاه تلمسان حيث التقى حاكمها، فسعى له أمام علي بن يوسف أين ضمن سلامة ابن أبو بكر والعفو عنه إذا عاد معه إلى فاس ليخضع لسلطة الأمير الجديد فوافق على مضم.

ronald a. messier : the almoravids and the meanings of jihad, santa barbara, california, 2010, p122.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: نفس المصدر، ص 84.

<sup>3</sup> ابن أبي الزرع، نفس المصدر، ص 157.

<sup>4</sup> مؤلف مجهول: نفس المصدر، ص 84-85.

<sup>5</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 250، ابن أبي الزرع: نفس المصدر، ص 157.

ووادي الجارة، وفي سنة 513هـ، فتح مدينة شنتميرة، "وسار في بلاد الفرنج يقتل ويسبي ويقطع الثمار، ويخرب القرى والديار حتى دوخ بلاد غرب الأندلس، وفر أمامه الفرنج وتحصنوا بالمعاقل المنيعة"<sup>1</sup>، وفي عهده ظهرت فتنة المهدي ابن تومرت، فشغل عن الجهاد، ولم يزل بسببه في جهد جهيد وكرب شديد إلى أن توفي رحمة الله عليه سنة 537هـ عن عمر ناهز الستون عاما<sup>2</sup>.

- **تاشفين بن علي:** هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، ولي الحكم سنة 537هـ، وكانت أيام فتنة وحروب<sup>3</sup>، عرف بشهامته وشجاعته، مع راحة العقل، وكان له في الأندلس وقائع كثيرة انتصر فيها، عينه والده قبل وفاته لمحاربة الموحدين<sup>4</sup>، واستمر في محاربه بعد وفاته وتوليته الحكم، وقد ملك الموحدون معظم بلاد العدو، والهزائم تتوالى عليه<sup>5</sup>، حتى هلك سنة 541هـ<sup>6</sup>.

- **إبراهيم بن تاشفين:** بويع بالحكم بعد هلاك تاشفين بن علي، وكان شابا صغيرا، وألفوه عاجزا مضعفا، فانتقضوا عليه، وبايعوا عمه إسحاق بن علي بن يوسف، وكان هو أيضا شابا صغيرا، وقد حاصرهم الموحدون أحد عشر شهرا، ثم دخلوا مراكش، وقتل على يديهم سنة 542هـ<sup>7</sup>، وكان آخر أمراء المرابطين.

وهؤلاء هم أمراء المرابطين الذين عاصرهم القاضي عياض، كانوا من خير الأمراء الذين عرفهم الغرب الإسلامي، حكموا بالعدل، ودافعوا عن الإسلام، ذكرهم

<sup>1</sup>- الناصري: المرجع السابق، ص 65-68.

<sup>2</sup>- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 256.

<sup>3</sup>- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 165.

<sup>4</sup>- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 120-130.

<sup>5</sup>- ابن الخطيب: نفس المصدر، ص 264.

<sup>6</sup>- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 252.

<sup>7</sup>- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 252، الناصري: نفس المرجع، ص 73.

المؤرخين بكل خير، وعرف عنهم كل عدل، وخير ما جاء فيهم نظم الفقيه أبي طالب عبد الجبار الشقري في أرجوزته دولة المرابطين، والتي جاء فيها:

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَ الدِّينِ	اسْتَصْرَخَ النَّاسُ ابْنَ تَاشِفِيْنَ
فَجَاءَهُمْ كَالصُّبْحِ فِي إِثْرِ عَسَقِ	مُسْتَدْرِكًا لِمَا تَبَقَّى مِنْ رَمَقِ
أَتَى أَبُو يَعْقُوبٍ كَالعَقَابِ	فَجَرَدَ السَّيْفَ عَلَى الرِّقَابِ
وَوَاصَلَ السَّيْرَ إِلَى الزَّلَاقَةِ	وَسَاقَهُ لِيَوْمِهَا مَا سَاقَهُ
لِلَّهِ دُرٌّ مِثْلُهَا مِنْ وَقْعَةٍ	قَامَتْ بِنَصْرِ الدِّينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
وَتَلَّ لِلشَّرِكِ هُنَاكَ عَرْشَهُ	لَمْ يُغْنِ عَنْهُ يَوْمَهُ أَذْفَنُشَهُ
وَاتَّصَلَ الأَمْرُ عَلَى النِّظَامِ	وَأَمِنَ الْجَمْعَ كَأَوْلَى مَرِهِ
وَأَنْصَرَفَتْ عَلَى العُدُوِّ الكُرَّةُ	تَعِيثُ فِي المَسَاءِ وَالغُدُوِّ
فَإِنَّ خَيْلَ اللَّهِ فِي العُدُوِّ	مُقْتَدِيًا حُكْمَ أَبِيهِ يَعْتَقِي
ثُمَّ وُلِيَ عَلِيُّ بْنُ يوسُفَ	غَصَبَ ظُلْمًا مُلْكِهِ المَكِينِ
وَبَعَدَ ذَلِكَ اللَّيْثُ تَاشِفِيْنَ	وَاسْتَحْكَمَتْ فِي أَهْلِهَا الأَهْوَاءُ
وَأَتَتْ الفِتْنُ وَالْأَزْرَاءُ	وَهُوَ المُرْجَى لِذِفَاعِ دَائِهِمْ <sup>1</sup>

- **عبد المؤمن بن علي:** هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر ابن علي بن عامر إلى قيس بن عيلان<sup>2</sup>، وذكر البيدق نسبه قائلاً: "هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن بعلى بن حسن بن كنونة بنت إدريس بن إدريس بن عبد الله بن القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ويذكر أيضا أن نسبه عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن علي بن حسن بن نصر بن

<sup>1</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموسوية، المصدر السابق، ص 141-142.

<sup>2</sup> - ابن الخطيب: أعلام الأعمال، المصدر السابق، ص 271.

الأمير أبي نصر بن مقاتل بن كومي بن عون الله بن ورجايغ بن ينفير بن مراو بن مطاط بن صطفور بن نفور بن رجيح بن يحيى بن هزرج بن قيس بن عيلان<sup>1</sup>، ذاكرا أن عبد المؤمن هو من ولد سليم بن منصور بن قيس بن عيلان بن مضر، جذم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نزل أجداده تلمسان من الأندلس، وجاوروا بعض مطاطة إخوة زناتة فنسب والده إليهم بالجوار والحلف<sup>2</sup>، أما أمه فهي حرة كوميه من قوم يقال لهم بنو مجبر، كان مولده سنة 487هـ، بضبيعة من أعمال تلمسان تدعى "تاجرا"<sup>3</sup>، نشأ على الحفظ والقراءة، وكان كثير الفهم<sup>4</sup>.

كان لقاؤه الأول مع محمد ابن تومرت بمدينة بجاية، حينما كان متجها نحو المشرق طالبا للعلم، فكان تعلق مهدي الموحدين به، واعتبره خليفة له من أول لقاء، سببا في عزوفه عن السفر والبقاء مع المهدي<sup>5</sup>، وقد تحدثت العديد من المصادر عن اللقاء التاريخي بين عبد المؤمن والمهدي، فنجد ابن خلكان يؤكد أن المهدي بن تومرت كان يبحث عن عبد المؤمن بن علي خلال رحلته في المغرب لأنه كان على دراية مسبقه عنه من خلال اطلاعه على كتاب يسمى الجفر، قرأ فيه "صفة رجل يظهر في المغرب الأقصى بمكان يسمى السوس، وهو من ذرية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ( ت ي ن م ل ) ورأى فيه أيضا أن استقامة ذلك الأمر واستيلائه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ( ع ب د م و م ن ) ويجاور وقته المائة الخامسة للهجرة، فأوقع الله -سبحانه وتعالى- في نفسه أنه القائم بأول الأمر، وأن أوانه قد أزف، فما كان محمد يمر بموضع إلا سأل عنه، ولا يرى أحد إلا أخذ اسمه وتفقد

<sup>1</sup> - البيدق: المصدر السابق، ص 21-22.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 22.

<sup>3</sup> - المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 148.

<sup>4</sup> - البيدق: المصدر السابق، ص 55.

<sup>5</sup> - ابن القطان: المصدر السابق، ص 176، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 98.



حليته، وكانت حلية عبد المؤمن معه<sup>1</sup>، وعند وصوله إلى قرية ملالة اتصل به عبد المؤمن، فنظر في حليته فوافقت ما عنده، فبين له أمره ودعاه لاتباعه، وقرأ له محتوى الكتاب، أن الأمر يقوم بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين<sup>2</sup>، فكان هذا اللقاء بداية التحالف والتضافر بين دعوة ابن تومرت وطموح عبد المؤمن بن علي.

وبقي عبد المؤمن مع المهدي بن تومرت، يتبع أوامره وينفذ طلباته، متمتعا بمكانة خاصة عنده، لم تكن مثلها لأحد غيره، مكنته من استخلاف ابن تومرت بعد وفاته على الموحدين دون غيره، وكان يناهز الأربعين عاما من عمره، ويبدو أنه هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد تاريخ توليه خلافة الموحدين، فمنهم من يقول ببيع عام 524هـ، ومنهم من يقول 526هـ، وهناك من يحدد سنة 527هـ كتاريخ لتوليته العهد والخلافة<sup>3</sup>.

وبعد توليه الخلافة واصل عبد المؤمن صراعه مع المرابطين، فكان له العديد من الوقائع، كان الانتصار فيها حليفه سياسيا وعسكريا، واستطاع إسقاط المدن التابعة للمرابطين الواحدة تلو الأخرى، وعلى أثرها فتحت له تلمسان أبوابها ثم فاس ثم دخل مدينة أغمات وطنجة 541هـ، وأخيرا دخل مدينة مراكش من نفس السنة<sup>4</sup>.

1- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 48.

2- أبي الفدا: مختصر أخبار البشر، ص 233. ابن خلكان: نفس المصدر، ص48، البيدق: المصدر السابق، ص 56.

3- روجلي لي تورنو: المرجع السابق، ص 59

تختلف الرواية أيما اختلاف في ظروف تولية عبد المؤمن بن علي خلافة الموحدين، فابن القطان يقول بأن بيعة عبد المؤمن بن علي قد تمت بعد وفاة المهدي أو بعدها بأيام قلائل، بترشيح من المهدي ابن تومرت نفسه، وهناك من يقول بأن أصحاب المهدي كتموا وفاته حتى يتفقوا على من يخلفه، ويقول ابن صاحب الصلاة وابن القطان أن هذه المدة طالت ثلاثة سنوات كاملة، ببيع من بعدها عبد المؤمن وبالضبط 527هـ، أما صاحب الحلل الموشية فيقول أنه ببيع بعد وفاة المهدي، أما صاحب روض القرطاس فيقول أنه ببيع مرتين بيعة خاصة سنة 524هـ، وبيعة عامة سنة 526هـ، وفي رواية للمراكشي يؤكد فيها أن ابن تومرت قبل وفاته بأيام استخلف عبد المؤمن لخلافته بحضور الموحدين، فبايعوه. انظر عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1990م، القسم الأول، ص 219-221. ابن القطان: المصدر السابق، هامش ص 204.

4- عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 154، مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 188-189.

وبدخول عبد المؤمن مراکش انقطعت الدعوة بالمغرب لبني العباس، ودان جميع أقطار الأقصى له، وبمجرد ما وصل الخبر إلى الأندلس انحازت مدنها إلى سلطة الموحدين، بعدها توجه إلى المغرب الأوسط سنة 546هـ واستطاع دخول بجاية، عنابة، قسنطينة، سطيف، كما دخل المهديّة سنة 555هـ وملكها، كما افتتح طرابلس المغرب، وأرسل إلى بلاد الجريد فافتتحت كلها، وتم لعبد المؤمن بن علي ملك حدوده من طرابلس المغرب إلى السوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس، وهذه مملكة لم تتم لأحد قبله في المغرب الإسلامي<sup>1</sup>.

## 2. علاقة القاضي عياض بأمراء السلطة المرابطية:

انطلقت دولة المرابطين من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محاربة كل البدع والانحرافات التي كانت منتشرة في مناطق الصحراء خاصة، ومناطق المغرب عامة، محاولين نشر وتثبيت المذهب المالكي، ناظرين نظرة توقير واحترام لكل حملته من فقهاء وطلبة، مما جعل لهم مكانة خاصة لدى أمراء السلطة الذين توالوا عليها.

وكان القاضي عياض ممن عاصروا الدولة، فقد ولد سنة 476هـ في سبتة التي فتحها يوسف بن تاشفين سنة 477هـ<sup>2</sup>، وكان عمر القاضي عياض تقريبا سنة، ثم كان دخول يوسف بن تاشفين سبتة التي كانت ممره إلى الأندلس لمساندتهم ضد النصارى في جوازه الأول سنة 479هـ<sup>3</sup> هو وجنوده، أين كان عمر القاضي عياض 3 سنوات، وهي السنة التي كانت فيها معركة الزلاقة التي تحدث عنها الصغير والكبير في المغرب والمشرق، وعمت بسببها البهجة والاحتفالات لنصرة الدين الإسلامي في الأندلس وردع الكفار عنها، وكل هذه الأحداث كانت على نظر ومسمع القاضي عياض، وعلى الرغم من صغر سنه في تلك الفترة فهو كان يلاحظ

<sup>1</sup> - المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 152-169، عبد الله عروي: المرجع السابق، ص 154، الصاوي محمد

الصاوي: دولة الموحدين، ط1، الحيزة، دار طيبة للطباعة، 2015م، ص 8-9.

<sup>2</sup> - أنظر مؤلف مجهول: الحل الموشية، المصدر السابق، ص 144.

<sup>3</sup> - أنظر نفس المصدر، ص 145.

جنود المرابطين يمشون في بلده بقيادة يوسف بن تاشفين، والاحتفالات والتهنئات باسمه كل ذلك أكيد ترسخ في ذهنه وعقله، وكان له تأثير على شخصه وحبه ليوسف بن تاشفين واحترامه، خاصة أنه عرف احترام العامة والخاصة بأعماله وزهده وعدله.

وكان ليوسف بن تاشفين إقامة في مدينة القاضي عياض مرة أخرى سنة 484هـ، ينتظر أخبار جنوده في الأندلس من أجل جعلها تحت رايته، مترقبا لأنبائهم، متشوقا لما يحدث، فكان له ما أراد وتمكن من البلاد، وأثناء مقامه فيها قام بالعديد من الأعمال، حيث أمر ببناء المسجد الجامع والزيادة فيه حتى أشرف على البحر، كما أمر ببناء السور السفلي للميناء<sup>1</sup>، وفي تلك الفترة كان سن القاضي عياض سبع سنوات، وهي سن التعلم والإدراك والتدبر، فقد كان القاضي عياض في هذه السن مدركا لما يحدث أمامه، مسجلا للأحداث، مرسحا لها في ذاكرته، وهي كلها أحداث جليلة ترفع يوسف بن تاشفين في نظره، فهو ذلك الطفل الذي يرى في يوسف بن تاشفين البطل المنقذ، الذي يمر عليه راكب حصانه، متقدما جنوده، لإنقاذ العالم الإسلامي، تحت التهتافات والاحتفالات، كل ذلك سيجعل ليوسف مكانة خاصة عند القاضي عياض، وصحيح أن وفاة يوسف بن تاشفين كانت سنة 500هـ، أين كان عمره 13 سنة، لكن الأحداث الكثيرة كانت سببا في النظرة الجيدة التي حملها عنه.

وقد نشأ القاضي عياض بعد ذلك تحت راية خلفاء يوسف بن تاشفين، طالبا للعلم على يد علمائها وفقهائها، فشب عالم، باحثا، وفقهيا نبغ وذاع صيته حتى وصل ذكره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، الذي أبدى اهتماما خاصا به في رحلته إلى الأندلس لطلب العلم، لدرجة أنه أرسل رسالة إلى قاضي الجماعة بقرطبة، فيها توصية خاصة له، هذا نصها: "... وفلان -يعني عياض- أعزه الله بتقواه وأعانه على ما نواه، ممن له في العمل حظّ وافر ووجه سافر، وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال، وقصد تلك الضرة ليقيم أود متونها، ويعاني رمد عيونها، وله إلينا مائة مرعية أوجبت الإشادة بذكره والاعتناء بأمره،

<sup>1</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 72-73.

وله عندنا مكانة حفية تقتضي مخاطبتك بخبره وإنهاضك إلى قضاء وطره، وأنت إن شاء الله تسدد عمله وتقرب أمله وتصل أسباب العون له"<sup>1</sup>، وهي رسالة تؤكد أن للقاضي عياض مكانة خاصة لدى أمير المسلمين، فهو ممن حاول علي بن يوسف جعلهم ذخرا للدولة، ونهضة للأمة، خاصة بعد ظهور أمر الموحدين، فبمثل القاضي عياض تصمد الدول.

وبالفعل بعد عودته من رحلته في الأندلس عين لما جهز إليه، وهو الفتوى، القضاء، التدريس، فقد عين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين على قضاء سبتة سنة 525هـ، فأقام الحدود على ضروبها واختلاف أنواعها<sup>2</sup>، جعلت منه القاضي العادل، الذي دافع صيته، وسر به أمير المسلمين علي بن يوسف كثيرا، حتى أنه قرر مكافئته بنقله إلى غرناطة لتولي القضاء فيها، ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم من صفر عام 531هـ، فنهض إليها، وتقلد خطة قضائها، على المعتاد من شيمته السنوية<sup>3</sup>.

وهذا يؤكد أن القاضي عياض كان على علاقة طيبة وجيدة مع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، عرفت حياته خلال عهده طلب العلم، تولى القضاء، الإفتاء والتدريس، حسنة سيرته عنده وابتهج بعمله، وكان له من المكانة ما يسر القلب عنده، وقد عرف عن علي بن يوسف بن تاشفين، "تقليد العلماء، وإكرام الفضلاء"<sup>4</sup>، وفي عهده "بلغ الفقهاء مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم"<sup>5</sup>، والقاضي عياض كان منهم.

وبعد وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، جاء خليفته تاشفين بن علي الذي ذكرت المصادر أن علاقته بالقاضي عياض بدأت قبل توليه زمام الحكم عندما كان أمير على

1- ابن خاقان: المصدر السابق، ص 328.

2- القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، المصدر السابق، ص 5-6.

3- نفس المصدر، ص 6.

4- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 84.

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 171.

غرناطة والقاضي عياض قاضيا عليها، وقد عرف عن القاضي أنه كان "هينا لينا من غير ضعف، صلبا في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان يأخذ أموره بالملاطفة والسياسة ما أمكنه، ويحل الأمور كذلك ما استطاع، وإلا تقوى، وكان يلاطف الأمراء، فإن امتنعوا من الحق تقوى عليهم، غير هيوب لهم، مقداما عليهم في صدّهم عن الباطل"<sup>1</sup>، وهو ما جعله يتصادم مع ابن تاشفين وأتباعه، ويبدو أن تاشفين كان يوجد في حكمه هو وأصحابه بعض الظلم والباطل عندما كان وال على مدينة غرناطة، فضاقوا ذرعا بصد القاضي عياض لهم ومراقبته، مما أدى إلى عزله عن قضاء غرناطة سنة 532هـ<sup>2</sup>، وهذا ما أخبرنا به ابنه محمد، وقد استغرب الباحث محمد بن شريفة مما كتبه، مؤكدا أن الأمر لا يخلو من غرض، خاصة أن المصادر التاريخية جمعت على عدل تاشفين واستقامته واتباعه لأمر الشريعة<sup>3</sup>، منها ما قال فيه ابن الخطيب: "كان وطئ الأكناف، سهل الحجاب، يجالس الأعيان ويذاكرهم... أقبل على صيام النهار، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وإخفاء الصدقة، وإنشاء العدل، وإيثار الحق"<sup>4</sup>، وهنا نحن لا نشك في عدل القاضي عياض الذي أكد في العديد من المصادر، ولا في عدل تاشفين بن يوسف، ولكننا نقول كم من سلطان عادل عزل عن القضاء قاضيا عادل بسبب الوشاية وممن يتوددون إلى السلطان، من أجل قضاء حوائجهم، وكم من أمير صاحب مصاحبة السوء فأصلوه عن الحق، ثم عاد واتزن.

وبعد عزل القاضي عياض عاد إلى مدينته سبته، يقوم بالتدريس والتأليف، مجاهد بقلمه وعلمه، مع مراقبة الأخبار والأحوال، خاصة بعد احتدام الصراع بين المرابطين والموحدين، والذي أضفى عن مقتل أمير المسلمين تاشفين بن علي، وخسارة العديد من مناطق السلطة، وفي ظل هذا الاحتدام، عاد القاضي عياض إلى قضاء سبته سنة 539هـ، بعد أن أعاده أمير

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص5.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 10، المقري: المصدر السابق، ج3، ص 10-11.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، هامش ص 11.

<sup>4</sup> - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص449.

المرابطين في تلك الفترة، الأمير إبراهيم بن تاشفين الذي أعاد الثقة فيه، فبقي فيها قاض متول زمام الرياسة، حتى سقوط دولة المرابطين.<sup>1</sup>

وبهذا يكون القاضي عياض قد عاصر أمراء المرابطين، من يوسف بن تاشفين إلى غاية آخر خليفة له، تولى خلالها أعلى منصب في الدولة وأسماءه، وهو القضاء، وكان على علاقة بالأمراء والولاة في السلطة، "يقبلون قوله، ويتنافسون في قضاء حقه والقيام بواجبه"<sup>2</sup>، وكان القاضي عياض طوال حياته يعيش في كنف دولة المرابطين، وبين أمرائها ولم يكن بينهم أي اختلاف مذهبي، عقائدي، أو حتى سياسي، اهتم بواجبه كفقيه، وبعمله كقاض في ظلها، عاش مرضيا محمودا من قبل أمرائها، ولم يتدخل في أمور السياسة طوال تلك الفترة.

وقد عرف عن أمراء المرابطين اهتمامهم بالقضاة والفقهاء، وسلطتهم النافذة في دولتهم، هذا ما جعل القاضي عياض يدين لهم، ولا يحيد عن طاعتهم حتى بعد عزله من القضاء، فهو لم ينهض ضد القرار، بل امتثل ودان له، مما جعلهم يعيدون الثقة فيه ويولونه القضاء مرة أخرى، وهذا إن أكد على شيء فهو أن القاضي عياض دان بالولاء لكل أمراء المرابطين حتى ولو كان هناك اختلاف، وهم الذين قال فيهم شيخه أبو بكر بن العربي: "المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين، وهم حماة المسلمين الذابون عنهم، والمجاهدون دونهم، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم، ولا وسيلة، إلا واقعة الزلافة، التي أنسى ذكرها حروب الأوائل، وحرب داحس والغبراء مع بني وائل، لكان ذلك من أعظم فخرهم، وأربح تجرهم"<sup>3</sup>.

### 3. علاقته بسلطة الموحدين:

ذكر ابن خلدون أن عبد المؤمن بن علي توجه سنة 537هـ إلى مدينة سبتة مدينة القاضي عياض لدخولها، ولكنها تمنعت عليه، فغير وجهته بعد حصارها، ونستغرب ذكر ابن خلدون أن القاضي عياض هو من كان سبب في تمنعها عن الموحدين، فقد قال: "واستمر

1 - أنظر: saif al-marri , op cite , p24 .

2- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص يد.

3- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 140.

عبد المؤمن على حاله فنازل سبته وامتنعت عليه، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر، كان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه<sup>1</sup>، على الرغم من أنه لا يستطيع أحد أن يجزم كل الجزم أنّ القاضي عياض كان في خضم الأحداث وأنه هو من تمنع عن عبد المؤمن بن علي والموحدين، وإن كان ذلك وتمنع فسيكون تمنع طبيعي من فقيه وعالم، جاهد الموحدين بقلمه رافضا لآراء ابن تومرت العقديّة، المتبعة من طرفهم، ولكن لم تكن له السلطة الرسمية المعلنة من المرابطين لأخذ زمام الأمور، ففي هذه الفترة لم يكن القاضي عياض في منصبه كقاض بعد عزله من طرف الأمير تاشفين بن علي، ولم يعد إلى القضاء إلا في سنة 539هـ في عهد إبراهيم بن تاشفين، كما ذكرنا سابقا بعد أن جدد المرابطين فيه الثقة، وقبل المنصب على الرغم من صعوبة الظروف، واحتدام الصراع القائم بين المرابطين والموحدين.

وصحيح أن القاضي عياض لم يلتق عبد المؤمن بن علي في كل السنوات التي كان يحارب فيها المرابطين، ولكن الأكيد أنه سمع به ووصل له صيته في تلك الفترة، خاصة بعد وفاة ابن تومرت وتوليه خلافة الموحدين، ونفس الشيء فعبد المؤمن بن علي بلغ إليه شهرة القاضي عياض وعلمه، وهو من ذاعت شهرته مشارق الأرض ومغاربها، وكل منهم يحمل نظرة عن الآخر، فالقاضي عياض ينظر لشخص عبد المؤمن أنه عدو يحاول إسقاط سلطة المرابطين التي يدين لها بالبيعة والولاء، وهو أحد فقهاء وعلمائها، وعبد المؤمن ينظر له نظرة الفقهاء المجسمين، الملبّسين، الذين قال فيهم إمامهم: "منهم الملبّسون أعني المكارين الذين يضلونهم بغير علم ويتوسلون بفتياهم إلى أباطيلهم وأهوائهم كلما سألوهم عن شيء أفثوهم به على ما وافق أهواءهم وأغراضهم، فضلوا وأضلوا"<sup>2</sup>.

ويبدو أن القاضي عياض هو من "بادر بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدين، والاعتصام بحبلهم المتين"<sup>3</sup>، كما ذكر ابنه، وعلى الرغم من شكوك الباحثين حول مبادرته إلى

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ص 307، انظر الناصري: المرجع السابق، ص 104.

<sup>2</sup> ابن تومرت: المصدر السابق، ص 398.

<sup>3</sup> محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 12.

ذلك، لكن الكل يعلم أنه لم يكن أمام القاضي عياض والسبتيين من خيار آخر سوى بيعة الموحدين، لضمان حياتهم وأموالهم، خاصة وأن أخبار انتصاراتهم على المرابطين وتملكهم البلاد وصلت الآفاق.

ولقد اضطر القاضي عياض إلى السفر إلى خليفة الموحدين ممثلاً عن أهل مدينة سبتة في شخصه، فقد كان "رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه"<sup>1</sup>، وكان هذا اللقاء بالضبط في مدينة سلا، وهو أول لقاء جمع بينهما، ويبدو أن عبد المؤمن سُرَّ كثيراً بهذا اللقاء، فقد ذكر ابن القاضي عياض أنه "أوسع نزلّه وأجزل صلته، ولقي منه برّاً تاماً وإكراماً عاماً، وانصرف على أحسن حال"<sup>2</sup>، وحتى أنه جدد فيه الثقة التي تمتع بها من قبل أمراء المرابطين، فأقره وأبقاه في منصبه، وصرف أمور بلدته إليه، مطمئناً لجانبه<sup>3</sup>، وقد عرف عن عبد المؤمن أنه كان "مؤثراً لأهل العلم، محباً لهم، محسناً إليهم"<sup>4</sup>.

وهكذا كان اللقاء الأول بين القاضي عياض وخليفة الموحدين لقاء ودياً طيباً، أكد سياسة عبد المؤمن بن علي نحو فقهاء المرابطين، فعبد المؤمن كان سياسياً محنكاً، يسعى لبناء سلطة على أنقاض سلطة كان الفقهاء هم أسسها ودعمها لدى العامة، وهو يعلم بمكانة القاضي عياض، وعلى هذا الأساس بني قراره، فعلى الرغم من الخلاف الخفي بينهما إلا أن القاضي عياض أقر بيعته، وعبد المؤمن أبقاه في منصبه، وهذا ما كان يجب أن يسعد القاضي عياض، فاستمراره في منصبه سيكون حماية للدين والمذهب والعقيدة في مدينته، ولكن الغريب أن هذه العلاقة الطيبة وهذا السلام بينهما لن يدوم طويلاً، "فلما انتفض المغرب على عبد المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن انتفض أهل سبتة أيضاً"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص307.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 12، المقري: المصدر السابق، ج3، ص 11، الناصري: المرجع السابق، ص 113.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 12.

<sup>4</sup> - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص150.

<sup>5</sup> - الناصري: نفس المرجع، ص 114.



وبهذا توترت العلاقة بين عبد المؤمن والقاضي عياض، واعتبر هذا الأخير ثائرا خارجا عن السلطة، متزعا انقلابا ضدها، وقد تحدث العديد من المصادر التاريخية عن هذه الثورة ولكن للأسف باختصار شديد، ويبدو أن جملها أكدت زعامة القاضي عياض للثورة، فنجد صاحب الروض القرطاس يقول فيها: "وفي خلال هذه الأيام قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة، وكان قيامهم عليهم برأي قاضيهم عياض ابن موسى، فقتلوا بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار، وركب عياض البر إلى ابن غانية بالبيعة، وطلب منه وال، فأرسل معه الصحراوي فدخلها"<sup>1</sup>، وهو ما ذهب إليه صاحب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى الذي نقل حديث ابن أبي الزرع، مؤكدا أن الانتفاضة كانت بقبول وبأمر القاضي عياض<sup>2</sup>، ويبدو أن ابن خلدون لم يؤكد هذه المرة أن الانتفاضة كانت بقيادة القاضي عياض، بعد أن أكد أن الامتناع كان برأيه وقيادته، حيث ذكر أن أهل سبتة من انتفضوا، ذاكرا جواز القاضي عياض البحر، واتصاله بابن غانية، طالبا منه أن يرسل معه واليا لسبتة<sup>3</sup>، وهذا ما ذهب إليه جل المؤرخين، لكن يبدو أن ابنه كان له رأي آخر ومختلف تماما، وهو أن والده لم يكن له أي رغبة في الخروج عن خليفة الموحدين وسلطته، قائلا: "إلى أن ثارت الفتنة وقام البلد، والله يعلم أن ذلك كان عن غير رضي منه، كراهة في الفتنة الدنيوية والأخروية، وبقي يدبر أمره، ويسوس أهله، دون تعاط إلى الإمرة في قول أو فعل، إلى أن دخل الصحراوي البلد، وهو حينئذ بخارج الجزيرة الخضراء زائرا ومدافعا ليحي بن غانية"<sup>4</sup>، ومن خلال ما قال، يبدو أن محمد لم يتطرق أبدا إلى رحلة القاضي عياض بنفسه إلى ابن غانية في الأندلس مبيعا له، والتي قد تكون تأكيدا لوفاء القاضي عياض للمرابطين، وإعادة البيعة لهم عن طريق ابن غانية، فقد سافر بنفسه إلى ابن غانية ولم يرسل نائب عنه لذلك، وكأنها إعادة لرد الاعتبار

<sup>1</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 191.

<sup>2</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 114.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 311.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص12.

لوفائه للمرابطين، وتكفيرا عن رحلته إلى عبد المؤمن بنفسه للبيعة، ولو حتى لم يكن هو من دعا إلى الفتنة وإن كما قال ابنه وهو الأقرب إلى ذلك، أنّ الناس ثارت من نفسها، خاصة إذا لاحظنا التصرفات التي عقبها التمرد، من إحراق والتي لا نعتقد أن القاضي عياض يوافق عليها، وهو الفقيه المتدين الذي يعلم أن ديننا الحنيف ينهى عن الإحراق للإنسان والحيوان، فيبدو أن الظرف كان مؤاتيا له للعودة عن بيعة الموحدين، وهو الذي لم يقتنع يوم بعقيدتهم. ويبدو أن عبد المؤمن لم يكن يسمح بخسارة مدينة سبتة أو أي مدينة قامت فيها الثورة، فقد خرج سنة 542هـ، واستأصل شوكة الثوار، ودوخ بلادهم، مما جعلت السبتيين يراجعون أنفسهم<sup>1</sup>، فبعد ذلك "ندموا على صنيعتهم وكتبوا بيعتهم إلى عبد المؤمن وقدم بها أشياخ سبتة وطلبها تائبين، فعفا عنهم"<sup>2</sup>، ويبدو أن القاضي عياض كان ممن عفا عنهم الخليفة<sup>3</sup>. وبعد هذه الثورة والانتفاضة من قبل أهل مدينة سبتة، كان لا بد للقاضي عياض تبرير موقفه أمام الموحدين، وقد ذكر ابنه ما لاقاه من قادة عبد المؤمن بعد الاستسلام قائلا: "فسعى في استعطاف الموحدين أدام الله أمرهم وتلطف في استلطافهم، والاعتذار عن الكائنة إلى أن عفوا عما كان، وأخذوا بالصّفح والغفران، فملكوا البلد، ولقي رحمه الله عليه من زعيمهم في ذلك الحين يصلاتن ابن المعز<sup>4</sup> البر العام والتانيس التام، ثم نهض إلى الحضرة العلية أدام الله حراستها في يوم الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ثلاثة وأربعين وخمسائة، صحبة الشيخ أبي يحيى ابن الجبر، وتحت بره، إلى أن وصل ظاهر مكناسة، وبه الشيخ المعظم أبو

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 311.

<sup>2</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 114.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 114.

<sup>4</sup> - يصلاتن كما ورد هنا وفي روض القرطاس أو يصلاتن كما في أخبار البيدق هو الشيخ أبو محمد يصلاتن ابن المعز الهرغي قريب المهدي ويعد من طبقة أهل الدار، كان ألمع قادة الموحدين وزعمائهم في عهد عبد المؤمن، وكانت نهايته أن ضرب عنقه وصلب بأمر عبد المؤمن في سبتة سنة 546 هـ كما عند البيدق أو بمراكش سنة 548 هـ كما عند صاحب القرطاس. محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، هامش ص 12.

حفص عمر بن يحيى الهنتي<sup>1</sup>، فلقي منه البر ما استغربه كل من شاهده، واستبعد كل من سمعه<sup>2</sup>، ويبدو أن هذا الكرم لم يتوقف عند قادة عبد المؤمن بن علي، ونجد ابنه يذكر أن القاضي عياض على الرغم من تغير حاله عند الخليفة لكنه لم يلق عنده إلا كل خير، "فوصلها والحال متغيرة عليه، فأقام بها تحت لقية، إلى أن اجتمع بسيدنا أمير المؤمنين دام نصره، وكان منه رحمة الله عليه من الكلام المنظوم والمنثور ما استعطفه به، حتى رق له، وعفا عنه، على أبر وجه وأجمله"<sup>3</sup>.

وعلى الرغم من العفو الذي تحصل عليه عياض من خليفة الموحدين، إلا أنه منع منعا باتا من العودة إلى مدينته سبتة، وألزمه بلزوم مجلسه، ويبدو أنه أظهر محبة وتقريبا له<sup>4</sup>، وأقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده رفعة، إلى أن توفي مريض سنة 544هـ، ودفن بباب أيلان داخل السور<sup>5</sup>، ويبدو أنه عين على قضاء مدينة تادلا، قبل عودته إلى مراکش كنوع من العقاب والنفي، ثم عاد إلى مراکش وتوفي فيها كما ذكر الناصري<sup>6</sup>.

ونستطيع أن نقول إن السلاوي هو أحسن من فسر علاقة القاضي عياض بعبد المؤمن بن علي ودولته، قائلًا: "أعلم أن ما صدر من القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه من جانب الموحدين دليل على أنه كان لا يرى لهم الحق في الأمر والإمامة، وإنما كان ينظر إلى أنهم متغلبون، وهذا الأمر لا خفاء فيه كما هو واضح، ولما كانت شوكة عبد المؤمن لا تزال ضعيفة، وتاشفين بن علي أمير الوقت لازال موجودا قائم العين، امتنع القاضي عياض رحمة

<sup>1</sup> - هكذا في الأصل والمشهور في النسبة الهنتاتي، إلا أن تكون تحريفا لكلمة ينثي التي كان يعرف بها الشيخ أبو حفص.

محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، هامش ص 13.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 12-13.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 13.

<sup>4</sup> - سيتم التطرق لأسباب نفيه من سبتة ومنعه من العودة إليها في الفصل الرابع من الأطروحة.

<sup>5</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 13.

<sup>6</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 114.

الله عليه عن مبايعة عبد المؤمن ودفاعه عن سبته، إذ لا موجب لبيعته، لأنبيعة تاشفين في أعناقهم وهو لا يزال حيا، فلا يعدل عن بيعته إلى غيره بلا موجب"<sup>1</sup>.

وهكذا كانت علاقة القاضي عياض بخليفة الموحدين، علاقة يشوبها الحذر بين الطرفين، ولكن على الرغم من أهميتها فأنا لم نجد في المصادر ما يكفي لتفسيرها، أو حتى توضيحها، وبقي يجوبها الشكوك والغموض، وكثرة الشائعات، فبالرغم من تأكيد ابنه أن وفاة القاضي عياض طبيعية وهو أقرب للصواب، فابنه هو من عايش تلك اللحظة أولا، ثانيا لا ننسى أن ابنه كان فقيها وقاضيا، كل هذا يمنعه من التحريف أو التزييف حتى ولو كان خوفا، لأن هذا يؤثر على مصداقية أحكامه وأفكاره فيما بعد، وهو الذي كان يستطيع المرور على الحادثة مرور الكرام دون تزييف، ولكن هذا لم يمنع من انتشار الاتهامات المدينة لخليفة دولة الموحدين، فهناك من اتهم عبد المؤمن بن علي بقتل القاضي عياض، فوجد الذهبي يذكر ما ذكر ابنه عن وفاته ثم يقول: "بلغني أنه قتل رميا بالرماح لكونه أنكر عصمة ابن تومرت"<sup>2</sup>، وذهب محقق كتاب ترتيب المدارك إلى القول في وفاته: "وأما الأمة المغربية، فكانت أصابعها تشير إلى الموحدين تتهمهم وتقول: "سم ابن العربي، وخنق اليحصبي"<sup>3</sup>، وقد ذكر الباحث عبد العزيز بن عبد الله أنه غرب عن بلده لأنه لم يساير الموحدين في العصمة والإمامية"<sup>4</sup>.

ومن خلال ما سبق سنحاول تحليل علاقة القاضي عياض بأمراء السلطة في عصره من

خلال هذا المنحنى:

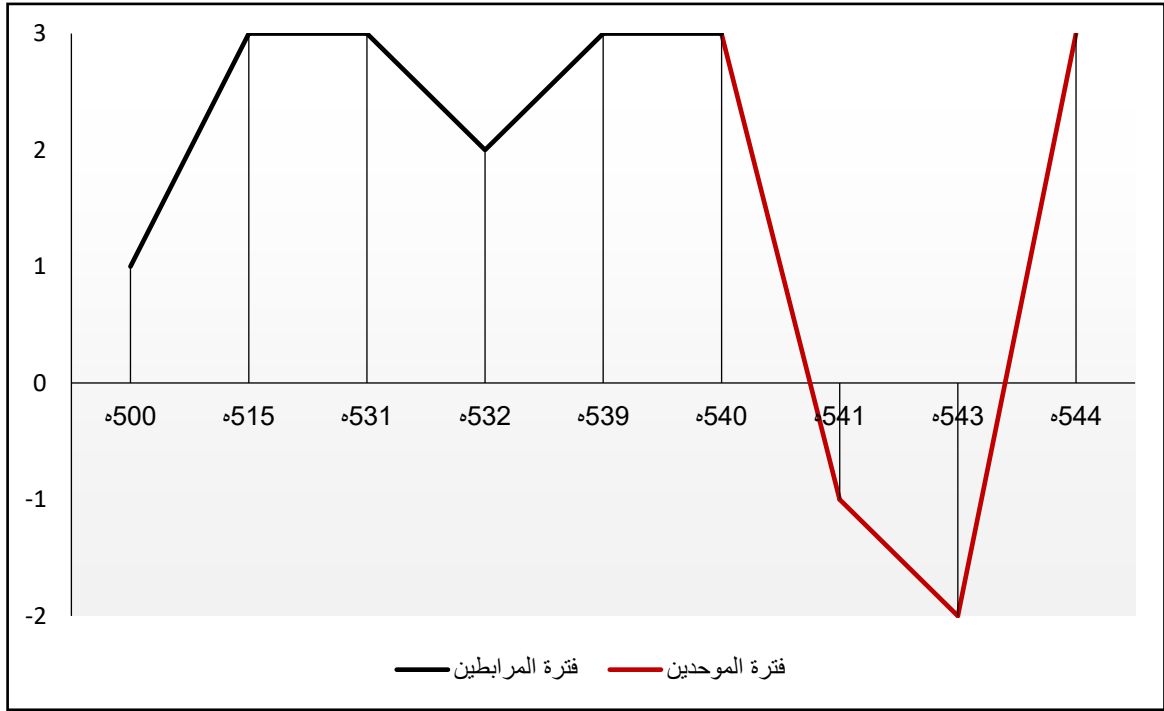
<sup>1</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 115.

<sup>2</sup> - الذهبي: المصدر السابق، ص 217.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص ك.

<sup>4</sup> - عبد العزيز بن عبد الله: سبته في عصر عياض، المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، المرجع السابق، ص 24.

الشكل رقم (2): منحنى بياني يمثل مناصب القاضي عياض في السلطة



المصدر: من إنجاز الباحثة<sup>1</sup>

وهذا المنحنى البياني يمثل مناصب القاضي عياض في ظل السلطة، من سنة 500هـ وهي سنة وفاة الأمير يوسف بن تاشفين إلى غاية 544هـ سنة وفاة القاضي عياض، أما الأرقام من -2 إلى غاية الرقم 3 فتمثل المناصب والأوضاع التي كان فيها القاضي عياض في ظل السلطة، مرتبة حسب الترتيب التصاعدي: (-2) منفي، (-1) تائر، (1) طالب علم، (2) مدرس، (3) قاضي.

ومن خلال هذا المنحنى نجد أن القاضي عياض ما بين سنة 500هـ-515هـ كان من طلاب العلم، وفي سنة 515هـ عين لأول مرة في منصب القضاء، وكان هذا في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، ومما نلاحظه أنه حافظ على هذا المنصب حتى سنة 531هـ، أي تقريبا 16 سنة، ثم نجد المنحنى ينزل عند الرقم 2 أي مهنة التدريس، فقد انتقل أبو الفضل إلى هذه المهنة مع التأليف بعد أن عزل كما ذكرنا سابقا من منصبه، وقد شمل عزله

<sup>1</sup> - تم إنجازه بالاعتماد على محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع.

من المنصب أواخر عهد علي بن يوسف وكل فترة حكم تاشفين بن يوسف كما هو موضح، ولكن هذا لم يمنعه من ممارسة التدريس والتأليف، أين أخرج لنا مصنفات اخترقت البحار، وأبلغت شهرته كل الآفاق، ثم نجد ارتفاع المنحنى سنة 539 إلى الرقم 3، مما يعني عودته لمنصب القضاء، وذلك في فترة حكم إبراهيم بن تاشفين، وبعدها نجد أن الخط بقي مستمر حتى سنة 541هـ، ونزل إلى مسار خطير جدا وهو مسار الثوار، الذي رمزنا له بالرقم 1-، وهنا تغيرت العديد من المعطيات، فلم يعد لسلطة المرابطين وجود منذ تقريبا 540هـ، وما بين 540هـ - 543هـ حدث تغيير في حياة القاضي عياض، فقد كانت فترة الموحدين فنجده أولا بقي في منصبه ثم انحدر إلى الثائر المنقلب عن الدولة، ثم تدنى ليصل إلى درجة المنفي والمطرود من مدينته، وبقي عياض على هذا الحال حتى سنة 544هـ، وذلك قبل وفاته بقليل، أين تغير حاله حسب أغلبية المصادر، وعاد لمقامه ومنصبه، وهو في أمرين فابنه يقول أن عبد المؤمن "أمره بلزوم مجلسه، وأظهر تقريبه ومحبتّه، وكان يسأله فيستحسن جوابه، فأقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده كل يوم سما ورفعة"<sup>1</sup>، وإن ذكرت بعض المصادر نفيه إلى تادلا وتوليته منصب القضاء هناك، كما ذكرنا مسبقا، فهنا لا مانع من ارتفاع الخط إلى القضاء فقد تولى المنصب، والمنصب منصبا حتى ولو في بادية صغيرة، وممكن نفي إلى بادية تادلا ثم عاد إلى مراكش وبقي في حضرة الخليفة.

وأخيرا نقول إن القاضي عياض عرف في أغلب فترات حياته علاقة طيبة مع أصحاب السلطة في دولة المرابطين، أما خليفة الموحدين الذي عاصره فكانت العلاقة بين مد وجزر، مرات طيبة ومرات سيئة ولكن على حسب شهادة أغلبية المؤرخين، يبدو أن القاضي عياض على الرغم من الاختلاف مع الخليفة، لكنه كان يتمتع بمكانة خاصة عنده، نظير علمه وفهمه، مع بعض الحذر منه.

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 13.

الفصل الثالث: علاقة القاضي عياض بالرعية

أولاً: الرعية في عصر القاضي عياض

1. مفهوم مصطلح الرعية

2. العناصر المكونة للمجتمع

ثانياً: القاضي عياض والرعية

1. علاقته بالخاصة

2. علاقته بالعامّة من الرعية

ثالثاً: إسهامات القاضي عياض في المجتمع

1. حماية حقوق الرعية

2. الإسهام في التطور العلمي

إن للعلماء مكانة عظيمة عند الرعية، لدورهم الكبير، وواجبهم العظيم، فهم حراس الدين وحفظته، ومرجع الناس عند السؤال، يعقلون من مراد الله ما لا يعقله غيرهم<sup>1</sup>، وخير الكلام فيهم ما وصفهم به أبو المسلم الخرساني -رحمه الله- عندما قال: "العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا"<sup>2</sup>.

وأبو الفضل من الفقهاء والعلماء الذين كان لهم دور كبير داخل المجتمع، بحكم ما وصل إليه من العلم، فقد طار صيته في الآفاق، وبذل جهدا في بث المعارف ونشرها، أين تخرج بين يديه من الطلبة لا يحصون عددا، وارتحل إليه الناس وتنافسوا للأخذ عنه، ومن المناصب ما تولى وانتدب، فقد عرف عنه الاشتغال في العديد من الأعمال النافعة لأفراد المجتمع من تعليم، قضاء، تأليف، توجيه، إفتاء... كانت سببا في فتح أبواب الوصال بينه وبين الرعية، العامة منها والخاصة، وأكسبته التقدير، ورزق في ذلك القبول والهيبة، وثناء واعتبار خاص له من الجميع، لدرجة أنه كان عند دخوله المدن، يخرج الناس للقائه، ويبرزون له تبريز ما برزوا بمثله لأمير<sup>3</sup>.

### أولا: الرعية في عصر القاضي عياض

عرف عصر القاضي عياض فترة دولة المرابطين، وهي فترة عرفت بالتنوع البشري من بربر، عرب، أهل الذمة، سودانيين... كما عرف فترة بداية ظهور الموحدين وقيامهم، وهي فترة لم تعرف تغييرا كبيرا على التركيبة البشرية، ولكنها عرفت نظاما جديدا ادخله ابن تومرت على تابعيه، أين قسمهم إلى طبقات، كل طبقة باسمها ورتبتها، وسنحاول في هذا العنصر معرفة الانتماءات القبلية، الدينية، الجغرافية، وحتى السياسية للرعية الذين عاصروهم أبو الفضل.

1 - عبد الحي يوسف: المرجع السابق، ص 54، 58، 61.

2 - نفس المرجع، ص 55.

3 - أنظر محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4-12. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص



## 1. مفهوم مصطلح "الرعية":

عرّف الجوهري في مصنفه الصّاح مصطلح "الرعيّة" بالعامّة<sup>1</sup>، "وقيل لهم عامة، لما كانوا كثيرين لا يحيط بهم البصر"<sup>2</sup>، والعامّة هو عكس مصطلح الخاصة، الذي يقصد به أصحاب الخليفة المقربون، من أهله، ورجالات الدولة من وزراء، قوادا، أشراف، كتاب، وبعض المقربين من أهل العلم، أهل الأدب، وأهل الفن الموهوبين...<sup>3</sup>

وفي تحديد العامّة قيل: "السوقة"، وهم كما قال الحريري "ليسوا أهل السوق، بل هم الرعية، سموا بذلك لأن الملك يسوقهم إلى إرادته، فيقال رجل سوقة وقوم سوقة"، وتبنى الجوهري مثل هذا التعريف واعتبر أنّ السوقة من الناس الذين هم غير السلطان، وأطلقت على العامّة ألفاظ كثيرة، منها: أبناء الأندال، السفيل، السقاط، الرعاع، الهمج، الغوغاء...<sup>4</sup>

وقسم ابن أبي الربيع مرتبة العامّة إلى نوعين: أحدهما يضم التجار وأهل المراتب وهم يحصلون العيش من أحسن وجوهه، ويتميزون بالاكتساب الدائم المعتدل<sup>5</sup>، مع إظهار العدل في المعاملات والسيرة الحسنة، ويضم ثانيهما السوقه والجمهور، الذين كانوا في أدنى المراتب المبذولة لكل دنيا النفس<sup>6</sup>.

ويمكن تلخيص جملة المواقف من العامّة، بأنهم سواد الناس الذين لم يكونوا يتمتعون بأي سلطة، وكانوا يعملون في شتى حقول المكسب، ويعيشون في عالم خاص له أبعاده الفكرية

<sup>1</sup> - إسماعيل بن حماد الجوهري: الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، ج2، 1979م، ص 2359.

<sup>2</sup> - صلاح الدين الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، مصر، المطبعة الجمالية، 1911م، ص10.

<sup>3</sup> - بدري محمد فهد: العامّة ببغداد في القرن الخامس الهجري، بغداد، مطبعة الارشاد، 1967م، ص 11.

<sup>4</sup> - فهمي سعد: العامّة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي، 1993م، ص 139.

<sup>5</sup> - فهمي سعد: نفس المرجع، ص 140، أنظر بن أبي الربيع: المصدر السابق، ص 123.

<sup>6</sup> - أحمد المحمودي: عامّة المغرب الأقصى في العصر الموحد، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2009م، ص 25.

والدينية التي تتدنى عن مستوى عالم الخاصة، كما يمكننا في ضوء هذا حصرها في ثلاث فئات أساسية هي: الرقيق، أهل الذمة، وسائر أصناف المكسبة<sup>1</sup>.

وقد قسم صاحب النفع الطيب الرعية بين الخاصة والعامة في قوله: "من أعظم الخطط عند الخاصة والعامة، لتعلقها بأمر الدين"<sup>2</sup>، وأما الفيروز آبادي فعرف الرعية بالقوم قائلًا: "وَالْقَوْمُ رَعِيَّةٌ"، وبذلك هو شمل الخاصة والعامة<sup>3</sup>، أما الماوردي فقد قسم الرعية إلى أقسام كثيرة ذكر منهم: المتألهون<sup>4</sup>، الحكماء، العلماء، ذو الأنساب، أرباب الحروب، عمار السوق، سكان القرى<sup>5</sup>.

ومصطلح "الرعية" موجود ومتوافر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد وردت كلمة الرعية في تفسير آيات من القرآن الكريم:

- في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا". (النساء: 58) فنجد في تفسير الطبري لهذه الآية يقول: "إن الله يأمركم يا معشر ولاة أمور المسلمين، أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيتم من فيئهم وحقوقهم وأموالهم وصدقاتهم إليهم، على ما أمركم الله بأداء كل شيء من ذلك من هو له، بعد أن تصير بأيديكم... ويأمركم إذا حكمت بين رعيتم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف..."<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- فهمي سعد: المرجع السابق، ص 140.

<sup>2</sup>- المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1988م، مج1، ص 217.

<sup>3</sup>- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ص 1289.

<sup>4</sup>- هم الذين اقتصرُوا على العبادة والزهد، يوعظ العالم بترغيبهم وترهيبهم. الماوردي: المصدر السابق، ص 102.

<sup>5</sup>- الماوردي: نفس المصدر، ص 102-103.

<sup>6</sup>- الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ص

- وفي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا". (النساء: 59)

وجاء في تفسير الطبري لهذه الآية، "... إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيته مما هو مصلحة لعامة الرعية، فإن على ما أمره بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية"<sup>1</sup>.

أما في السنة النبوية الشريفة فقد ورد مصطلح "الرعية" في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، فنجد في قوله صلى الله عليه وسلم: " ما من عبد استرعه الله رعيةً، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة"، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " ما من وال يسترعه الله رعيةً، يموت يوم يموت، وهو غاشٍ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة"<sup>2</sup>، وفي قوله: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَإِمَامٌ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"<sup>3</sup>.

هذا ما جعل هذا المصطلح يدخل ضمن مصطلحات العلوم الشرعية، أين عرف مصطلح الرعية في معجم مصطلحات العلوم الشرعية العديد من التعريفات تمثلت في:

- "كل من شملهم حماية الراعي، ونظره، والقيام بمصالحه، وهم كل من يتبعه، ويخضع لرأيه وحكمه، ويجتهد في النصيحة له في دينه، ودنياه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- الطبري: المصدر السابق، ص 493.

<sup>2</sup>- زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، اعتنى به محمود بن الجميل، ط1، الجزائر، دار الامام مالك، 2007م، ص 513.

<sup>3</sup>- يحيى بن الشرف النووي: رياض الصالحين، ط1، بيروت، دار الفكر، 2003م، ص 76.

<sup>4</sup>- مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، ط2، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2017م، مج 2، ص 842.

- "كل من يلزم الإنسان رعاية مصالحهم، والاهتمام بهم ويكونون تحت ولايته"<sup>1</sup>.
- "عامة الناس الذين عليهم وال يرعى مصالحهم، وأمورهم"<sup>2</sup>
- "كل من كان تحت ولاية الإنسان، فهو من رعيته"<sup>3</sup>.

هذا فيما يخص التعريف أما عن تداول هذا المصطلح في المصادر التاريخية، فتوجد العديد من التسميات نذكر منها:

- تسمية "الرعية" نجدها في العديد من المصادر، منها ما ذكر ابن بسام في مصنفه الذخيرة: "حتى تساقطت الرعية وجلت أولاً فأولاً، وخربت أقاليمها آخراً"<sup>4</sup>، وما ذكره المراكشي: "وانبث ذلك في الرعية حتى إطمأنوا إليه"<sup>5</sup>، وما ذكره صاحب الحلل الموشية "ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالأندلسي من التخاذل، والتواكل، والإهمال للرعية"<sup>6</sup>، وما ذكره ابن الخطيب: "ولا المغرم عن الرعية"<sup>7</sup>، وما ذكره أبو عبد الله: "واستقضاء حوائج الرعية"<sup>8</sup>.

- تسمية "الناس" أين نجد هذه التسمية في العديد من المصادر منها ما ذكره ابن عذاري المراكشي: "واجتمع الناس بقرطبة على تقديم الوزير أبي الحزم ابن جهور"، "فزاد

1 - مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، المرجع السابق، ص842.

2 - نفس المرجع، ص842.

3 - نفس المرجع، ص842.

4 - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، لبنان، دار الثقافة، 1997م، ق3، مج1، ص16.

5 - ابن عذاري: المصدر السابق، مج2، ص270.

6 - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص43.

7 - ابن الخطيب: أعمال الاعلام فيمن بويع قبل لاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، ص209.

8 - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص5.

الانبساط والنشاط عند الناس بفضله وصفحه وعدله"<sup>1</sup>، "وتنافس الناس في النزول بأكنافها، والحلول بأطرافها، للدنو من صاحب الدولة"<sup>2</sup>.

- تسمية "أهل البلد"، ونجد هذه التسمية عند البيدق في مصنفة أخبار المهدي ابن تومرت "وكان أهل أغمات قد بعثوا لعلي بن يوسف"<sup>3</sup>، وأبو عبد الله في قوله: "وأجلسه أهل بلده للمناظرة عليه في المدونة"<sup>4</sup>، "فأرسل إليه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق، أو ينسخه أحد منهم"<sup>5</sup>، ومن درر القلائد: "كان يبيع ذراري أهل البلد، ويحملهم أسرى"<sup>6</sup>، وفي رسالة ابن عباد: "ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصره جاره"<sup>7</sup>.

- تسمية "الجمهور"، ووردت هذه التسمية عند ابن أبا الخصال في عبارة "الدعاء له من الجمهور متوال"، وفي عنوان الرسالة التي أرسلت إلى أبي الطاهر تميم من قبل أهل سرقسطة "رسالة كتبها قاضي سرقسطة والجمهور"<sup>8</sup>.

## 2. العناصر المكونة للمجتمع:

تميز مجتمع دولة المرابطين بالتعدد الإثني، أين تعايشت فيه عناصر بشرية متنوعة العرق، الدين، اللغة، المنطقة الجغرافية... البنية القبلية لمعظمها هي أساس تنظيمها

<sup>1</sup> عز الدين جسوس: الفئات الاجتماعية في الغرب الإسلامي التسميات والمفاهيم، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مجلة البحث التاريخي، العدد 3، 2005م، ص32، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص196، انظر: عزالدين جسوس: موقف الرعية من السلطة السياسية في المغرب والأندلس على عهد المرابطين - دراسة في علم الاجتماع السياسي، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2014م، ص 33-40.

<sup>2</sup> - ابن عذارى: المصدر السابق، مج 2، ص 268.

<sup>3</sup> عز الدين جسوس: نفس المرجع، ص 33. البيدق: المصدر السابق، ص 31.

<sup>4</sup> محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 10.

<sup>5</sup> ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1، ص 202.

<sup>6</sup> ابن عذارى: نفس المصدر، ص 41.

<sup>7</sup> مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 46.

<sup>8</sup> عز الدين جسوس: نفس المرجع، ص 36.

الاجتماعي<sup>1</sup>، والمنتبع للنصوص على اختلاف أنواعها ومشاربها، يتضح له أن مختلف العناصر السكانية في الحقبة المرابطية، المشكلة خريطة سكان المغرب والأندلس<sup>2</sup>، تجلت في: أ. البربر<sup>3</sup>:

شكلوا السواد الأعظم من سكان المغرب الأقصى، أكدت المصادر أن الحديث في أصلهم من أكثر الأحاديث اختلافا واضطرابا، بحث فيه المؤرخون قديما وحديثا لكنهم لم يحصلوا إلا على روايات متناقضة<sup>4</sup>، فالطبري ذكر أنهم كانوا أخلاطا من كنعان والعماليق، لما قتل جالوت تفرقوا في البلاد، ثم غزا إفريقيش بهم المغرب<sup>5</sup>، أما ابن حزم فذكر أنهم من ولد حام بن نوح عليه السلام<sup>6</sup>، وسجل ابن خلدون عدة أقاويل في نسب البربر منها ما قاله مالك بن المرغل، إن البربر قبائل شتى من حمير، مصر، العمالقة، كنعان، وقريش تلاقوا بالشام وغلطوا فسماهم إفريقيش البربر لكثرة كلامهم، ثم استجاشهم لفتح إفريقية، وهو سبب خروجهم، كما ذكر أن الصولي قال إنهم من ولد بر بن كسلاجيم بن مسدرايين بن حام، وقيل إن البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام<sup>7</sup>، والاختلاف في نسب البربر طويل وأقرب الأقوال إلى الصحة، هو ما قيل في أن جيل البربر جيل قديم من ولد حام، سكنوا المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليقة على وجه الأرض، بعدها التحق بهم

1- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة، ص 8-9.

2- إبراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص 8.

3- اسم البربر أقدم اسم ذي مدلول شامل ينطوي عليه سائر سكان بلاد المغرب، استخدمه النسابة والمؤرخين، نذكر منهم الناصري: "قد تقدم لنا أن البربر أمة قديمة سكنوا أرض المغرب في قديم الزمان"، وابن خلدون الذي سماهم البربر معرفا لهم ب: "هذا الجيل من الأدميين هم سكان المغرب القديم ملؤا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره". السلاوي: المرجع السابق، ج 1، ص 34. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 116.

4- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 81.

5- علي بن الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ط 1، صيدا، المكتبة العصرية، 2005م، ج 2، ص 112. إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ص 495.

6- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 5، القاهرة، دار المعارف، ص 495.

7- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 122-123.

بقية بني كنعان من الشام عندما أجلاهم يوشع بن النون عليه السلام أولاً ثم داوود عليه السلام ثانياً<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من اختلاف علماء النسب في أصل البربر، إلا أنهم اتفقوا على تقسيم البربر إلى فرعين رئيسيين هما: برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر<sup>2</sup>، وقد غلب على شعوب البرانس عموماً الاستقرار في القرى الساحلية، التلية، والجبالية للزراعة وتربية المواشي، فهم من المستضعفين على حد تعبير ابن خلدون، أما قبائل البربر البتر فهم في معظمهم رحالة بدو<sup>3</sup>، وقد تشعب كل من قسم البرانس والبتر إلى قبائل عظيمة وشعوب عند النسابين، نذكر منها: أوربة، كتامة، أوريغة، أرداجة، هسكورة، مصمودة، نفوسة، أداسة... وهي القبائل التي شكلت المجتمع المرابطي مع أجناس أخرى.

وتعد قبيلة صنهاجة في طليعة هذه القبائل، للدور الحاسم الذي لعبته في قيام الدولة اجتماعياً وسياسياً، إضافة إلى اعتبارها من أهم عناصر سكان المغرب الأقصى لكثرة عددها<sup>4</sup>، فقبيلة صنهاجة من أوفر قبائل البربر حتى زعم أنهم الثلث من أهل البربر، لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، فهم من ولد صنهاج من حمير كما ذكر الكلبي والطبري، فقد ذكر الطبري أنه صنهاج بن بر بن صوكان بن منصور بن الفند بن افريقش بن قيس<sup>5</sup>، وأما نسابة البربر فيذكرون أنه صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن بن قيمتا بن سدور بن مولان بن مصلين بن يبرين بن مكسيلة بن دقيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام، زاعمين أن

<sup>1</sup> - الناصري: المرجع السابق، ص 30.

<sup>2</sup> - الناصري: نفس المرجع، ص 30. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 125.

<sup>3</sup> - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 17، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ص 299.

<sup>4</sup> - أنور محمود زناتي: المرجع السابق، ص 86. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 12.

<sup>5</sup> - ابن خلدون: نفس المصدر، ص 201.

جزول، اللط، وهسكور إخوة صنهاج<sup>1</sup>، واتفق المؤرخون في تقسيمهم إلى سبعين بطنا منهم: لمتونة، كدالة، مسوقة، بنو وارت، بني زياد... وغيرها<sup>2</sup>.

منها قبائل شكلت أهمية كبيرة في التركيبة السكانية لدولة المرابطين، في طليعتهم قبيلة لمتونة، الذين كان "عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاج"<sup>3</sup>، والذين شاركوا في الحياة الاجتماعية للدولة مشاركة فعالة، واستحوذوا على المناصب العليا فيها<sup>4</sup>، تأتي بعدها قبيلة جدالة التي كان لها السبق في الدعوة المرابطية، بقيادة يحيى بن إبراهيم،<sup>5</sup> وكان لهم دور كبير في الجهاد الذي خاضه المرابطون، كما حضي أفرادها بمناصب عليا في الدولة<sup>6</sup>، إضافة إلى قبيلة مسوفة، التي صار لها دور كبير بعد انضمامها لحركة المرابطين، جعل أبنائها يحتلون مراكز قيادية، بالإضافة إلى قبيلتي لمطة وجزولة التي ينتمي إليها مؤسسو الحركة، فلمطة ينتسب لها فقيه السوس وجاج بن زلوا اللمطي، وجزولة التي ينتمي إليها عبد الله بن ياسين<sup>7</sup>، وتعد هذه القبائل أهم العناصر الصنهاجية بصفة خاصة والقبائل البربرية بصفة عامة التي لعبت دورا قويا في دولة المرابطين سياسيا واجتماعيا.

مثلا اعتمد عبد الله بن ياسين على قبيلة صنهاج لإنشاء دولته، اعتمد ابن تومرت على قبائل المصامدة، التي نافست قبيلة صنهاج سياسيا للسيطرة على بلاد المغرب الإسلامي، ودعمت ابن تومرت وكان لها الدور الأبرز في سقوط دولة المرابطين.

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص201.

<sup>2</sup> ابن خلدون: نفس المصدر، ص202، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص120.

<sup>3</sup> ابن أبي الزرع: نفس المصدر، ص126-127.

<sup>4</sup> ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص17.

<sup>5</sup> انظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص19-21، ابي الزرع: نفس المصدر، ص122-124.

ابن خلدون: نفس المصدر، ص242-243.

<sup>6</sup> أنور محمد زناتي: دور الفقهاء في الأندلس، المرجع السابق، ص87.

<sup>7</sup> ابراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص17-18.



والمصامدة من ولد مصمود بن يونس بربر، عرف عنهم كثرة العدد، انقسموا إلى ثلاث وحدات كبرى تمثلت في: أهل جبل درن، برغواطة تامسنا، غمارة الريف، ولأهل جبل درن دور الريادة في تلك الفترة<sup>1</sup>.

خضعت هذه القبائل في الفترة التي ولد فيها ابن تومرت للحكم المرابطي، لكنهم تمتعوا باستقلال داخلي، مع دفع الضرائب من حين إلى آخر، وعدد الباحث إبراهيم القادري بوتشيش أسماء قبائل المصامدة التي عاشت في ظل الحكم المرابطي نذكر منها: هرغة، تينمل، هنتاتة، كدميوة، هسكورة، غمارة، مصامدة السهول (تامسنا)، هيلانة، بني ماغر، رجراجة، هسكورة... واعتبرت قبيلة دكالة أكثر القبائل التي والت دولة المرابطين، رغم نسبها المصمودي<sup>2</sup>.

لكن بعد دعوة ابن تومرت صارت هذه القبائل مساندة وسبّاقة لقبول دعوته، والخروج على حكم المرابطين، وهي قبائل عدة نذكر منها: هرغة، أهل تينمل، هنتاتة، كنفيسة، بعض قبائل كدميوة، مسكالة... وغيرهم، أين صار يطلق عليهم اسم القبائل الموحدية<sup>3</sup>.

وفي تينمل عمل ابن تومرت وأصحابه على نشر العقيدة التومرتية وتنظيم المجتمع الموحد، واستطاع أن يدخل نظاما جديدة فيه، تمثلت في تقسيم الموحدين إلى طبقات تختلف عن المجموعات القبلية التقليدية<sup>4</sup>، بهدف بناء هيكل لدولته بعد أن انضم إليه الكثير من القبائل، أين نجده صنف أتباعه حسب أسبقيتهم إلى مبايعته إلى طبقات

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 275. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 28.

<sup>2</sup> روجلي لي تورنو: المرجع السابق، ص 13، إبراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص 30-33.

<sup>3</sup> أحمد عزاوي: رسائل موحدين، المرجع السابق، ج2، ص 24.

<sup>4</sup> روجلي لي تورنو: نفس المرجع، ص 34-35، 38.

تمثلت في: الصنف الأول هم العشرة (أهل الجماعة)، ثم أهل الخمسين<sup>1</sup>، ثم أهل سبعين، الطلبة، الحفاظ (صغار الطلبة)، أهل الدار (من أصحابه يختصون به في ليله ونهاره)، هرغة، أهل تينمل، جدميوة، جنفيسة، هنتاتة، أهل القبائل، الغزات وهم الأحداث الصغار الأميون، ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعدها إلى غيرها<sup>2</sup>، وقد نجح ابن تومرت أن يربط بين هذه الطبقات المختلفة من الناس الذين لا تجمعهم قبيلة واحدة، جاعلا منهم عصبتهم والداعم الأساسي لدعوته<sup>3</sup>.

إضافة إلى كل من قبائل صنهاجة وقبائل المصامدة، وجدت قبائل أخرى كما تم ذكره سابقا، دخلت ضمن المجال الجغرافي لدولة المرابطين في المغرب وشكلت معها مجتمع المرابطين أمثال: قبائل زناتة، كتامة، أوربة، بني يسنيسن، بني سنوس، بني ورودسن، وبني ستلتن وغيرهم<sup>4</sup>.

ولم تكن رعية دولة المرابطين من القبائل البربرية مستقرة فقط في الحدود الجغرافية لبلاد المغرب بل تعدتها إلى حدودها في الأندلس، وإن كانت بنسبة أقل إذا ما قورنت بالعنصر العربي، أين نجد في المصادر التاريخية إشارات حول العديد من الهجرات للقبائل البربرية إلى بلاد الأندلس قبل فترة المرابطين، نذكر منها حديث الاصطخري عن القبائل التي استقرت في الأندلس، فقد ذكر أن قبيلتي نفزة ومكناسة استقرا بين

<sup>1</sup> - هو مجلس تكون من جميع القبائل، قام ابن تومرت بإنشائه بعد إدراكه أن هذا المجتمع تملكه النزعات بين القبائل والعشائر، وتكون من رؤساء القبائل المحليين، منهم ستة رجال من قبيلة هرغة، وأربع عشرة من قبيلة تينمل، وثلاث من قبيلة هنتاتة، ورجلان من جدميوة، أربعة من جنفيسة، ومن هسكورة فثلاثة، وثلاثة من صنهاجة، وخمسة من الغرياء، وهكذا عددهم ابن صاحب الصلاة في كتابه على الرغم من أنهم على هذا لم يصلوا الخمسين، وتكون هذا المجلس لمناقشة المشاكل السياسية والعسكرية. عمر بكر محمد: السوس الأقصى في عهد دعوة ابن تومرت، مجلة التاريخ والمستقبل، عدد يناير، جامعة المنيا، 2013م، ص 289، ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص 84-85.

<sup>2</sup> - ابن القطان المراكشي: نفس المصدر، ص 82-83، 86.

<sup>3</sup> - عمر بكر محمد: المرجع السابق، ص 290.

<sup>4</sup> - انظر عمر بكر محمد: نفس المرجع، ص ص 24-27، 33-34.

الجلالقة وبين مدينة قرطبة، كما ذكر أن هواره ومديونة استقروا في شنتبرية<sup>1</sup>، وذكر ابن عذارى أنه في عهد ابن أبي عامر المنصور عرف البربر العديد من الهجرات، بداية بهجرة هشام من زناتة وجيشه، التي كانت في الستّ مئة<sup>2</sup>، وما بعدها، ذكرا أنه "مازال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمّن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم يتواترون"<sup>3</sup>. ويبدو أن هذه التقلات تواصلت في فترة المرابطين، التي عرفت العديد من الهجرات نذكر منها أول ولوج للقبائل البربرية سنة 479هـ، ممثلة في الجيش المرابطي بمختلف انتماءاته، من أجل إنقاض الأندلس من الهجوم النصراني، وهو ما أكده صاحب الحلل الموشية في قوله: "ولما احتل يوسف بن تاشفين بالجزيرة، شرع في بناء أسوارها، ورم ما تشعث من أبراجها، وحفر الحفير عليها، وشحنها بالأطعمة والأسلحة، ورتب فيها عسكريا انتقاه من نخبة رجاله، وأسكنهم بها"<sup>4</sup>، بالإضافة إلى هجرات أخرى منها: هجرة سنة 515هـ نحو قرطبة، وهجرة سنة 535هـ التي تميزت بكثافة المهاجرين، وقد ذكر ابن الحزم في مصنفه "جمهرة أنساب العرب" أسماء قبائل البربر المتواجدة بالأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى عصره، أمثال: صنهاجة، مكناسة، زناتة، هواره، مصمودة... واحتل البربر بعد دخول المرابطين مكانة مميزة حملت في معظمها الصبغة العسكرية، على عكس الفترة التي قبلها، أين كانوا يمتنون المهن من أمثال: الفلاحة، حراسة الدروب...<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - أحمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة، الرباط، مطبعة عكاظ، ص 145-146.

<sup>2</sup> - ابن عذارى: المصدر السابق، مج2، ص 271.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 271-272.

<sup>4</sup> - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 51.

<sup>5</sup> - أنور محمود الزناتي: المرجع السابق، ص 85-87، انظر ابن حزم: المصدر السابق، ص 498-501.

ب. العرب<sup>1</sup>:

استقر في بلاد المغرب والأندلس أخلاط من القبائل العربية، منهم أعقاب العرب الفاتحين للمغرب<sup>2</sup> الذين سكنوا البلاد، ومنهم الذين اشتركوا في الجيوش لاستكمال فتح هذه البلاد في العهد الأموي، ومنهم الجماعات الوافدة من المشرق في العهد الأموي والعباسي<sup>3</sup>.

وعرف القرن 4هـ زيادة توافد العنصر العربي من المشرق إلى المناطق التجارية كمنطقة سجلماسة، كما أنهم انتشروا في المناطق الساحلية الشمالية خلال القرن الخامس

<sup>1</sup> - يرجع أصل العرب إلى أصليين هما عدنان وقحطان، اتفق الرواة وأهل الأخبار على تقسيمهم إلى:

- عرب بائدة: وهم العرب القدامى الذين لا تتوفر على معلومات وافية عن تاريخهم مثل: عاد، طسم، ثمود، جديس، عملاق...  
- عرب عاربة: وهم من ولد قحطان بن هود بن عابر وكانت مساكنهم الحجاز، ثم نزلوا اليمن وغلبوا عادا والعمالقة، ويعتبر يعرب ابن قحطان أول من تكلم العربية، وأنطق بأصفيها وأبلغها لذلك سمو العرب العاربة، والتي تعني الفاعلة للعروبة والمبتدعة لها، فهم أول من تكلم بها.

- العرب المستعربة: وهم الداخلون في العربية، لهم عدة تسميات من العدنانيين، النزاريين، الإسماعيليين، الحجازيين، ينتهي نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكان سيدنا إسماعيل - عليه السلام - أول من تكلم العربية حين قدم مكة، أين أنطقه الله بكلامهم وكان كلامهم العربية. انظر: البغدادي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بيروت، دار الاحياء للعلوم، ص7. صفى الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، الجزائر، شركة الشهاب، 1987م، ص 16. سمير عبد الرزاق قطب: أنساب العرب، بيروت، مكتبة دار البيان، ص ص 35، 110، 120. أحمد الفلشفندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت، دار الكتب اللبناني، 1980م، ص 11. أحمد بن يحيى جابر البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1996م، ج1، ص 10.

<sup>2</sup> - من القبائل الممثلة لجيش عمر بن العاص والتي منها تشكلت الحملات التي أرسلت لفتح إقليمي برقة وطرابلس: قريش، مزينة، خزاعة، أسلم، غفار، جهينة، ثقيف، دوس، عبس، جرش، ليث بن بكر، بني وائل...، كما أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان حملة إلى بلاد المغرب بقيادة عبد الله بن أبي السرح العامري، خرج فيها جمع كثير من بني أمية، بني أسد، بني هاشم، بني عدي، بني زهرة، بني تميم، ببني سهم، بني عامر، غفار، غطفان... وكان معظم الجيش من عرب الحجاز. ممدوح عبد الرحمان: دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص 35-39، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 8-9.

<sup>3</sup> - سوادى عبد محمد: المرجع السابق، ص 28-29، اليعقوبي: البلدان، لبنان، دار الكتب العلمية، ص 181-184.

هجري، وهو ما أشار إليه البكري عندما تحدث عن وجود عناصر عربية في مدينة سبتة<sup>1</sup>.

وقد شكل العنصر العربي نسبة قليلة من سكان المغرب الأقصى، قبل قيام دولة المرابطين وأثناءها، فغير وفود بعض العناصر القليلة من بني هلال للمساهمة في عمليات المرابطين الجهادية في الأندلس، لم تحدث هجرات عربية أخرى<sup>2</sup>، وعلى الرغم من ذلك فقد تواجد العديد من البيوتات العربية التي اشتهرت في مدن المغرب الأقصى، منها مدينة فاس التي هاجر إليها العديد من العرب في العهد الإدريسي، فبعد بنائها، عمل إدريس الثاني على استقرار القبائل العربية بها، أين أنزل كل قبيلة في ناحية من نواحيها<sup>3</sup>، واستقرت تلك القبائل بها وعاصرت العهد المرابطي، واشتهرت منها العديد من الأسر نذكر منها: بنو بكار القيسييين<sup>4</sup>، بني حنين<sup>5</sup>، أسرة السلاجي<sup>6</sup>، بني الملجوم<sup>7</sup>،  
8...

1- ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 37.

2- ابراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص 36-37.

3- ممدوح عبد الرحمان: المرجع السابق، ص 312.

4- بيتهم بيت علم وفقه، منهم الفقيه بكار بن عبد الرحمن القيسي الذي توفي سنة 540هـ/1145م. إسماعيل الأحمر: بيوتات فاس، ص 41.

5- وهم من عرب كنانة، بيت فقه وثروة، لهم زقاقا بغاس أحدثوا بها رحا يقال بها ميزاب بني حنين، وكانوا أهل جمال وحسن، منهم الفقيه الشاعر أبو الطيب سعيد بن حنين، ت 473هـ/1080م. إسماعيل الأحمر: المرجع السابق، ص 39.

6- وهم من العرب القيسييين، بيتهم بيت ثروة وفقه، منهم الفقيه الإمام المعروف بالسلاجي، كان فقيه إمام عامل محصل وهو صاحب البرهانية في أصول الدين. إسماعيل الأحمر: نفس المرجع، ص 45.

7- وهم بني عمير وزير الإمام إدريس الثاني ينتمون إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي، القائد المشهور، هرب عمير وقوم من الأزدي من المشرق ويرجع من مدينة الكوفة حيث استقرت مدينة الأزدي بعد تأسيس المدينة في 17هـ/638م ولجئوا إلى الأندلس حيث استقروا في سرقسطة، طليطلة، ورية، وما أن قامت الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى حتى لجأ بنو عمير وعصبته من الأزدي إلى إدريس الثاني. ممدوح عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 315.

8- ابراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص 37، انظر ممدوح عبد الرحمان: نفس المرجع، ص 313-318.

وبالإضافة إلى هجرات القبائل العربية من المشرق إلى المغرب، كان لهم هجرات من القيروان والأندلس إلى المغرب الأقصى، أين عرفت القيروان سنة 209هـ ثورة منصور بن نصر الطنبذي، ونتيجة لفشل الثورة وخوف قوادها من انتقام الأغلبية، لجأت بعض البيوتات العربية إلى مدينة فاس، وكانوا ثلاثمائة أهل بيت<sup>1</sup>، كذلك عرفت قرطبة بعد ثورة الربض سنة 202هـ هجرة 20 ألفاً من الربضيون إلى بلاد المغرب أين إستقر بعضهم في جبال الريف شمال المغرب، ونزلت الأغلبية منهم إلى مدينة فاس، ونزل آخرون منهم إلى أوزفور بالقرب من مدينة أغمات، ومدينتي أغيجي ووليلي بالقرب من مدينة مكناس<sup>2</sup>.

وعلى عكس الحدود الجغرافية لدولة المرابطين في بلاد المغرب، شكل العنصر العربي في حدودها الجغرافية بالأندلس النسبة الأكبر من سكانها، ودخول العنصر العربي إلى الأندلس كان بداية بالفاتحين الذين وفدوا مع موسى بن نصير سنة 93هـ، وقد سبقهم أعداد قليلة كانت في طليعة جيش طارق بن زياد الذي جهزه موسى بن النصير، والذي لم يكن فيه سوى 300 فارس من العرب<sup>3</sup>.

وقد عرفت الأندلس بعد الفتح العديد من الهجرات إليها من المشرق، أشهرها الدفعة التي جاءت مع الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة 94هـ، والفوج الذي أتى مع بلج بن بشير سنة 124هـ، إضافة الذين قدموا مع أبي خاطر اليماني سنة 125هـ، بالإضافة للقبائل العربية من الأمويين وأنصارهم التي توافدت على الأندلس في فترة تأسيس الإمارة الأموية بقيادة عبد الرحمن الداخل<sup>4</sup>، ومن أشهر القبائل العربية التي هاجرت إلى الأندلس: بنو أمية ومنهم خلفاء الأندلس، بنو حمود ملوك الأندلس بعد اندثار ملك بني

1- ممدوح عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 322-323.

2- نفس المرجع، ص 319-320.

3- حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422 / 755-1030م، ط1، مصر، مطبعة الحسين الإسلامية، 1994م، ص 14-15.

4- أنور محمد زناتي: المرجع السابق، ص 88، 89. حسين يوسف دويدار: نفس المرجع، ص 15.

أمية، بنو هاشم، الخزرج، بنو كنانة، بنو زهرة، ...<sup>1</sup> وهي قبائل هاجرت من المشرق إلى الأندلس قبل فترة المرابطين.

أما فترة المرابطين فقد عرفت غموضاً حول الهجرات العربية، فقد أشار الباحث بوتشيش إلى صمت المصادر التاريخية عن ذكر أي هجرة باستثناء الهجرة المحدودة لبني هلال، موضحاً أن أهم ميزة في عرب الأندلس خلال فترة المرابطين هو تخفيف حدة العصبية التي كانت تطبع العلاقات الاجتماعية من الفتح حتى القرن 4هـ<sup>2</sup>.

### ت. المولدون:

هو اسم يطلق عادة على من اعتنق الإسلام من الإسبان، أو ولدوا من أب مسلم ونشئوا على الديانة الإسلامية، ترجع أصولهم إلى الجلائقة، القشتاليين، الروم، الأرغونيين، واليهود الذين استقروا في الأندلس قبل فتحها، مثلوا في عهد بني أمية أغلبية سكان الأندلس<sup>3</sup>، واحتفظ عدد كبير منهم بأسماء أسرهم، واتخذوا منها ألقاباً لهم، نذكر منها على سبيل المثال: بنو مرتين، بنو مردنيش، بنو قَوْمَس... وغيرهم كثر<sup>4</sup>. واعتبرت مدينة طليطلة أهم مراكزهم، إذ ضمت طائفة كبيرة منهم، بالإضافة إلى إشبيلية التي كانت معقلاً من معاقلمهم، مثلوا أكبر طائفة من سكانها، وعرف عنهم امتهان التجارة والإدارة، وكان فيهم الكثير من الأغنياء<sup>5</sup>، قاموا بالعديد من الثورات في العهد الأموي، وتمكنوا في عصر ملوك الطوائف من تأسيس إمارات، سرعان ما سقطت أغلبها على يد المرابطين<sup>6</sup>، انقطعت أخبارهم في الشطر الأول من عصر المرابطين، باستثناء الإمارات الثغرية كإمارة بني هود، لكن سرعان ما عادوا إلى الساحة السياسية

<sup>1</sup> - انظر حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 17-19.

<sup>2</sup> - إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 43.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 43-44.

<sup>4</sup> - أنور محمود الزناتي: المرجع السابق، ص 92.

<sup>5</sup> - حسين يوسف دويدار: نفس المرجع، ص 44.

<sup>6</sup> - أنور محمود زناتي: نفس المرجع، ص 93.

في أواخر العصر المرابطي، أين قاموا بالعديد من الثورات، كثورة ابن قسي، وثورة ابن مردنيش<sup>1</sup>.

### ث. النصارى واليهود:

وهم أهل الذمة، أطلقت هذه التسمية على الرعايا غير المسلمين في بلاد الإسلام، ومصطلح "الذمة" يقصد به العهد، الأمان، والضمان الذي يكسبهم حقوق الرعايا، ويلزمهم بواجباتهم، كما أطلق عليهم اسم "أهل الكتاب"<sup>2</sup>.

كانت الأندلس تضم عددا كبيرا من النصارى أو المستعربين<sup>3</sup>، سكنوا في جميع أنحاء مدنها من: قرطبة، طليطلة، إشبيلية، غرناطة، البيرة... كما استقر بعضهم في البوادي، واستمتعوا بكامل حقوقهم وشغلوا العديد من المناصب الإدارية، وامتهنوا العديد من الحرف بكل حرية<sup>4</sup>.

أما في المغرب، على الرغم من أنهم كانوا موجودين بشكل كثيف قبل الفتح الإسلامي، إلا أن عددهم صار ضئيلا بعد الفتح الإسلامي، فحسب المصادر التاريخية كان هناك عددا قليلا من النصارى من سكان المغرب، مضافا إليها مجموعة من الذين التحقوا بهم بعد الفتح الإسلامي للأندلس، تركزوا في بعض الجهات، مثل: تامسنا، فاس، وبعض المناطق الجبلية الوعرة<sup>5</sup>.

وعرف وجود النصارى نهضة نوعية في دولة المرابطين، أين ازداد عددهم في المغرب بعد أن تم نفي فئة منهم من الأندلس، كما ازداد وزنهم في المجتمع المغربي،

<sup>1</sup> - إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص44.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 66.

<sup>3</sup> - عز الدين جسوس: موقف الرعية من السلطة، المرجع السابق، ص 304.

أطلقت عليهم المصادر اللاتينية اسم المُسْتَعْرَبُونَ لكونهم تبناوا تقاليد العرب ولغتهم، وكانوا يجيدون الشعر والنثر العربي وينظمون القصائد ويتفخرون بإتقانهم اللغة العربية. أنور محمود الزناتي: المرجع السابق، ص 95.

<sup>4</sup> - أنور محمود زناتي: المرجع السابق، ص 94 - 96.

<sup>5</sup> - إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرسمية دراسة في المجتمع والنظم (160-296هـ / 777-909م)، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2019م، ص 41. إبراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص68.



خاصة بعد أن إستخدمهم المرابطين في الفئات العسكرية والجبائية<sup>1</sup>، وذكرت المصادر التاريخية شراء يوسف بن تاشفين نحو مائتين وأربعين منهم، كما ذكرت استخدامهم في عهد علي بن يوسف، وفي عهد تاشفين الذي استقدم زهاء أربعة آلاف مسيحي من الممالك النصرانية<sup>2</sup>، كانت أهم مراكز انتشارهم في دولة المرابطين: مراكش، مكناسة، سلا، فاس<sup>3</sup>.

أما العنصر اليهودي فعرف تواجده في شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي، استقروا في جماعات أو أقلية على طول البحر الأبيض المتوسط، كما استقروا في داخل البلاد حتى أنهم وصلوا إلى حافة الصحراء<sup>4</sup>، ولم تختلف بلاد الأندلس على بلاد المغرب أين عاش فيها أعداد غفيرة من اليهود وتوزعوا على جميع مجالها، فنجدهم عاشوا ما بين المغرب والأندلس متمتعين بالحرية، والتي مكنت بعضهم من امتلاك ثروات هائلة<sup>5</sup>.

وسكن اليهود عدة مدن أندلسية ومغربية نذكر منها: غرناطة، اليسانة، طليطلة، إشبيلية، قرطبة، سرقسطة<sup>6</sup>، فاس والتي وصفت أنها أكثر المدن استوطانا من اليهود، سجلماسة، فزا، أغمات، درعا<sup>7</sup>...

وتمتع اليهود بمكانة عالية لدى الخلفاء قبل العهد المرابطي، وتولوا مراكز إدارية مهمة، لكن عوملوا بجزر من قبل الحكام المرابطين على الرغم من التسامح معهم،

<sup>1</sup> عز الدين جسوس: موقف الرعية من السلطة، المرجع السابق، ص 304.

<sup>2</sup> ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 68.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 71.

<sup>4</sup> إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص 40.

<sup>5</sup> عز الدين جسوس: نفس المرجع، ص 298.

<sup>6</sup> حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 48.

<sup>7</sup> عمرو الصاوي محمد الصاوي: عامة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين (448-541هـ / 1056-1146م)، ط1، دار رسالة العلم، 2022م، ص 41-42.

بسبب تاريخهم وأعمالهم داخل المجتمع، كما اعتمدوا في رزقهم في المدن على التجارة والحرف، وعلى الفلاحة خارجها<sup>1</sup>.

### ج. الأقليات:

بالإضافة إلى ما ذكر هناك أجناس أخرى مثلت أقلية من الرعية تمثلت في:  
- **الصقالبة:** أطلق اسم الصقالبة<sup>2</sup> في الأندلس على أسرى الحروب الذي أسروا من قبل الجرمانيين والسكندنافيون وبيعوا للأندلسيين، ثم اتسع ليشمل كل الرقيق من جميع الدول المسيحية سواء عن طريق الاقتناء أو الأسر، كان أول من استخدمهم الأمير الحكم الربضي، كثرت أعدادهم في الحقبة الأموية حتى بلغ عددهم في قرطبة وحدها 15 ألفاً<sup>3</sup>، كان لهم في الأندلس دور كبير في العديد من المجالات: السياسية، العلمية، الاجتماعية، واعتبروا أنفسهم عنصراً متميزاً ولم يختلطوا بالعناصر الأخرى، كما استطاعوا تكوين ممالك خاصة بهم بشرق الأندلس أمثال: بلنسية، طرطوشة، دانية، المرية، المرسية<sup>4</sup>.

أما في عصر المرابطين فقد لوحظ اختفاء مصطلح الصقالبة في معظم المصادر التاريخية، وعض بمصطلحات "الروم"، "العلوج"، "الفتيان"، "الحشم"، وقد يعود ذلك إلى تغيير الوجة التي يستقدمون منها، واستخدمهم أمراء المرابطين في حرسهم الخاص والجيش، وأخلص بعضهم للدولة المرابطية أمثال الروبيرتير

<sup>1</sup> - حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ص 45-46، عز الدين جسوس: نفس المرجع، ص 301.

<sup>2</sup> - هم قبيل من ولد يافث وبلدهم مستطيل واسع ولغزاة محاربي خرسان من ناحية البلغار بهم اتصال فهم إذا صبوا إلى هناك تركوا على فحولة أحوالهم مقرورين بصحة أجسامهم، وكان الخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي يأجوج ومأجوج يشق بلدهم ويقطع ناحيتهم إلى نصفين، نصف بلدهم بالطول يصيبهم الخراسانيون والنصف الشمالي يصيبه الأندلسيون. ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت، دار صادر، ص 110.

<sup>3</sup> - إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 45.

<sup>4</sup> - حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 59.

الذي قتل وهو يقاتل مع المرابطين ضد الموحيدين، بينما غدر بعضهم المرابطين بعد دخول الموحيدين مراكش<sup>1</sup>.

- **السودانيين<sup>2</sup>**: ذكر المسعودي أنهم من ولد كوش بن كنعان ساروا نحو المغرب عندما افترق ولد نوح -عليه السلام- في الأرض حتى قطعوا نيل مصر، ثم افترقوا أين سارت فرقة منهم بين المشرق والمغرب هم النوبة، البجة، الزنج، وسار فريق منهم نحو المغرب وكانوا كثر، ذكر منهم: الزغاوة، الكانم، مركه، كوكو، غانة<sup>3</sup>، وورد العنصر السوداني في المصادر بعدة أسماء نذكر منها: الزنج، قوقو، جناوة<sup>4</sup>. وذكر ابن خلدون أنه لما دخل التجار بلاد المغرب لم يجدوا فيها أعظم من ملوك غانية، واعتبرهم أعظم أمة وأضخم ملك، لكن بعد ضعفهم دخل عليهم المرابطين، وعبروا على السودان، ففرضوا عليهم الإتاوات والجزية، وحملوا الكثير منهم على الإسلام<sup>5</sup>، ولما عرف عليهم جلدتهم وصبرهم في تحمل أعباء الحروب، اعتمدت عليهم دولة المرابطين في جيوشها، فقد ذكر ابن أبي زرع أن معركة الزلاقة شارك فيها أربعة آلاف سوداني، كما فرض يوسف بن تاشفين سنة 523هـ على الرعية جزء من عبيدهم للغزو مع الجيش في جوازه إلى الأندلس، وكان قسط أهل فاس وحدها ثلاثمائة، وبالإضافة إلى العمل في الجيش وفي المنازل، شكل العنصر السوداني جزءا من حاشية قصور الأمراء، كما عملوا كحراس وأدلاء للقوافل

<sup>1</sup>- أنور محمود الزناتي: المرجع السابق، ص100. ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 46-48.

<sup>2</sup>- "هذه الأمم السودان من الآدميين هم أهل الإقليم الثاني وما وراءه إلى آخر الأول بل إلى آخر المعمورة متصلون ما بين المشرق والمغرب، ويجاورون بلاد المغرب بالمغرب وإفريقية وبلاد اليمن والحجاز في الوسط، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق، وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم في المشرق الزنج والحبشة والنوبة". ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 264.

<sup>3</sup>- المسعودي: المصدر السابق، ص5.

<sup>4</sup>- ابراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص 48.

<sup>5</sup>- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 266.

التجارية<sup>1</sup>، واستخدم الأندلسيون العناصر السودانية في الأفراح لدق الطبول والرقص، بالإضافة إلى العاملين لدى الأسر الاستقرائية، وقد تواجدت العناصر السودانية في العديد من المناطق المغربية والأندلسية منها: فاس، قرطبة، مالقة، إشبيلية، مناطق جنوب المغرب... جعلتهم يشكلون شريحة من شرائح المجتمع المرابطي<sup>2</sup>.

- الأتراك الأغزاز: أكد ابن أبي الزرع تواجدهم ضمن الجيش المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين، ونقل عنه ذلك الناصري، كذلك أكدت بعض وثائق الجنيزة (اليهودية) وجودهم في غرناطة في العهد المرابطي، غير أن ابن خلدون رجح دخولهم في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة 574هـ، وشكلوا أقلية في المجتمع ولم يكن لهم دور اجتماعي أو اقتصادي أو حتى سياسي<sup>3</sup>.

مما سبق يتبين لنا أن المجتمع الذي عاصره القاضي عياض تميز بالتنوع البشري، أين تكون من مزيج من العناصر الاجتماعية التي ربط بينها الحكم المرابطي، وكان لكل عنصر منهم خصائصه الخاصة.

<sup>1</sup> - أنور محمود زناتي: المرجع السابق، ص 101-102.

<sup>2</sup> - إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 48.

<sup>3</sup> - ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 139، إبراهيم القادري بوتشيش: نفس المرجع، ص 51، أنور محمود زناتي: نفس المرجع، ص 102.

## ثانياً: القاضي عياض والرعية

يعد القاضي عياض عالماً وفقهياً يعرف به الحلال والحرام، والحق من الباطل، بقوله يعمل الرعية، وعن رأيه يصدر<sup>1</sup>، لما عرف عنه من علم، اجتهاد، أخلاق، جعلت له الرياسة في بلده، وقداسة خاصة لدى الرعية، محبباً في قلوب الخاصة والعامة، ذائع الصيت<sup>2</sup>.

### 1. علاقته بالخاصة:

عاش القاضي عياض كأبي فرد من أفراد المجتمع في وسط اجتماعي فيه أفراد تربطه بهم علاقة قرابة، صداقة، زمالة... وكان لديه عائلة، أصدقاء، شيوخ طلب العلم على أيديهم، وتفقه في مجالسهم، وطلاب علم يدرسه ويوجههم، وغيرها من العلاقات الخاصة التي جمعتهم بأفراد من المجتمع سنحاول التطرق لها كل حسب نوعية العلاقة.

#### أ. عائلته:

يبدو أن القاضي عياض اعتمد في تربية ابنه على مقولة شيخه القاضي أبي بكر بن العربي: "اعلم أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لك نقش وقابل لكل ما يُمال إليه، فإن عود الخير وعلم نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه"<sup>3</sup>، فكان لابنه المعلم، المرشد، المؤدب، وهو ما أكده ابنه في مصنفه، ذاكراً أنه كان مصاحباً لأبيه في مجالسه العلمية، يدرس الفقه ويسمع حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -<sup>4</sup>، كما ذكر بعض الأحاديث التي كتبها له والده بخط يده ومنه نقل<sup>5</sup>.

1- عبد الحي يوسف: المرجع السابق، ص 53. (بتصرف)

2- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 5-6.

3- عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب من العلم والأدب والسياسة، المرجع السابق، ص 462-463.

4- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 12.

5- أنظر نفس المصدر، ص 14 وما بعدها.

هذه النشأة الصالحة على يد والده جعلت منه أحد فقهاء عصره البارزين، فقد ذكرته العديد من المصادر، مؤكدة ما كان لأبي الفضل من يد في حسن تربيته، وتنشئته على حب العلم وطلبه، منها ما ذكر عنه صاحب التكملة: "محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي، من أهل سبته، وأصله من بسطة ومنها انتقل أجداده قديما، يكنى أبا عبد الله، سمع من أبيه القاضي أبي الفضل، وابن العربي أجاز له وغيرهما، وأخذ مصنف النسائي قراءة عن أبي بكر يحيى بن محمد ابن رزق، ودخل الأندلس، وولي قضاء دانية منها قبل السبعين وخمسمائة، وكان حميد السيرة، نزيها متواضعا، له مشاركة في الأدب والأخبار، وولي أيضا قضاء غرناطة، وتوفي بها"<sup>1</sup>. وأكد ابنه محمد في مصنفه "التعريف بالقاضي عياض"، العلاقة الطيبة التي كانت تجمعهم بوالده، مؤكدا الإجلال والتقدير الذي كان يكرمه له... "فبادرت إجلالا لقدره، والتزاما لبره، إلى جمع فضائل اقتضبتها، وفصول انتخبتها، وأحاديث انتقيتها وأسندتها، وملح اجتلبتها وأوردتها جهدي"<sup>2</sup>.

ويبدو أن القاضي عياض عاش حياة طيبة مع عائلته، أين كان لين الجانب، حلو الدعابة، موطأ الأكناف، صبورا حلما، جميل العشرة حسن الأخلاق<sup>3</sup>، كثير تجاذب الحديث مع أهله، فقد ذكر محمد رحلته في طلب العلم بكل تفاصيلها مبينا المدن التي زارها، مع الوقت والتاريخ، متطرقا إلى أهم أحداثها، مؤكدا أنه سمعها من والده<sup>4</sup>.

ومثلما تحدث محمد في مصنفه عن الحياة العلمية الخاصة بوالده، تحدث عن الحياة العملية والسياسية، التفاصيل الصغيرة منها والكبيرة، إلى درجة أنه ذكر بالتفصيل الدقيق

<sup>1</sup> - محمد ابن شريفة: كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده القاضي أبي عبد الله محمد، المناهل عدد خاص بالقاضي عياض، المرجع السابق، ص 338.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 2.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 5.

<sup>4</sup> - أنظر نفس المصدر، ص 6-10.

لقاء القاضي عياض بعبد المؤمن بن علي<sup>1</sup>، وهذا يظهر تشارك القاضي عياض كل تفاصيل حياته مع عائلته، الجيدة منها والسيئة، وأنه قريب من عائلته لدرجة عدم إخفاء أي أمر مهما كانت بساطته أو خطورته.

وحول علاقته ببقية أقاربه من العائلة فلم تذكر المصادر إلا فردين منهما هما أخاه، وابن أخيه، وبالرغم أنها لم توضح إلا الشيء القليل، إلا أن ذلك الشيء القليل أكد على الثقة التامة التي تربط بين القاضي عياض وبين عائلته، أين نجده تنزه عما ورثه من والده بعد وفاته، والذي قدر بسبعة عشر ألفاً من الذهب، وترك حرية التصرف بها لأخيه<sup>2</sup>، أما ما يخص ابن أخاه أبا عبد الله، فقد ذكر محمد أن والده وضع ابن أخاه الزاهد على الأحكام في غرناطة، بعد أن صرف عن قضائها<sup>3</sup>، وهذا إن أكد على شيء فهو العلاقة الطيبة بين أبو الفضل وعائلته، والتي كانت ممزوجة بالثقة والاحترام.

#### ب. أصحابه:

عرف عن القاضي عياض أنه كان حسن المجلس، عذب الكلام، ممتع المحضر، كثير الخبر والحكاية، حلو الدعابة، مليح المنطق، نبيل النادرة، لين الجانب، جميل العشرة، حسن الأخلاق، صبوراً حليماً<sup>4</sup>، وهي صفات جعلت مكانته تترسخ في القلوب، ومهدت له الرضا والقبول، فكثرت له الرفقاء والخلان.

الذين جمعتهم بهم مجالس العلم، السمر في الأدب، وما يتخلل ذلك من تنافس، مع تبادل الزيارات والرسائل، خاصة إذا علمنا أنهم كانوا من صنف الزعماء، العلماء، الأدباء، الكتاب وغيرهم ممن قربتهم الصداقة، الاحترام وتبادل المعارف<sup>5</sup>.

1- أنظر محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 13.

2- المقري: المصدر السابق، ج 5، ص 84-85.

3- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 11.

4- نفس المصدر، ص 5.

5- أنظر نفس المصدر، ص 88-90.

فنجده يذكر بعض أصحابه الذين أخذ منهم العلم في مصنفه الغنية، مؤكداً على أنهم أصحاب جمعت بينهم الصداقة قبل أن يجمع بينهم طلب العلم، نذكر منهم : الفقيه أبو بكر محمد بن خلف بن محمد بن فتحون الأريولي الذي قال فيه: "صاحبنا لقيته وقت رحلتي فكان نبيلاً خيراً قد فهم طريقة الحديث"<sup>1</sup>، أبو العباس أحمد بن عمران الأنصاري الطليطلي الذي قال فيه "صاحبنا سمع معنا من أبي عبد الله ابن عيسى... قرأت عليه إصلاح الغلط لابن قتيبة في ردّه على أبي عبيد، وحدثني به عن أبي علي الجياني... وقرأت عليه أيضاً أحاديث عالية كانت عنده عن الجياني"<sup>2</sup>.

والقاضي عياض كان جميل العشرة لأصحابه، كثير البر والنفع لهم، يهتم بهم، ولا ينسى الروابط والذكريات التي جمعهم، ولا يتسرع في الحكم وقطع العلاقات، حتى لو كان الجفاء منهم، فنجده يعاتب الرفيق برفق، ويتساءل عن سبب البعد والجفاء، وإن كان السبب والعلة منه، يبادر للاعتذار، وخير دليل على ذلك، رسالته التي عاتب فيها بعض رفاقه على إعراضهم عنه ونسيان العشرة، نصها: "ليت شعري أعتب أم أعتب، واعترف بالذنب أم أذنب، لا جرم لو علمت لنفسي جرماً، لجعلت عليها برد الشراب حراماً، ولسلبتها لذيق المنام عزماً... وأين ما تدعيانه من الوفاء، أحين جدت بنا الحال، وشدت النوى الرحال، ودعا بنا داعي الزّماع، وخجلت عين ويد اللوداع، اتخذتmani ظهرياً، وصرت عندكما نسياً منسياً، لا أعلم لكما علماً، ولا ألقاكم إلا حلماً، كان شملنا لم يزل متصدعاً، وكأنما لطول افتراق لم نبت ليلة معاً، ماذا يريب الغريب، من إغباب الأحباب، أمجالسة السلطان، وموانسة الأوطان، أبي المجد من ذلك وأبيت، ولنا يا بيت بالعلياء بيت، أم صدود وملال، ينافيه ذلك جلال، أم قلة احتمال، ما تشاهدانه من غلظ تلك الخلال، أم ثم

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 81.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 116.



ذنب يوجب الصُدود، ويود بود الودود، أسمعاه لأرجع إلى المتاب، عن العتاب، وأبادر نفسي عوض الكتاب، فأعذر ولا أعذل، وأنصف من نفسي وأعدل، والسلام<sup>1</sup>.

ولم تكن هذه رسالة العتاب الوحيد للقاضي عياض الموجه نحو أصحابه، بل له بيت يعاتب فيه أخلاءه بعدما دخل الجفاء قلوبهم، بسبب البعد، نصه:

إِذَا الْإِخْلَاءُ لَمْ تُحْمَدْ غُيُوثِهِمْ      وَحَانَ مِيثَاقُهُمْ فِي الْبُعْدِ أَوْ خَالًا  
فَلِي بِأَعْمَاتٍ خَلٌّ لَا أَدْمُ لَهُ      مَدَى الْحَيَاةِ وَإِنْ شَطَّتِ نَوَى حَالِهِ<sup>2</sup>

وله يخاطب الفتح صاحب القلائد عن كتابين كتبهما له معاتباً:

أَبَا النَّضْرِ أَنْ شَدُّوا رِحَالَكَ لِلنَّوَى      فَإِنْ جَمِيلِ الصَّبْرِ عَنكَ بِهَا شَدُّوا  
أَنْ تَتْرَكُوا قَلْبِي مُقِيمًا وَتَرْحَلُوا      فَمَاذَا تَرَى فِي مُهْجَةٍ مَعَكُمْ تَغْدُوا<sup>3</sup>

ويبدو أن العتاب بين الرفقاء لم يكن من جانب القاضي عياض فقط، بل كان متبادلاً، فنجد من أصحابه ممن كان يجمعهما إخاء كبير في الشباب والكبر، وهو أبو الحسن بن زباغ يعاتبه ويكثر حتى وصل ذلك إلى مسامعه، فكان رده إليه أبيات نصها:

إِلَى كَمْ وَكَمْ أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تَرِيْبُنِي      أُغْمَضُ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بِذِي عَمَى  
أَحَاذِرُ إِنْ أَكَافَ عَنْهَا بِمِثْلِهَا      تَكُونُ لِأَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ سِلْمًا  
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَوْتُ بِي وَلَمْ      أَحُنْكَ وَلَوْ جَرَعْتَنِي الدَّهْرُ عَلَمًا

ولما بلغت هذه الأبيات أبا الحسن، ذم نفسه واعترف له بالفضل<sup>4</sup>.

وغيرها من الأبيات التي اشتهر بها القاضي عياض، والتي تؤكد أنه لم يكن يدع مجالاً للشك والظنون في علاقاته مع خلانه ورفاقه، ولا يتسرع في قطعها بسبب البعد،

<sup>1</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 94.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 98، المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج4، ص 268-269.

<sup>3</sup> - المقري: نفس المصدر، ص 245.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 111.

الجفاء، وحتى الانشغال بأمور الدنيا، متذكراً الإحسان والعشرة التي جمعت بينهم، غير  
خجل من التعبير عما يخالجه من حنين وشوق لهم، منها:

يَا مَنْ تَحْمِلُ عَنِّي غَيْرَ مُكْتَرِبٍ      لَكِنَّهُ لِلصَّنَا وَالشَّقْمِ أَوْصَى بِي  
تَرَكْتَنِي مَسْتَهَامَ الْقَلْبِ ذَا حُرْقٍ      أَخَا جَوَى وَتَبَارِيحٍ وَأَوْصَابٍ  
أَرَأَيْتَ النُّجْمَ فِي جُنْحِ الدُّجَا سَحْرًا      كَأَنَّي رَاصِدٍ لِلنُّجْمِ أَوْصَابِي  
وَمَا وَجَدْتُ لذيذِ النُّوْمِ بَعْدَكُمْ      إِلَّا جَنَى حَنْظَلٍ فِي الطَّعْمِ أَوْ صَابٍ<sup>1</sup>

وله أيضاً:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُنْذُ لَمْ أَرْكُم      كَطَائِرٍ خَانَهُ رِيْشُ الْجِنَاحَيْنِ  
فَلَوْ قَدَرْتُ رَكِبْتُ نَحْوَكُمْ      فَإِنَّ بَعْدَكُمْ عَنِّي جَنَى حَيْنِي<sup>2</sup>

ومن شعره قوله:

عَسَى تَعْرِفُ الْعُلَيَاءَ ذَنْبِي إِلَى الدَّهْرِ      فَأُبَدِي لَهُ جُهْدَ اعْتِرَافِي أَوْ عُدْرِي  
فَقَدْ حَالَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّةٍ      أَلْفَتْهُمْ أَلْفَ الْخَمَائِلِ لِلْقَطْرِ  
هُمْ أَوْدَعُوا قَلْبِي تَبَارِيحَ لَوْعَةٍ      فَنَأَيْتُهُمْ أَيْكِي وَأَنْكِي مِنَ الْجَمْرِ  
عَلَى أَنْ لِي سَلْوَى بَأَنْ فِرَاقَهُمْ      وَإِنْ طَالَ لَمْ يُمَزَجْ بَصْدٍ وَلَا هَجْرٍ  
سَافَزَعُ لِلرِّيحِ الشَّمَالِ لَعْنِي      أَحْمَلُهَا شَوْقًا تَلَجُّجٌ فِي صَدْرِي  
تُبَلِّغُ مِنِّي لِلوَزِيرِ تَحِيَّةً      مُعْطَرَّةَ الْأَرْجَاءِ دَائِمَةَ النَّشْرِ  
تُظَلِّلُهُ مِنْ حَرِّ كُلِّ هَجِيرَةٍ      وَتُوْنِسُهُ فِي وَحْشَةِ الْبَلَدِ الْفَقْرِ  
وَتُنْبِئُهُ أَنِّي أَكِنُّ صَبَابَةً      لِحَسَنِ بَدَا فِي غَيْرِ شِعْرِ وَلَا شَعْرِ  
أَهْرُ بِهَا عَطْفِي مِنْ غَيْرِ نَشْوَةٍ      وَأُرْخِي بِهَا ذَيْلًا مِنَ التِّيهِ وَالْكَبْرِ  
وَإِنِّي أَشْدُو فِي التَّوَادِي بِذِكْرِهِ      كَمَا شَدَّتِ الْوَرَقَاءُ فِي الْعُصْنِ النَّضْرِ

<sup>1</sup> - ابن فرحون: المصدر السابق، ص 50.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 50.

أَجَلٌ وَعَسَاهَا أَنْ تُبَلِّغَ مُهْجَتِي فَأُبْلِي بِهَا عُدْرِي وَأَقْضِي بِهَا نَذْرِي<sup>1</sup>

وخير مثال وضع لنا العلاقة التي كانت تربط بين القاضي عياض وأصحابه، علاقته بالفتح ابن خاقان، الذي كان من أصحابه وجلسائه، والتي بينت لنا أمرين هما:  
الأول: التواضع وقضاء الحوائج، ويتجلى ذلك في الحادثة التي ذكرها أبو النصر بنفسه قائلاً: "وخرجنا لنزهة، فلما انصرفنا أصاب غفارتي شوك شقها، فلما وصلت موضعي، أمر أن أبعثها إليه، مع أحد عبيده المتصرفين بين يديه، فلما كان من الغد تأخر صرفها، وحضرت الجمعة، فكتبت إليه معاتباً في توقفها ... فراجعني: أدام الله يا وليي جلالك، وأبقى حلياً في جيد الدهر خاللك، الغفارة عند من ينظر فيها، وقد بلغت غير مضيع تلافيتها، ويرجى تمامها قبل الصلاة إدراكها، وتصل مع رسولي وكأنما قد شراكها، وإن عاق عائق، فليس مع صحة الود مضائق، والعيوض رائق لائق، وهو واصل، وأنت بقبوله مواصل"<sup>2</sup>.

الثاني: التعامل مع الرفقاء الذين يقعون في الخطأ بالنهاي عن المنكر والترهيب، مع الرفق والعطف، وهو ما قام به القاضي عياض مع الفتح ابن خاقان، أين بعث له مع أحد أصحابه ثمانية دنانير وعمامة، بعد أن أقام عليه حد شارب الخمر،<sup>3</sup> وهو الكرم الذي جعل الفتح ابن خاقان يقول فيه: "أزرت محاسنه بالبدر اللياح، وسرت فضائله مسرى الرياح، فتشوفت لعلاه الأقطار، ووكفت تحكي نذاه الأمطار"<sup>4</sup>، وفي ذلك يقول أحد أصحابه: "هو والله خير منا، فإننا نؤذيه ونطالبه، فيصبر ويقضي حوائجنا، ويتلقاها بالبرِّ والبشْرِ"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن خاقان: المصدر السابق، ص 687.

<sup>2</sup> - المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج4، ص 245.

<sup>3</sup> - المقري: نفس المصدر، ج5، ص 92.

<sup>4</sup> - الفتح بن خاقان: نفس المصدر، ص 683-684.

<sup>5</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 111.

ت. العلماء وطلاب العلم:

كان القاضي عياض أحد أوعية العلم في زمانه، حافظاً فقيهاً مبرزاً على أقرانه، مشعل يستضيء به العلماء، ويستتير به طلاب العلم ورواد المعرفة، إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، موقراً من قبل علماء عصره، خاصة منهم شيوخه، الذين بادروا إليه بعلمهم، وتحدثوا عنه بالكثير نذكر منه:

- ما كتب له أبا محمد بن عتاب بخطه إجازة فقال: "ولمّا رأيت ما هو عليه الفقيه أبو الفضل المذكور -حفظه الله- من الفضل، والخير، والديانة، والفهم، والعلم، وأخذه من كل العلوم بأوفر نصيب، أجزيت له جميع ما رويته"<sup>1</sup>.
- ما قال أبي بحر سفيان ابن العاصي أثناء إجازته له: "وكان تولي الله رعايته من السّرو، والنبيل، والذكاء، والفضل، بحيث يتلقى بالإسعاف ما يسأل"<sup>2</sup>.
- ما قاله أبي الحسين ابن سراج: "وأبحثُ له وفقّه الله أن يُخبرَ بكلِّ ذلك عني، لما بلوته من جودة حفظه لما يحمل، وثقته فيما يأتُرُ ونقل، ورأيتُه أهلاً لأداء ذلك كله ونشره، وروايته عني وذكره"<sup>3</sup>.

وغيرها من المدح والذكر الطيب، الذي كان على السنة شيوخه وغيرهم من فقهاء، علماء، أدباء... ممن عاصره، ذكر ابنه محمد أن من الشعر وحده الكثير، جمعه في ديوان اشتمل على نحو خمسة آلاف بيت لأعلام وأدباء ذلك الزمان، منهم: ابن بقي، ابن سارة، ابن وهب، ابن زبناغ...<sup>4</sup> نذكر منه ما قاله الفقيه الأديب الماهر أبو محمد محارب بن محمد بن محارب الوادي أشي (ت 553هـ) في مدحه:

<sup>1</sup>- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 107.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 107.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 107.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 104-105.

غَدَا سَلَسَلِ الْقِيَادَ فِيمَا يُرَاضُ  
 وَأَضْحَى الْقَلْبَ لَا تَصْبِيهِ هِنْدُ  
 وَلَا يَشْجِيهِ طَيِّبَ نَسِيمِ نَجْدِ  
 وَإِنْ غَنَى الْحَمَامَ بَعْضُنَ أَيْكُ  
 وَقَائِلُهُ. انكزع في ثِمَادِ  
 إِلَى كَمْ ذَا تَقُولُ لِكُلِّ خَطَبِ  
 وَتَنْقَبِضُ انْقِبَاضَ الْعِيِّ حَتَّى  
 وَوَجَدَ بَنِي عِيَاضَ بِالْمَعَالِي  
 إِذَا قَصَدُوا أَتَارُوا الْجُودَ بَحْرًا  
 فَقُلْتُ لَهُمْ، وَمَنْ مِنْهُمْ عِيَاذِي  
 إِمَامَ زَانَهُ عِلْمَ وَحِلْمِ  
 يُقَارِضُ مَنْ أَسَاءَ بِحُسْنِ صَبْرِ  
 فَفِي الْأَدَابِ جَدُولَ مَاءِ مُزْنِ  
 وَيُنِيرِمَ مَا يَرُومُ فَلَيْسَ يَخْشَى  
 يَهِيمَ بِكُلِّ مَعْلُوءَةٍ وَفَضْلِ  
 وَمَنْ تَعَلَّقَ حِبَالَ بَنِي عِيَاضِ  
 وَعَمَّ جَمِيعَ لِمَتُّهُ الْبِيَاضِ  
 وَلَا سَلَمَى وَلَا الْحَدَقَ الْمِرَاضِ  
 وَلَا تَسْلِيَةَ بِالزَّهْرِ الرِّيَاضِ  
 فَمَنْ عَضَّ الزَّمَانَ بِهِ عَضَّاضِ  
 وَقَدَ لَاحَتَ لِرَائِدِهَا الْحِيَاضِ  
 مَقَالَةً مِنْ أَلَمٍ بِهَا الْمَخَاضِ  
 أَضَرَ بِكَ الْكُونَ وَالْإِنْقِبَاضِ  
 مَدَى الدُّنْيَا حَدِيثِ مُسْتَفَاضِ  
 وَسَأَلُوا بِالْمَكَارِمِ ثُمَّ فَاضُوا  
 فَقَالَتْ، ذَاكَ سَيِّدِهِمْ عِيَاضِ  
 لَهُ بِالْخُطَّةِ الْعُلْيَا انْتِهَاضِ  
 وَأَمَرَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا قِرَاضِ  
 وَفِي الْأَرَاءِ بَحْرًا لَا يُخَاضِ  
 عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَبْرَمَهُ انْتِقَاضِ  
 كَمَا قَدْ هَامَ بِالْعُلْيَا مُضَاضِ  
 يَدَاهُ فَلَا يُضَامُ لَا يَهَاضُ<sup>1</sup>

وعلى هذا المدح فلا غرو أن نجد العلماء في فترة تحصيله العلمي يبادرون إليه  
 بعلمهم، قبل مبادرته إليهم، ويخرجون إليه، حتى منهم من توجه إلى مدينته خصيصا  
 من أجل ربط الصلة معه، فهذا عبد الحميد بن عبدون الفهري اليابري، من فحول الشعراء

<sup>1</sup> - المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج5، ص 82-83.

المقدمين عند الملوك والرؤساء، والذي لقيه في سبتة، يخبره أنه ما قصد سبتة إلا للقائه، والاجتماع به.<sup>1</sup>

وفي رحلته للأندلس صرح علماءها بنبله وعلو كعبه في العلم والورع، فهذا شيخه ابن حمدين، يقول له: "وحلى يا أبا الفضل، إن كنت تركت بالمغرب مثلك"،<sup>2</sup> وهذا شيخه أبي علي الصدفي، على الرغم من محنته، واختفائه عن الأنظار يقول له: "لولا أن الله يسر خروجي بلطفه لكنت عزمت أن أشعرك بموضع يقع عليه الاختيار من بلاد الأندلس لا يؤبه لكوني فيه، ترحل إليه، وأخرج مختفيا إليه بأصولي، فتجد ما ترغب، لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك"<sup>3</sup>، وقال عنه شيخه عبد الله بن محمد الخشني (ت 526هـ): "ما وصل إلينا أنبل من عياض"<sup>4</sup>، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الاحترام، المكانة الكبيرة، والمنزلة الرفيعة له في نفوس علماء عصره على اختلاف تخصصاتهم، منهم من تعلم العلم على يديه، ومنهم من وصل له علمه، ومنه من أرسل له إجازة.

وعلاقة القاضي عياض بشيوخه لم تكن علاقة أخذ فقط، بل تخللها تبادل المعارف بين الطرفين، فقد ذكر في فهرسة شيوخه العديد من العلماء الذين أخذوا منه كما أخذ منهم، منهم شيخه الفقيه أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الأريولي، القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الطليطلي، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 171.

<sup>2</sup> - المقرئ: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج5، ص 80. محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 106.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 8. المقرئ: نفس المصدر، ج3، ص 9.

<sup>4</sup> - الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق، ص76. محمد: نفس المصدر، ص 106.

<sup>5</sup> - أنظر القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص ص 81، 72-74، 156-157.

ولمكانته العالية بين علماء عصره كان مجلسه حافلا بهم، لا يخلو منهم، على اختلاف مكانتهم من فقهاء البلد، أهل الفتوى...<sup>1</sup> لما كان له من تعظيم عند الأشياخ من أهل العلم.<sup>2</sup>

ولما كان له أيضا من تعظيم للعلماء الذين عاصروهم ممن عرفوا بالعلم، وممن سبقوه، صنف مصنفين لذكر مآثرهم وحفظ مناقبهم، هما مصنف الغنية الذي خصه لشيوخه، ومصنف ترتيب المدارك الذي يعد من أهم المصنفات التي جمعت مناقب فقهاء المذهب المالكي ممن كان قبله أو عاصره.

وكما كان للقاضي عياض شيوخ، كان له طلبة لا يحصون عددا، يأتون من جميع أنحاء البلاد للاستفادة من علمه، وقد ذكر المقري ذلك قائلا: " وكان القاضي أبو الفضل عياض -رحمه الله- حسن الإلقاء للمسائل، كثير التحرير للنقول، وقد انتفع به من العلماء من لا يحصى، كأبي زيد عبد الرحمن بن القصير، وممن أخذ عنه وروى عنه القاضي الشهير أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي رحمه الله"<sup>3</sup>.

وكان القاضي عياض عارف بصناعة التدريس، عذب المنطق، حسن الإيراد، حسن الأخلاق مع تلامذته، عالي الهمة، غير متكبر، باذلا جهدا في بث المعارف ونشرها، محبا ومنصفا لأهل العلم، مسهلا لهم الطرائق، محرضا لهم على طلب العلم، مبادرا لقضاء حوائجهم، صغير النفس معهم غير متكبر عليهم<sup>4</sup>، كل ذلك جعل مجلسه مركزا للواردين، وملجأ للوافدين، من طلبة جاءوا من جميع أنحاء البلاد، جعل تلاميذه من كل جهة ومكان، لا يكاد يخلو منهم بلد.

<sup>1</sup> - انظر القاضي عياض وابنه محمد: المصدر السابق، ص 22.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 4.

<sup>3</sup> - المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص 20.

<sup>4</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 5.

ويبدو أن طلبته كانوا أوفياء لفضله عليهم، فنجده مذكور في مصنفاتهم، مجالسهم، بصفات تؤكد العلاقة الطيبة التي جمعتهم بهم، والتي كانت مبنية على أساس الاحترام، التقدير، والافتخار بشيخهم الجليل، وخير مثال على ذلك ما ذكره تلميذه عبد الرحمن المذكور: "ولما استقر عندنا كان مثل التمرة، كلما ليكت زادت حلاوه، ولفظه عذب في كل ما صرف من الكلام، للنفس إليه تتوق وله طلاوه، وكان براً بلاسنه، جوادا بينانه"<sup>1</sup>، وما وصفه به أحد تلامذته في أبيات وضعها تغزلا به، نصها:

أَيَا مُكْتَبَرًا صَدِيٍّ وَلَمْ آتِ جَنُودَهُ      وَمَا أَنَا عَنْ أَهْلِ الْجَفَاءِ بَرِاضِي  
سَأَشْكُو الَّذِي تَوَلَّيْتَهُ مِنْ سُوءِ عِشْرَةٍ      إِلَى حَكْمِ الدُّنْيَا وَأَعْدَلِ قَاضِي  
وَلَا حُكْمَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَرْتَضِي      قَضَايَاهُ فِي الدُّنْيَا سِوَى ابْنِ عِيَاضٍ<sup>2</sup>

## 2. علاقته بالعامّة من الرعية:

كان القاضي عياض شخصية تبعث على الاحترام سواء من ناحية علمه أو من ناحية خلقه ودينه المتين، أكسبته تقدير واحترام الجمهور في بلده، خاصة بعد ما بدا منه من علم، نجابة، واعتراف العلماء، جعلت أهل بلده يجلسونه للمناظرة عليه في المدونة وهو في سن 32 سنة، ثم للشورى بعد فترة قصيرة من ذلك<sup>3</sup>.

واستقضى أبو الفضل ببلده مدة طويلة، نفع فيها أهله، وحمدت سيرته، وعظم بينهم جاهه، وبعد عندهم صيته<sup>4</sup>، أين سار فيهم أحسن سيرة، فكان عادلا في أحكامه، نزيها في قضائه، مثالا للعدل والاستقامة، مقيما لجميع الحدود على ضرورها واختلاف أنواعها، صلبا لا تأخذه في الله لومة لائم، مرهوبا من الظالمين، رفيقا بالمساكين، كما جسد فيها العديد من

<sup>1</sup>- المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص 12.

<sup>2</sup>- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 110.

<sup>3</sup>- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 10. ابن فرحون: المصدر السابق، ص 48.

<sup>4</sup>- النباهي: المصدر السابق، ص 101، محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 10.



الآثار المحمودة، منها بناء الزيادة الغربية في جامع سبتة الذي كمل بها جماله، وبناء الرابطة المشهورة بجبل الميناء<sup>1</sup>.

فكان لأهل بلده أب في الرتبة، واستخدم تلك المكانة في خدمة الناس والسعي فيما ينفعهم، لا يستسهل التكليف والتحمل عليهم، متواضعا معهم، منصفا من نفسه، لينا من غير ضعف<sup>2</sup>، فجعل الناس يقبلون عليه، يأخذون عنه، يسمعون منه، ويجلون قدره، حتى أنه عندما صرف أمور بلده إليه، وتولى القضاء فيه مرة ثانية، ابتهج أهل بلده<sup>3</sup>.

وكان أبو الفضل جوادا كثير الصدقة من أكرم أهل زمانه<sup>4</sup>، جعل منزله ملجأ للوافدين، يلجأ الناس إليه، من وجهاء وعامة الرعية، يعولون عليه لقضاء حوائجهم، ويقصده الناس من كافة أنحاء البلاد، يسمعون منه ويسألون، لدرجة أنه لم يكن يتمكن من مفارقة منزله، حذرا أن ينتقد، ومراعاة لحق من يقصد وينزل<sup>5</sup>.

إضافة إلى ما كان يقوم به من توجيه الرعية، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال مجالس الذكر والخطب في المساجد، التي كانت أهلة معمورة بجمهور الناس على مختلف مناصبهم ورتبهم، لسماع مواعظه وخطبه، تلك الخطب التي كانت للقاضي عياض أفضل وسيلة لمخاطبة مختلف طبقات الرعية وفئاتها، وتبليغ الدين لهم، ونشر الإصلاح بينهم. أين لاحظنا من خلالها أن القاضي عياض كان يعتمد في خطبه عموما لتوجيه الناس، وتبصيرهم لدينه، مع توضيح الطريق لشؤون دنياهم، وقد وجدنا أن أبرز ما كان يدعو إليه القاضي عياض العامة في خطبه هو:

1- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 10.

2- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 5.

3- نفس المصدر، ص 11-12.

4- نفس المصدر، ص 5.

5- نفس المصدر، ص 90.

- ذكر الله وتلاوة كتابه، مع الدعوة إلى التدبر في آيات القرآن الكريم، والعظة والاعتبار بعقوبات الأمم السابقة<sup>1</sup>.
- شكر نعم الله، والحذر من نقمه.
- تهذيب سرائرهم بالإخلاص وتقوى الله.
- اتباع سنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهدى أصحابه، والتأدب بأدابهم<sup>2</sup>.
- الدعوة إلى اتباع جوهر الأمور وحقيقتها، وترك اتباع الكذب والأباطيل<sup>3</sup>.
- الإكثار من الأعمال الصالحة، والإقبال على الناصحين والمصلحين والاحتذاء بهم<sup>4</sup>.

ويجب هنا أن نذكر أن الإمامة في مساجد المغرب في الفترة الوسيطية، كان لا يتولاها إلا من أجمع أهل تلك البلاد على تقدمه في العلم، وفضيلته في الخير والصلاح<sup>5</sup>، وهذا إن دل على شيء فهو المكانة التي كانت للقاضي عياض عند أهل بلده.

ولم يكن تولي القاضي عياض للقضاء مقتصرًا على مدينته فقط، فقد عين في مدينة غرناطة قاضيا، وهي الفرصة التي سمحت لأهل مدينة غرناطة بلقائه واستقباله استقبالا مهيبا، لم يكن مثله لأمير، أين خرج الناس للقاءه، من أعيان البلد وساد العامة ما لا يحصى كثرة<sup>6</sup>، وتقلد خطة قضائها فترة من الزمن، كان فيها مشكور عند جميع الناس، لشيمه السنية وأخلاقه المرضية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>- انظر محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 84-85. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج 4، ص 174-172.

<sup>2</sup>- انظر محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 85. المقري: المصدر السابق، ج 4، ص 174.

<sup>3</sup>- انظر محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 86.

<sup>4</sup>- انظر المقري: نفس المصدر، ص 172.

<sup>5</sup>- عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، المرجع السابق، ص 458.

<sup>6</sup>- المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 11.

<sup>7</sup>- محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 11.

ولم يكن سكان سبتة وقرطبة فقط المحظوظين بمعاشرة القاضي عياض، فقد عاش بمالقة مدة، وتموّل بها أملاك<sup>1</sup>، كما زار العديد من المدن المغربية والأندلسية، كان له فيها علاقات طيبة مع أهلها، منها مدينة قرطبة التي خص أهلها بشعر مؤثر بعد ارتحاله منها، وفراق أهلها، نصه:

أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ ارْتِحَالِي لَطِيئِي	وَرُفَّتْ عَلَيَّ وَشَكِّ الْفِرَاقِ رِكَائِي
وَقَدْ غَمَصْتُ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ مُقْلَتِي	وَصَارَتْ هَوَاءَ مِنْ فُؤَادِي تَرَائِي
وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا وَقْفَهُ يَسْتَحْثُّهَا	وَدَاعِي لِلْأَحْبَابِ لَا لِلْحَبَائِبِ
رَعَى اللَّهُ جِيرَانًا بِقُرْطُبَةَ الْعُلَى	وَسَقَى رَبَّاهَا بِالْعَهَادِ الصَّوَائِبِ
وَحَيَى زَمَانَ بَيْنَهُمْ قَدْ أَلْفَفْتَهُ	طَلِيقِ الْمَحْيَى ، مُسْتَلَانَ الْجَوَائِبِ
أِخْوَانَنَا بِاللَّهِ فِيهَا تَدَكَّـرُوا	وَمَعَاهِدِ جَارٍ ، أَوْ مَوَدَّةِ صَاحِبِ
غَدَوْتُ بِهِمْ مِنْ بَرِّهِمْ وَاحْتِقَاءِهِمْ	كَأَنِّي فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي <sup>2</sup>

ومن أجمل ما عرف عن القاضي عياض في علاقته مع العامة، علاقته مع خصومه، أين نجد ابنه يذكر اعتراف أحد خصومه بفضله، نبهه، صبره عليهم، قضاء حوائجهم، وتجاوزه عن السيئة والأذى بالحسنى<sup>3</sup>، حتى أنه لا يتردد في الوقوف معهم وقت الشدة، ووقت انصراف الناس عنهم<sup>4</sup>، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على تقواه وورعه، ويفسر جانباً من القبول العام الذي حظي به القاضي عياض لدى الناس<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - المقري: أزهار الرياض، نفس المصدر، ج3، ص 17.

<sup>2</sup> - المقري: المصدر السابق، ج4، ص 241-242. ابن خاقان: المصدر السابق، ص 689.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 111.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 112.

<sup>5</sup> - حسين الشواط: المرجع السابق، ص 59. (بتصرف)

وعلى العموم فإن القاضي عياض كان له مكانة خاصة لدى العامة والخاصة، داخل سبته وخارجها، لا يشوبها أي شك أو غموض، مكانة اجتماعية شق طريقه إليها بعلمه، عمله، فضله، واحترامه لنفسه وغيره، فكان لهم الأب، المرشد، القاضي، المعلم... كلها مناصب كانت لخدمة الناس، وإرشادهم فيما ينفعهم لدينهم ودنياهم.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن القاضي عياض كانت تربطه روابط مختلفة مع الرعية ذكرت المصادر منها: الأسرية، العملية، العلمية... نستطيع توضيحها من خلال هذا الجدول:

الجدول رقم (3): تصنيف علاقات القاضي عياض بالرعية

المجال الجغرافي	العمل	التعليم	الإصدقاء	الأسرة
سبتة	الرعية في سبتة	شيوخه	قضاة	ولده
مالقة عاش فيها فترة	الرعية في غرناطة	طلابه	علماء	أخيه
غرناطة عمل بها قاضي	الرعية في تادلا	ولده	أدباء	ابن أخيه
تادلا نفي إليها وعمل بها قاض		أصحابه	فقهاء	
قرطبة - مرسية - فاس - مراكش - مدن من شرق الأندلس - مدن من غرب الأندلس (مدن زارها)		الرعية ممن حضر دروسه وقرأ مؤلفاته	وغيرهم	
باقي المدن (ذياع صيته)		الرعية ممن لم يحضر الدروس ولكن وصل له علمه (سماع- مؤلفات)		

المصدر: من إنجاز الباحثة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - تم إنجازه بالاعتماد على مصدر محمد ابن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض.

### ثالثاً: إسهامات القاضي عياض في المجتمع

بحكم مكانته العملية والعلمية وسط المجتمع، كانت له عدة إسهامات تمثلت في:

#### 1. حماية حقوق الرعية

مكانة القاضي عياض العملية في المجتمع هي مكانة "تقرر وجود الفرد وتؤكد، وتحرره من سلطان عشيرته وقبيلته، تعرف له حقوقه، وتسوي بين الأفراد على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، تحميهم من ظلم بعضهم لبعض، وتحارب الطغيان والاستبداد، توازن بين الفرد والمجتمع موازنة عادلة"<sup>1</sup>، فنجده عندما تولى منصب القضاء، نفذ أحكام الله وأقام العدل بين الرعية، جعلت منه مضرب المثل في النزاهة، القسط، العدل، ونموذجاً عالياً لمن ينشد العدل والحق<sup>2</sup>، أين كان عادلاً في أحكامه، نزيهاً في قضاؤه، مثالاً للعدل والاستقامة، صلباً لا تأخذه في الله لومة لأثم<sup>3</sup>، فنجده سوي بين المسلمين في حديثه ومجلسه، وعدل بينهم في الغرم والغنم، وأنصفهم من كل شيء، ولم يستجب لمحاباة أو محسوبية، فلا سيد ولا مسود، ولا شريف ولا مشروف<sup>4</sup>.

والبعد الاجتماعي في شخصية القاضي عياض تمثل في اتجاهين، اتجاه نظري يتشكل من القيم التي كان يتمتع بها، وآخر تطبيقي يبلور محتوى الأول في جملة سلوكيات، تتبلور عبر أفعاله، مواقفه، وقراراته المتبلورة من شرعة الحق والعدل الذي كان يحكم به<sup>5</sup>، هذا الأخير كان له فيه الدور الأبرز في حماية حقوق الرعية، مع الإصلاح والتغيير، وسنحاول من خلال النوازل التي جمعها ابنه محمد أن نتطرق إلى أهم قضايا الرعية على اختلاف فئاتها، والتي نزلت على قضاء القاضي عياض، ونعرف من خلالها ولو بطريقة غير مباشرة رأي القاضي

<sup>1</sup> - إبراهيم مذكور: حقوق الإنسان في الإسلام، ط1، القاهرة، دار طلاس، 1992م، ص 32.

<sup>2</sup> - محمد الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1995م، ص 53.

<sup>3</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 10.

<sup>4</sup> - إبراهيم مذكور: نفس المرجع، ص 28. (بتصرف)

<sup>5</sup> - حسن الوراكلي: أبو عمران الفاسي منظومة علم وأخلاق، ندوة أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي، ط1، الرباط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان للنشر والتوزيع، 2010م، ص 96. (بتصرف)

عياض في أهم القضايا التي عرفها مجتمعه، وطريقته في رد الحقوق، من خلال الأحكام التي أصدرها أو طلب المشورة فيها من قبل قضاة عاصرهم وراسلهم، وقد ارتأينا أن نقسمها إلى:

#### أ. حقوق المرأة:

إن تخصيص حيز من نوازل القاضي لعياض لقضايا المرأة دليل على أهمية المرأة وحقوقها في القضاء الإسلامي بصفة عامة، ومجلس قضاء أبي الفضل بصفة خاصة، أين نجد العديد من القضايا التي وجدت في مصنف الأحكام، نزلت على مجلس القضاء عنده، جعلتنا نعرف دور القاضي عياض في رد حقوق المرأة المغربية والأندلسية، خاصة بعدما وجدنا العديد من الأسئلة التي أرسلها إلى القضاة للاستفسار عن أحكام قضايا تخص المرأة، والتي أكدت حرصه على حماية حقوقها، سواء كانت أم، زوجة، بنت ... على اختلاف القضايا من ميراث، طلاق، خلع، زواج...

أين شرع لها حقها الذي أعطاه لها الشرع في الميراث<sup>1</sup>، الخلع<sup>2</sup>، الوصاية<sup>3</sup>، النفقة<sup>4</sup>، النكاح<sup>5</sup>، العدة...<sup>6</sup> وغيرها من القضايا التي وجدناها في نوازل القاضي عياض، ولقد لفت انتباهنا قضية، شعرنا بأن القاضي عياض وصل فيها إلى درجة كبيرة من الحرص على رد حقوق المرأة، واتباع الشرع في ذلك، كان نصها: " الجواب رضي الله عنك في رجل تصدق على ابنته الصغيرة في حجره وولاية نظره بعقار وعقد لها بذلك عقدا وحدد فيه العقار المذكور واحتازه لها كما يجب وأمسك العقد عند نفسه ولم يشعر به أحد، ثم أنه باع بعض العقار من ابن له ونسبه إلى نفسه وكبرت الابنة وتزوجت والأب حي، ثم مات الأب المذكور فوجد زوج الابنة المذكورة العقد المذكور في تركة

1- انظر القاضي عياض وابنه: المصدر السابق، ص ص 62-65، 131-134.

2- انظر نفس المصدر، ص 135-306.

3- انظر نفس المصدر، ص 140.

4- انظر نفس المصدر، ص 234.

5- انظر نفس المصدر، ص 272.

6- انظر نفس المصدر، ص 278.

والدها المذكور، فقام به وأثبتته عند حاكم البلد وأراد أخذ العقار المذكور ما بيع منه وما لم يبع، فقال أخوها: هذه الصدقة لم تحزها في حياة أبيها، وقالت المتصدق عليها: إن أبي لم يطلعني عليها وجحدني إياها، فهل ترى وفقك الله الصدقة جائزة لكتمان الوالد إياها وجحوده لها، أم لا، أفنتا بالواجب في ذلك موفقا معنا إن شاء الله تعالى.

**الجواب:** إذا ثبتت الصدقة والحيازة كما ذكرت وعلم عدم معرفة الابنة بذلك فلها القيام بصدقتها وتحلف على جهلها بها وأنها ما عملت بها إلا الآن حين قيامها ويصح لها ذلك، وأما البيع فمأضٍ وتطلب تركته بالثمن، قاله: ابن عياض.

**جواب ثان على هذا السؤال:** الصدقة على الابنة نافذة وملكها عليها باق والبيع الذي ذكرت مردود والله أعلم. قاله: ابن الأعم.

قال محمد: لم أنقل هذين الجوابين من خطّ أبي -رحمه الله- وما قاله أبي رضي الله عنه من إمضاء البيع ورجوع الابنة في تركة أبيها بالثمن هو الصحيح الذي يقتضيه النظر المنصوص عليه في الأمهات<sup>1</sup>، وهي قضية من القضايا التي تثبت لنا حرصه على حماية حقوق المرأة، أين لاحظنا حرصه على رد حقها الذي أجاز له والدها وهي صغيرة حتى دون علمها، وإن تم بيع الحق أو نصفه يعاد لها مال البيع أو الورث، ويوجد من القضايا التي تخص المرأة في نوازل القاضي عياض الكثير، نجده تعامل معها بكل حرص، دقة، وعناية على تطبيق الشرع وتحقيق العدل.

#### ب. الوقف:

إنّ الوقف بمفهومه في الدعوة الإسلامية له دور كبير داخل المجتمع الإسلامي، لما له الدور في صيانة المؤسسات الدينية والإنسانية كالمساجد، المدارس، المستشفيات، مساعدة الأرمال، اليتامى، الفقراء، المحتاجين، رعاية العلم وطلابه ... وغيرها، أين

<sup>1</sup> - القاضي عياض وابنه: المصدر السابق، ص 210.



ساهمت تلك الأوقاف في تأليف القلوب، إبراز التكافل والتضامن الاجتماعي داخل المجتمع، وتوحيد الصفوف بخطى ثابتة وموقفة على طريق الخير<sup>1</sup>.

وعرف قضاء القاضي عياض قضايا عديدة في مجال الأحباس منها المعقب التي حبسها أصحابها إلى أشخاص معينين، التي عمل فيها على حماية حقوق المعنيين بالأحباس، وورثتهم حسب الدين والشرع، ذكورا كانوا أم إناثا، صغارا أم كبارا، فقراء أم أغنياء... محاولا التقسيم بينهم بكل عدل، مستفسرا في ذلك قضاة عصره، موضحا للقضاة القضية من كل جوانبها، يتحرى ذلك بالسؤال والاستفسار، وكمثال نعرض القضية التي نصها:

"جواب الفقيه الأجل أدام الله تأييده في عقد تضمن تحبيس فلان على ابنيه فلان وفلان بجميع أرضه بالسوية بينهما والاعتدال حبسهما عليهما وعلى أعقابهما حبسا مؤبدا وثم عقد الحبس على واجبه وحوزه، ومات الأب والابنان بعده وترك عقبا كثيرا وعقب أحدهما أكثر من عقب الآخر، وفي بعضهم حاجة، فكيف ترى قسمة هذا الحبس بين هؤلاء الأعقاب، هل على الحاجة أم السوية، أم يبقى في يد كل عقب ما كان في يد أبيه

الجواب: تصفحت أدام الله توفيقك ونهج إلى كل صالحة طريقك سؤالك هذا وقفت عليه والواجب في هذا الحبس إذا كان الأمر فيه على ما وصفت أن ينقسم على أعقاب الولدين جميعا على عددهم، وإن كان عقب الولد الواحد أكثر من عقب الوالد الآخر بالسواء إن استوت حاجتهم، وإن اختلف فضل ذو الحاجة منهم على من سواه، بما يؤدي إلى الاجتهاد على قدر قلة عياله أو كثرتهم ولا يبقى بيد كل واحد منهما كما كان بيد أبيه قبله وبالله التوفيق، قاله: محمد ابن رشد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن أحمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ط1، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001م، ص 11.

<sup>2</sup> القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 197-198.

كما نجد له في نازلة أخرى<sup>1</sup>، ذكرها ابنه محمد، وبين أن القاضي عياض حمى حقوق بعض أفراد الأحماس من ضرر قد يصيبهم في بيع بعض شركائهم، قائلا: "وقد حكم أبي - رضي الله - عنه بهذا وقضى به فيما يستغل وكان قضاؤه بذلك وقد تبين له من طالب البيع الضرر بأشراكه وإخراج ملكهم عنهم، وقد تكلم رحمة الله عليه على هذه المسألة وفصولها واستوعب الكلام في معانيها ورجح أقاويل الناس فيها في تنبيهاته على المدونة"<sup>2</sup>.

### ت. حقوق المساكين:

جعل الإسلام للسائل والمحروم حقا معلوما من أموال المسلمين وخصص منها نصيبا للعجزة والضعفاء، فأوجب الزكاة في الأموال، وحبب التبرع والإحسان في سبيل المصلحة العامة، دون أن يضع له حد أو قيد، وجعل المحتاجون أمام بيت المال سواء، ينالون منه على حسب حاجتهم دون تفرقة أو مفاضلة، وإن كانت فعلى أساس منزلتهم في الدين ورعايتهم لحقوق الله، فهي مظهر من مظاهر الأخوة الصادقة والتعاون الحق، تقوم على العدل، الإنصاف واحترام الحقوق<sup>3</sup>.

وكان للقاضي عياض دور فعال في حماية حقوق هذه الفئة المعدومة، فقد وجدنا العديد من القضايا تتحدث عن المحتاجين في نوازلهم، أكدت لنا التكافل الاجتماعي الذي كان يعرفه المجتمع المغربي في العصور الوسطى، وأن حق السائل معلوم دائما، وهي قضايا تمثلت كلها في قضايا: الميراث الذي يكون جزءا منه مخصصا للمساكين<sup>4</sup>، التكفل بحق الفقراء والمساكين في نصيبهم من وصايا الميراث أو الإيداع<sup>5</sup>، بالإضافة

<sup>1</sup> - انظر القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 199-201.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 201.

<sup>3</sup> - إبراهيم مذكور: مرجع سابق، ص 31.

<sup>4</sup> - انظر القاضي عياض ومحمد: نفس المصدر، ص 131، 187، 208 وغيرها

<sup>5</sup> - أنظر نفس المصدر، ص 186 - 187، 208.

إلى الأحباس المخصصة لهم<sup>1</sup>، ونجد القاضي عياض في العديد من قضاياها يحاول حماية حقوق هذه الفئة، وكمثال على ذلك نأخذ قضية ذكرت في نوازل القاضي عياض حول من أخرج صدقة لمعين هل يصرفها لغيره، نصها: "الجواب رضي الله عنك في رجل أخرج مالا لصدقة فعزل منه شيئاً سماه بلسانه ميّزه بعقله لمسكين بعينه ثم بعد ذلك بدا له فصرفه لمسكين آخر، هل يباح له ذلك أم لا يباح له لتمييزه إيّاه للمسكين بقول وفعل، وفي مسألتنا قد أعطاهما بالقول ووجب طلبها للمسكين وميزت له عنده فلا يجوز له صرفها إلى غيره وخل صار قوله هذا لفلان وقد أخرج المال مخرج الصدقة كقوله تصدقت بهذا على فلان، وهل يستوي في هذا ما أخرج أم بين الوجهين فرق، كما ظهر لي بين المسألتين الأوليين فرق للعلة التي أشرت إليها من معين الصدقة والعطية وهي مخصوصة بما يملك"<sup>2</sup>، والملاحظ هنا من خلال استفسار القاضي عياض، حرصه على الحفاظ على حقوق المساكين في الصدقة حتى بين أحدهم على الآخر، مع تطبيق الشرع تطبيقاً صحيحاً.

### ث. حقوق الأيتام:

إن حماية حقوق اليتامى في الدين الإسلامي واجبة على كل مسلم بشكل عام، والقاضي بشكل خاص، وقد عرف عن القاضي عياض لما يمليه عليه منصبه من قضايا تتداخل فيها حقوق اليتامى، يقتضي عليه الواجب كقاض، عالم، وفقه التعامل معها، خاصة لما عرف عنه من فضل، عدل، وكفالة لحقوق الأرامل واليتامى، وهو ما تبين لنا جلياً من خلال القضايا العديدة في نوازله شملت في مجملها: ميراث اليتامى، الوصاية على اليتيم، كفالة مال اليتيم، حماية حقوق اليتامى من خلال الأوقاف المخصصة لهم...<sup>3</sup>، وخير ما نؤكد به دور القاضي عياض قول ابنه محمد: "رأيت

<sup>1</sup> - انظر القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 193-197.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 208.

<sup>3</sup> - أنظر نفس المصدر، ص ص 140-141، 149-151.

بخط أبي -رضي الله عنه- أن القاضي بن محسود سئل عن قوم أرادوا بنيان حصن لهم وهو حيلة لجميعهم هل يلزم مغرمة للأرملة واليتيم فقال: نعم ويعظم الله أجر متولي ذلك"<sup>1</sup>.

إضافة إلى نازلة وجدنا فيها القاضي عياض يحمي حقوق الأرملة كامرأة وأم لیتيم في آن واحد، مع وضع أولوية لكفالة حقوق الیتيم النفسية والمادية معاً، بشكل جعلنا نتأكد على الحرص الشديد الذي كان يعطيه لهذه الفئة من المجتمع، نصها "جوابك -أعزك الله- في امرأة قدمها القاضي على وصاء ابن لها یتيم ابن ستة أعوام أو نحوها شرط عليها في التقديم مشاورة ابن عم الصبي في بيع الأصول خاصّة، فأرادت المرأة الزواج فادّعى أن هذا سبب إتلاف مال الصبي، وذهب إلى عزلها بمجرد الزواج وجعل يتشكى من ذلك والمرأة صالحة الحال وافرة المال ظاهرة السداد حسنة النظر لابنها، بيّن لنا هل يجب عزلها بمجرد الزواج وكيف إن ثبت أن المشرف مطالب لها معاند لقولها من قبل الزواج، بيّنه مأجوراً.

**الجواب:** تصفحت سؤالك: وإذا علم أن حال المرأة على ما وصفت من صلاح الحال وسددها وحسن نظرها في مالها أقربها على حالها بعد أن يحصى أمر المال عندها بالإشهاد عليه، وإن جهل حالها أشرك معها في النظر من يكون المال عنده ولم يترك عندها لأن المرأة إذا تزوجت غلبت على حال أمرها كما قال مالك -رحمه الله- ولا تعزل بالزواج عن الإيضاء، إلا أن يثبت عليها ما يوجب ذلك، قاله محمد ابن رشد"<sup>2</sup>.

### ج. المعاملات التجارية:

استعرض لنا عبد الله العديد من قضايا تخص المعاملات التجارية التي نزلت على قضاء القاضي عياض، والتي شملت فروع المعاملات من بيع، شراء، شراكة، الصرف،

<sup>1</sup> - القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 207.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 140-141.

الرهن، الإفلاس، السمسار، الأكرية...<sup>1</sup>، قضى فيها بما يقتضيه الشرع الإسلامي، دون مزيدة أو نقصان، تعامل فيها مع المشتري، البائع، الدائن، المدين، الوسيط، السمسار، المفلس... وحاول فيها حماية حقوق كل الأطراف بما يقتضيه الشرع، وسنحاول أن نبين أهم القضايا التجارية التي وقف عليها في نوازل الأحكام في هذا الجدول:

جدول رقم (4): أهم القضايا التجارية في نوازل أبو الفضل

موضوع القضية	محتوى القضية	الصفحة
التاجر والمبضع	حماية حقوق تجار سلموا أموالهم لمبضع يقوم بتبضيع السلع لهم، توفي في إحدى مناطق التبضيع.	نوازل الأحكام ص 153-154 نوازل ابن رشد ص 1469-1470 المعيار ج 9 ص 103-104 ج 8 ص 189-190
الإفلاس	قضايا بين المفلس والغرماء من الدائنين، وفيها حماية حقوق الدائنين ومواجهة تهرب المدينين بالحيل.	نوازل الأحكام ص 159-161 نوازل ابن رشد ص 1156-1158 ص 1165-1167 المعيار ج 6 ص 490-492 المعيار ج 10 ص 458-459
البيع والشراء	وكلاء البيع وضمن السلع	نوازل الأحكام ص 162 ابن رشد ص 1233-1234 المعيار ج 8 ص 318
الصرف	كسر الدينار (تحريم بيع الدينار)	نوازل الأحكام ص 267

المصدر: من إنجاز الباحثة

ح. أهل الريف:

إن جل قضايا أهل القرى التي وجدت في نوازل القاضي عياض شملت خصومات أصحاب الأراضي في: المياه، الزروع، الأسقية، المزارعة، حق الطريق<sup>2</sup>، نذكر منها قضية عن المزارعين يبذر أحدهما، نصها: "جوابك رضي الله عنك وسدّدك في رجل

<sup>1</sup> - انظر القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 153 - 154، 159 - 170، 261، 266، 242، 247، 259.

<sup>2</sup> - انظر نفس المصدر، ص 90، 100-124، 171-177، 241.

دفع لرجل ثورا يحرث به في بلده على وجه الشركة، فضم له الرجل ثورا آخر، وجميع آلات الحرث، وزرع جميع الزريعة ويده مع يد صاحب الثور، فلما فرغا من الحرث قال الزارع لشريكه: ردّ عليّ نصف ما زرعت من بذر، فامتنع ولم يعطه شيئاً، بيّن لنا وفقك الله الجائر في هذه الشركة.

الجواب: الزرع كله لصاحب الزريعة، وعليه لصاحب الثور والعمل معه أجرته، قاله ابن عياض<sup>1</sup>.

### خ. أهل الذمة:

عاش أهل الذمة في الغرب الإسلامي مع المسلمين جنباً إلى جنب، وكان على أهل الذمة في الدولة واجبات وحقوق، فمن الواجبات ما كان عليهم: دفع الجزية، احترام القرآن والرسول وعدم القدح في الإسلام، ألا يعينوا أهل حرب، ألا يحولوا مسلماً عن دينه، عدم المجاهرة بشرب خمر أو اظهار صلبان... أما الحقوق فتمثلت في: الكف عنهم، حمايتهم، الأمان على نفوسهم، أموالهم<sup>2</sup>...، وبمقتضى المنصب الذي كان يزاوله القاضي عياض، كان لا بد له من الاحتكاك معهم لحماية حقوقهم، وردع تعديّاتهم على المسلمين، وقد وقفنا على قضايا لهم طرحت عليه، منها سؤالاً حول كنيسة بني فيها مسجد هل تبقى أحباسها للمسجد أم تكون لبيت المال<sup>3</sup>، فكان جوابه: "والذي أراه في هذه القضية أن أمر نصارى الأندلس مشكل هل هم صلحيون وصلحهم على ما بأيديهم فيجري أمرهم على ما بأيديهم مجرى الصلحيين أم هم عنوة وأرضهم عنوة

<sup>1</sup> - القاضي عياض وابنه: المصدر السابق، ص 142، انظر الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1981م، ج 8، ص 164-165.

<sup>2</sup> - علي حسن الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1969م، ص 66-67.

<sup>3</sup> - انظر نص السؤال القاضي عياض ومحمد: نفس المصدر، ص 203-204، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج 2، ص 72-73.

فيجرون مجرى أهل العنوة أم ما بأيديهم مكتسب لهم وأصل جماجمهم على الصلح والعنوة فتكون أحكامهم في ذلك غير الحكمين إذا لم يحقق من أمرهم ما تبنى عليه الفتيا، غير أن الفقهاء أصحاب التاريخ والخبر، يذكرون أن الأندلس منها عنوة ومنها صلح وأكثر أموال المعاهدين إنما هي فيما ذكر أنه كان عنوة، لكني أقول: هؤلاء النصارى لكما أشكل الأمر فيهم وفيما وجدنا بأيديهم من الأملاك وجب كون ما بأيديهم وفي أملاكهم لهم بحكم وضع اليد وصحة الحوز الذي لم يجئ ما يزيله ولا قامت حجة تبطله، وخرجت الكنائس والأحباس عن هذا الباب لا سيما بإخراجهم عنها ومنعهم من التصرف والمنفعة التي كانت لهم فيها، إذ ليس وضع أيديهم عليها وضع ملك إلا ما عرف محبسه وتعين فله أو لورثته الرجوع فيه، إذ ليست أحباسهم لازمة إذ لم يرد بها وجه الله ولا حبست له بل للجبب والطاغوت فترجع على ملك محبستها إن طلبها وسائر ما لا يعرف مالكة حكمه حكم مال من انجلى منهم عن ماله ووقف ذلك لبيت مال المسلمين، والإمام ينظر فيه، وكذلك حكم الدير إن كان محبسا لا مالك له وإذا كانت أموالهم وقراهم قد اشتراها منهم المسلمون وسكنوها هم ومن أسلم منهم وعمرت لزمتهم الجماعات للصلوات، فعلى الامام إقامة مسجد لهم أو جامع إن كانوا بحيث تلزمهم الجمعة وأخذهم بإظهار شعائر الإسلام من الأذان والتجميع وإقامة الجمعة، وأولى ما وضع لهم المسجد أو الجامع، ففي هذه البيع والديارات لقرب بنائها من بناء المساجد وكونها غير مملكة وإرغام أنف الشياطين بتبديل كلمة الكفر بها وشعار الضلال بكلمة الإيمان وشعار الإسلام، ثم للإمام أن يترك الأحباس لهذه المساجد أو يضمها إلى بيت المال ويقيم المسجد ما يحتاج إليه من غير ذلك، هذا الذي يظهر لي، ولا يتوجه عندي سواه وبالله التوفيق"<sup>1</sup>، وهي إجابة أكدت أن القاضي عياض حافظ على حقوق أهل الذمة بما يقتضيه الشرع، فقد أبدى أحقية أهل الذمة أصحاب الأحباس الحقيقيين إن

<sup>1</sup> - القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 204-205، انظر الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 74-75.

وجدوا، وحتى أنه أعطى لورثتهم حق ميراثهم، بالإضافة إلى ذلك نجده يدعو إلى تعليم أهل الذمة الداخلين في الإسلام الدين الصحيح، مع لزوم بناء مسجد لهم، ويبدو أن أبا الفضل كان حريصاً على تطبيق الشرع بين الرعية دون تفريق بين مسلم وذمي.

#### د. القذف والشتم:

... سؤل القاضي عياض حول اتهام شخص لشخص بالخداع والسرقة وأكل مال اليتيم دون دليل يذكر<sup>1</sup>، فكان جوابه: " لا إشكال إن ما قام به ممّا تأخر عن تاريخ شهادة الشاهد حق مستقل له طلبه، وشهادة الشاهد الذي نصت غير بيّنة إذ لم يبيّن فيما أسعفه، هل في ترك القيام ولدد الخصام والتتّس من مخنقه وتركه اليوم إلى غد أو في إسقاط حقّه، وإذا لم يستبن هذا للشاهد من قوله فغاية أمره أن يحلف على ما نواه في قوله هذا الشاهد لا أنه أسقط حقّه بالكلية، ثم يبقى على حقّه، وشهادة الشاهد في هذا كلّه ممّا لا يحلف معها صاحب الحق عند من يرى الشاهد واليمين، وإنما يحلف معها إذا صحت للمطلوب، إذ لا يجب عليه يمين بمجرد الدعوى، فإذا قام بها شاهد وقويت حجة الطالب وأحلف المطلوب فإن نكّل سجن حتى يحلف، وقد قيل نكل حدّ إن كان قذفاً وأدب إن كان شتمًا، كما يطلق عليه ويعتق عليه في أحد القولين، وإذا انعكست المسألة في مثل سؤالك قيل للطالب احلف وتبقى على حقك، فإن أبى قيل له: لا قيام لك حتى تحلف، وإلا بطل حقك. قاله ابن عياض"<sup>2</sup>، وقال محمد فيما يخص قضية القذف: " رأيت بخط الشيخ أبي -رضي الله عنه- قال الداودي: فيمن ادّعى على رجل أنه شتمه فإن كان يعرف بينه وبينه مشادّة حلف له وإلا سجن حتى يحلف ويقر، وإن لم يكن بينه وبينه ذلك فلا شيء عليه إلا أن يقيم بيّنة"<sup>3</sup>، ومن خلال ما تحدثت أكدت رأي القاضي عياض الصارم في القذف والشتم بين الناس دون دليل.

<sup>1</sup> - انظر: القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 77-78. الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 515-517.

<sup>2</sup> - القاضي عياض ومحمد: نفس المصدر، ص 79، الونشريسي: نفس المصدر، ص 517.

<sup>3</sup> - القاضي عياض ومحمد: نفس المصدر، ص80. الونشريسي: نفس المصدر، ص 517.



### ذ. حماية الملكية العامة:

مر على القاضي عياض العديد من القضايا التي تخص الملكيات العامة، وطرق استغلالها والاستفادة منها، وهي قضايا حاول فيها حماية الملكية العامة من التعدي، الاحتكار الفردي، والاحتيايل في تملكها، أين وجد في نوازله العديد من الأسئلة يستقر فيها القضاة عن أحكام استغلال الملكيات العامة، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على حرص القاضي عياض على حماية حقوق الرعية، الخاصة منها والعامة.

وذكرت هذه الأسئلة في نوازل القاضي عياض، نوازل ابن الرشد، والونشريسي<sup>1</sup>، نذكر منها نازلة حول حيازة طريق عام دون حق، نصها: " جوابك أدام الله عزك في رجل أدخل في طريقا من طرق المسلمين في جنته وحازها وغرسها وقطع المرور فيها واغتلها مدة ثم بعد ذلك قامت فيها البينة وحيزت ولزم إخراجها للمسلمين. ماذا يلزم في ذلك وما ترى فيما اغتل مما غرسه فيها وفي شهادته، وأين من قطع الطريق بالكلية ممن أخذ بعضها، وفي علمك ما ورد في هذا أفنتا بما عندك، وعن ترك الشهود القيام به إلى الآن ما رأيك في ذلك واختيارك من الأقوال لا سيما إن كان فاعل ذلك ممن يخاف أو الشهود ممن لا يعلم أن القيام يلزمهم جاوبني عليه مأجورا إن شاء الله"<sup>2</sup>، ومن السؤال الذي طرحه في هذه القضية لابن الرشد، نحدد حرص القاضي عياض على حماية الملكية العامة في ثلاث نقاط:

- حماية الملكية العامة والتصدي لاحتكارها من قبل فرد على حساب عامة المسلمين.

- ما هو الحكم القضائي الذي ينفذ في فرد استغل حق عاما للمسلمين.

- التأكيد على عقوبة الشهود بعد الصمت على التعدي على الملكيات العامة.

<sup>1</sup>- انظر القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص ص 171-177، 206-207، ابن رشد: المصدر السابق، ص ص 1215-1217، 1471، 1337-1339، الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص ص 16-18.

<sup>2</sup>- القاضي عياض ومحمد: نفس المصدر، ص 173، ابن الرشد: نفس المصدر، ص 1338.

وهذه هي أهم قضايا المجتمع التي وقف عليها القاضي عياض في منصبه، وتعامل معها بما يمليه عليه الشرع والدين، يقضي ويتحرى آراء من سبقه ومن عاصره، محاولاً الحفاظ على حقوق الفرد والعامّة من الرعية، مع الشدّة في تحقيق العدل، متعاملاً في ذلك مع كل فئات المجتمع، الصغير والكبير، المرأة والرجل، الغني والفقير، المتعلم والجاهل. أصحاب المدن والأرياف.

## 2. الإسهام في التطور العلمي:

أحدث فكر القاضي عياض حركة علمية نشطة لم تقتصر على مدينته سبتة فقط بل تعدت لتشمل المغرب الإسلامي ككل، وذلك للنشاط العلمي الذي رافق اجتهاداته في حياته، من خلال الدروس التي كان يلقيها، إضافة إلى مؤلفات عديدة كان لها الأثر الكبير في إثراء عقول الرعية وتطلعاتهم، وتعزيز العلوم التي برع فيها<sup>1</sup>.

فمن الجانب التعليمي نجده بذل جهداً في بث المعارف ونشرها، أين ازدحم على دروسه العلماء وطلبة العلم، مع عدد كبير من الناس من رواد المعرفة، داخل سبتة وخارجها، لما عرف عنه المشاركة في جميع العلوم، فقد كان إمام وقته في الحديث، فقيه حافظاً لمسائل المختصر والمدونة، بصيراً بالفتيا والأحكام والنوازل، من أقدر الناس على تقييد الروايات وجمعها، أديباً وشاعراً، من أكتب أهل زمانه، حافظاً للغة وأخبار الناس ومذاهب الأمم، عارفاً لأيام العرب وأخبار الدول، ذاكراً لأخبار الصالحين وسيرهم، والصوفية ومذاهبهم<sup>2</sup>... جعلت مجلسه ملجأً لتعليم العالم وتنوير عقل الجاهل، وسبباً في نشر العلم داخل المنطقة التي يعيش فيها وخارجها.

ومن الجانب التأليفي فقد اشتهرت تصانيفه بين العامة والخاصة، وكانت محل قبول قديماً وحديثاً، فكثر استعمالها، وحملها الناس عنه وانتفعوا بها<sup>3</sup>، وأثنوا عليها الثناء الحسن،

<sup>1</sup> - دورة القاضي عياض: مجلة دعوة الحق، المرجع السابق، ص 5.

<sup>2</sup> - محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 4-5.

<sup>3</sup> - المقرئ: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج5، ص 7.

وهي جديرة بذلك، فلم يخلوا أي واحد منها من فوائد كثيرة وزوائد على ما في غيره من كتب ذلك الفن، جعلت له مساهمة كبيرة في تطور العلوم وتقدمها في تلك الفترة.

فالقاضي عياض من خلال استخدام الجانبين التعليمي والتألفي استطاع نشر العلوم التي برع فيها، وساهم في تطويرها، أين نجده وضح، صحح، أضاف... نذكر من ذلك:

- لاحظ القاضي عياض أن المتأخرين قد تساهلوا في أخذ الحديث وأدائه حتى أوسعوه اختلالاً، فازداد التغيير والفساد في الكتب، وانتشر التحريف وذاع التصحيف، فحاول إصلاح الخلل بمقدور ما أوتي من العلم<sup>1</sup>، أين جمع شوارد تلك الأوهام، وبين مشاكلها، وسدد مقاصدها، ونص على اختلاف الروايات فيها فأظهر أحقها بالحق وأولها<sup>2</sup>، مشاركاً بذلك في تصحيح الروايات والطرق التي حدث فيها تحريف أو تصحيف أو وهم<sup>3</sup>، وذلك بداية في مجالسه العلمية في السمع والرواية.

ثم في مصنفه "مشارك الأنوار" الذي وضعه لإعانة طلاب العلم من طلاب معرفة الأصول، والذي شرح فيه كل ما هو غامض في الأصول الثلاثة لصاح الآثار، وحرر ما وقع فيها من اختلاف، خطأ أو وهم في المتن أو الإسناد<sup>4</sup>، فهو مصنف "يحتاج إليه الحافظ الواعي، ويتدرج به المبتدئ كما يتذكر به المنتهى، ويضطر إليه طالب التفقه والاجتهاد، كما لا يستغني عنه راغب السماع والإسناد، ويحتج به الأديب في مذكراته، كما يعتمد عليه المناظر في محاضراته"<sup>5</sup>.

- كان القاضي عياض يساعد الطلبة في التفقه وفهم معاني المصنفات السابقة، التي شق عليهم معرفة غامضها ومشكلها، وما وقع فيها من اختلال لبعض رواياتها، أسانيداً

1- القاضي عياض: الاماع، المصدر السابق، ص 10-11.

2- نفس المصدر، ص 11.

3- الترايبي: المرجع السابق، ص 215.

4- عائشة عبد الرحمان: مشارق الانوار على صحاح الآثار، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص 59.

5- القاضي عياض: الاماع، المصدر السابق، ص 13.

ومتونها<sup>1</sup>، وذلك أولاً في مجالسه العلمية، وهو ما أكده في العديد من مصنفاته، منها ما ذكره في مقدمة المدونة: "وقد كنت كثيراً ما أجري معهم في المذاكرة منها نتفاً، وأجاذبهم في مجالس المناظرة من ذلك طرفاً، وأقف عند ما لم أحط به علماً معترفاً"<sup>2</sup>، ونتيجة ذلك طلب منه ممن حضر مجالسه من أصحابه، علماء، طلاب علم، توضيح ذلك في مصنفات من تأليفه لتعم الفائدة وتنتشر، فلا تقتصر على من حضر مجالسه فقط، وهو ما تجند له القاضي عياض، فأعد العديد من المصنفات في هذا الجانب منها مصنفه الإكمال الذي يعتبر أول مصنف يتناول شرح الصحيح لمسلم بالشرح والتحرير، مع التقييم والتهديب، والذي لم ينافسه فيه أحد من المتقدمين، ولن يبلغ شأوه أحداً من المتأخرين، لما تضمنه من فوائد<sup>3</sup>، فقد تتبع فيه نصوص الأصول الثلاثة تعقبات دقيقة، وجعلها تحت مجهر التحقيق والتصحيح، فتعقب بكل ما رآه جديراً بالمراجعة والتقويم بطريقة علمية خارقة<sup>4</sup>، جعلت منه المصدر الأول والأساسي لكل من جاء بعده من شراح صحيح مسلم<sup>5</sup>.

وبالإضافة لشرح صحيح مسلم صنف مصنف لشرح ما اشتملت عليه كتب المدونة والمختلطة، أين قام بشرح بعض نصوص المدونة، مع ضبط بعض من مفرداتها وشرحها، والتنبيه على ما حوت من اختلاف الروايات، مع إصلاح الغلط

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الالمام، المصدر السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: التنبيهات، المصدر السابق، ق 1، ص 6.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، المصدر السابق، ج 1، ص 24.

<sup>4</sup> - عبد السلام الهراس: شيء من منهجية عياض في دراسة النص، المناهل العدد الخاص بالقاضي عياض، المرجع السابق، ص 625.

<sup>5</sup> - الحسين الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق، ص

الواقع من بعض رواتها<sup>1</sup>، ولم يؤلف في فن هذا المصنف مثله<sup>2</sup>، فكان المعول عليه من المغاربة في حل مشكلات المدونة<sup>3</sup>.

إضافة إلى ما سبق نجد مصنف "بغية الرائد"، الذي صنف في تفسير مشكل معاني حديث أم الزرع وأغراضه، وفتح مقفل غيبه وألفاظه<sup>4</sup>، ومصنف "غريب الشهاب"، الذي وضع لشرح غريب ألفاظ حديث كتاب "شهاب الأخبار في الحكم والآداب"<sup>5</sup>، ومصنف "المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان" الذي اعتمد فيه على شرح حديث جبريل -عليه السلام- في الايمان والإسلام والاحسان...<sup>6</sup>، وهي مصنفات جعلت القاضي عياض رائد زمانه في التحقيق، التحليل، التقويم، الشرح، والنقد... ساهم بشكل كبير في توسيع معارف الناهلين في العلم بمختلف طبقاتهم، وفتح لهم مجالاً في فهم ما غمض وأبهم، مع التوسع والتصنيف بعد الفهم.

- يعتبر أول من صنف مصنف في علم الدراية<sup>7</sup> بالمغرب<sup>8</sup>، قام فيه بتلخيص فصول في معرفة الضبط وتقييد السماع والرواية، وتبيين أنواعها، وما يصح منها وما يتزيّف، وما يتفق فيه من وجوهها ويختلف<sup>9</sup>، ذكر الباحث التراي أن القاضي عياض استطاع أن يصل في كثير من أبوابه إلى أعتاب الكمال، وأن منهجه في طريقة الكتابة، وتحري

1- انظر القاضي عياض: التنبهات المستنبطة، المصدر السابق، مج 1، قسم الدراسة، ص 139-147.

2- المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج 4، ص 347.

3- الحسين الشواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق، ص 228.

4- القاضي عياض: حديث أم الزرع، المصدر السابق، ص 49.

5- الحسين الشواط: نفس المرجع، ص 224.

6- نفس المرجع، ص 229.

7- البحث في علم الحديث يتناول علمان رئيسان هما علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية، أما الأول فهو نقل كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أضيفت للنبي صلى الله عليه وسلم، أما علم الحديث دراية فهو مجموعة من المسائل والمباحث يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد. انظر التراي: المرجع السابق، ص 339.

8- التراي: نفس المرجع، ص 364. انظر القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 21-22.

9- القاضي عياض: الإلماع، نفس المصدر، ص 3.

الألفاظ يصلح أن يكون عمادا لأسس التحقيق اليوم<sup>1</sup>، وهو المصنف الذي قال فيه أسد رستم: "ومن أهم ما وجدت فيها نسخة قديمة من رسالة القاضي عياض (ت544هـ) في علم المصطلح، كتبها ابن أخيه سنة (595هـ)، وكنت قد قرأت شيئاً عنها في بعض رسائل المصطلح، فاستسختها بالفوتوستات، وبدأت في درسها وفهم وتفهم معانيها، فإذا هي من أنفس ما صنف في موضوعها، وقد سمي بها القاضي عياض إلى أعلى درجات التدقيق في عصره"<sup>2</sup>، وكان مصنفه الإلماع خير مصدر ومنهل لطلاب مصطلح علم الحديث في ذلك الوقت وبعده، وهو ما أكده ابن جابر في هذه الأبيات:

يَا طَالِبَا عِلْمِ الْحَدِيثِ وَحَمَلَهُ	لِجَمِيعِ مَا يُرَوَى مِنَ الْأَنْوَاعِ
تَبَيَّنَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِعِيَاضٍ فِي	تَأْلِيفِهِ الْمُؤَصُّوفِ بِالْإِلْمَاعِ
اللَّهِ يَرْحَمُهُ وَيَجْزِلُ أَجْرَهُ	فَقَدْ أَتَى فِي غَايَةِ الْإِبْدَاعِ
جَمَعَ الرِّوَايَةَ وَالذَّرَايَةَ مُتَّقِنًا	بِالضَّنْبِ بِالْأَبْصَارِ وَالْإِسْمَاعِ
أَنْسَى وَأُسْتَاذِي وَغَايَةَ بَغِيْتِي	وَمَذْكَرِي فِي الْخَلْفِ وَالْإِجْمَاعِ <sup>3</sup>

- عرف أبو الفضل بتوجهه التعليمي والتثويري لطلاب العلم، أين صنف مصنف تعليمي موجه لطلاب العلم من النشأ، وهو مصنف "الإعلام بقواعد الإسلام"، وهي رسالة قليلة الأسطر، أبدع فيها القاضي عياض وأجاد، لخص فيها قواعد الإسلام، وصاغها بطريقة لم يسبقه إليها أحد من الأعلام<sup>4</sup>، وضعها لتدريب المتعلمين من الصغار على قواعد

<sup>1</sup>- التراخي: المرجع السابق، ص 364.

<sup>2</sup>- أسد رستم: مصطلح التاريخ، ط1، مصر، دار الكتب المصرية، 2015م، ص 47. انظر التراخي: نفس المرجع، ص 364.

"رسالة القاضي عياض في علم المصطلح" يقصد به الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع، أنظر أسد رستم: نفس المصدر، هامش ص 47.

<sup>3</sup>- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج4، ص 347.

<sup>4</sup>- القاضي عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام، المصدر السابق، ص14.

الإسلام، بأسلوب بسيط وميسر، في فصول سهلة المأخذ، قريبة المرام<sup>1</sup>، فكانت من المقدمات في فقه السادة المالكية<sup>2</sup>، إضافة إلى مصنفه هذا يوجد مصنف "غنية الكاتب وبغية الطالب في التصدر والترسيل"<sup>3</sup>، وعلى الرغم من أنه مفقود لكننا نستنتج من عنوانه أنه موجه للكتاب وطلبة العلم.

بالإضافة إلى مصنفات أخرى على اختلاف تخصصاتها من سيرة، حديث، تاريخ، تراجم... تحمل في طياتها فوائد، نصائح، وتوجيهات إلى طلاب العلم...، ثم جمعنا من أخبارهم وقصصهم، وقرر من سير حكاهم وقضاتهم، ونوادير من فتاوى فقهاءهم وأئمتهم، ما يحتاج الحكام إليه، ولا غنى بالعلماء عنه<sup>4</sup>.

فنأخذ على سبيل المثال لا التعميم، مصنفه "الغنية" الذي يعتبر من كتب التراجم، التي خصها أبو الفضل لشيوعه، والذي في محتواه بصفة عامة يفيد من توجهوا للتصنيف في التراجم، لكن نجد بين أسطر حديثه، لا ينسى أن يذكر أهم الفوائد، النصائح، والتوجيهات التي أخذها من شيوخه، واستفاد منها، وبذلك يفيد طلاب العلم كما استفاد، نذكر منها حديثاً أوصاه به شيخه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التجيبي أين قال أبو الفضل: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معاذ والله إنني لأحبك"، فقال: "أوصيك يا معاذ لا تدعن في كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، وأوصى بذلك معاذ الصنابحي وأوصى بها الصنابحي أبا عبد الرحمن... وأوصى بها الغساني شيخنا القاضي أبا عبد الله التجيبي، وأوصانا بها القاضي أبو عبد الله قال القاضي: وأنا أوصيكم بها<sup>5</sup>، ومنها ما أخبره به شيخه أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطري قال: "وأخبرنا عن ابن أبي بكر الخطيب أنه قال: قيل لبعضهم بما أدركت العلم؟

1- القاضي عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام، المصدر السابق، ص 29.

2- الترابي: المرجع السابق، ص 162.

3- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 117.

4- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 1، ص 23.

5- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 49.

قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح، وقال آخر: بالسفر والسهر والبكور في السحر"<sup>1</sup>، وغيرها من الفوائد التي ذكرها في مصنفات أخرى.

- تولى أبو الفضل منصب القضاء لسنوات عديدة، مكنت له من العلم والخبرة ما جعله يصنف المصنفات، بداية مصنف "سر السراة في آداب القضاة"، وهو مصنف يتعلق بمتعلقات مهنة القضاء، من أمثال الشهود، الاستماع إلى الخصوم، وسائل الإثبات...<sup>2</sup> كما كان له مصنف "مطامح الإفهام في شرح الأحكام" وهو مفقود ولكنه في مضمونه ينتمي إلى مصنفات القضاء والسياسة الشرعية<sup>3</sup>، وعلى الرغم من أنّ الكتابين فقدا، إلا أنهما أكدا اهتمام القاضي عياض بتوجيه القضاة، ووضع كل علمه وخبرته لمساعدتهم في تنفيذ مهامهم على أكبر واجب، وبالإضافة لذلك فقد عرف عليه تسجيل القضايا التي عرضت في مجلسه، مع الإجابة عليها، حتى أنه عرف عليه بعض الأسئلة عن القضايا المستعسرة والتي واجه فيها بعض الغموض، واستشار بها من عاصرهم من قضاة أمثال ابن رشد، ابن الحاج...، كل وضعه القاضي في أوراق أو مصنفات ليستفيد منها غيره، وكان له ذلك فنجد ابنه محمد وجد "أجوبته مما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام"، كما وجد مصنفه "أجوبة القرطبيين" في بطائق، فكانت مرجعا أساسيا للقضاة بعده، بداية بابنه محمد ثم لمن جاء بعده بعدما جمعها في مصنف سماه "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 77.

<sup>2</sup> - الحسين الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، المرجع السابق، ص 230.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 230.

<sup>4</sup> - انظر محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 118.



وهذا شيء قليل مما استطعنا توضيحه عن دور القاضي عياض وإسهاماته العلمية والعملية داخل المجتمع، والتي في مجملها كانت طرقاً مثلى استطاع بها حماية حقوق الفرد، ودفعه نحو الارتقاء والتطور في العديد من العلوم.

## الفصل الرابع: عياض بين السلطة والرعية

أولاً: الفقهاء بين السلطة والرعية من خلال فكر القاضي عياض

1. الفقهاء والسلطة

2. الفقهاء والرعية

ثانياً: دور القاضي عياض في علاقة السلطة بالرعية

1. دور المشرع

2. دور الوسيط بين السلطة والرعية

3. دور المؤثر

إنَّ للفقيه شأنًا عظيمًا في بلاد المغرب الإسلامي ، لما له من دور فعال في بناء الدولة والمجتمع، حيث كان يدعو إلى الدين وينشره دون ملل، لا يخلو من عزائمه المتقاعس، ولا يضره مخالف، ولا يضعف من هممه المتخلف الخانع، فهو من ورثة النبوة وحملة الشريعة، أفنى عمره في تحصيل علوم الكتاب والسنة، وجدَّ في القيام عليها رواية، تأليفًا، تدريسًا، ودافع عنها في مغارب الأرض ومشارقها، صان الله به السنن، وبه أنقض الأمة من الفتن والمحن، فكان المرشد والموجه للسلطة، والممثل الأعلى والقائد الحقيقي للرعية، يلجؤون إليه في كل ما أشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم<sup>1</sup>.

والقاضي عياض فقيه من فقهاء عصره، ممن برع في جملة من علوم الشريعة، جعلت منه علما مشهورا بان فضله، فهو من الفقهاء الذين استعانت بهم الرعية في فهم الدين، والسلطة في تدبير شؤون الدولة، فكان له من المكانة بين السلطة والرعية، أن كان له دور فعال في العلاقة التي تربط بينهما.

### أولاً: الفقهاء بين السلطة والرعية من خلال فكر القاضي عياض

كان الفقهاء في عصر القاضي عياض من أعلم الناس وأحفظهم، جمعوا بين قراءة القرآن، وحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مع معرفة معانيه<sup>2</sup>، حفظوا المذهب المالكي، ووضعوا فيه التصانيف والشروح، ونهج نهج الصالحين، أين عرف عنهم الثبات على المبدأ، ومطابقة أفعالهم لأقوالهم، فكانوا شجعانا في نصرة الحق، لا يخافون في الله لومة لائم، فعملوا على توجيه وإرشاد السلطة والرعية معا<sup>3</sup>.

قال فيهم القاضي عياض:

هُمُ الْإِئِمَّةُ وَالْأَقْطَابُ مَا إِنْخَدَعُوا      وَلَا شَرُّوا دِينَهُمْ بِالْبَخْسِ وَالْعَبْنِ

<sup>1</sup> - الحسين بن محمد الشواطئ: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث، المرجع السابق، ص 7-8، خليل إبراهيم:

دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الامارة والخلافة، دار البشائر الإسلامية، ص 6.

<sup>2</sup> - انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 7، ص 246.

<sup>3</sup> - انظر نفس المصدر، ج 1، ص 23 وغيرها.

أَصْحَابَ خَيْرِ الْوَرَىٰ أَحْيَارَ مِلَّتِهِ      خَيْرَ الْقُرُونِ نُجُومَ الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ  
 مَنِ اهْتَدَىٰ بِهِدَاهُمْ مُهْتَدٍ وَهُمْ      نَجَاةٌ مِّنْ بَعْدَهُمْ مِّنْ غَمْرَةِ الْفِتَنِ  
 وَتَابِعُوهُمْ عَلَى الْهُدَى الْقَوِيمِ هُمْ      أَهْلُ النَّهْيِ وَالنُّقَى وَالْعِلْمِ وَالْقُطَنِ  
 حَوَىٰ أُصُولُهُمْ ثُمَّ إِفْتَقَىٰ أَنْزَا      نَهَجًا إِلَىٰ كُلِّ مَعْنَى رَائِقٍ حَسَنِ<sup>1</sup>

ومن خلال تعريف القاضي عياض للفقهاء الذين سبقوه وممن عاصروه في مصنفاته، سنحاول في هذا المبحث الإشارة إلى العلاقة التي ربطت الفقهاء بالسلطة والرعية، مركزين على من عايشه منهم.

### 1. الفقهاء والسلطة:

قد أورد القاضي عياض أنه حق على كل عالم جعل الله في صدره شيئاً من الفقه والعلم أن يقدم النصيحة لكل ذي سلطان، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر<sup>2</sup>، وهي نصيحة شيخه مالك بن أنس، ذو المكانة الكبيرة، والمنزلة الرفيعة في قلوب الفقهاء، فكل نصيحة من إمام دار الهجرة كانت نقشا في صدور فقهاء المذهب المالكي، على اختلاف أماكنهم وأزمنتهم، دائمة الذكر في دروسهم، مكتوبة في مصنفاتهم، يعملون ويوصون بها، فهو الذي قال فيه القاضي عياض:

وَمَا لِكَ الْمُرْتَضَىٰ لَا شَكَّ أَفْضَلُهُمْ      إِمَامَ دَارِ الْهُدَىٰ وَالْوَحْيِ وَالسَّنَنِ  
 وَعَنْهُ خُذْ عِلْمَهُمْ إِنْ كُنْتَ مُتَّبِعًا      وَدَعِ زَخَارِفَ كَالْأَحْلَامِ فِي الْوَسَنِ  
 فَهُوَ الْمُقَلَّدُ فِي الْأَثَارِ يُسْنِدُهَا      خِلَافُ مَنْ هُوَ فِيهَا غَيْرَ مُؤْتَمِنٍ  
 وَعِلْمَ الْأَرْضِ طَرًّا بِالَّذِي حَكَمَتْ شَهَادَةً      الْمُصْطَفَىٰ ذِي الْفَضْلِ وَالْمُنَنِ<sup>3</sup>

وكان لمالك بن أنس أثر محمود فيما يشترط في علاقة الفقيه بأصحاب السلطة، تطرق إليه القاضي عياض في باب تعريفه لإمام الهجرة، نذكره ملخصا في شكل نقاط:

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص 169.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص95.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص169.

- دعوة السلطان بتقوى الله<sup>1</sup>.
  - الدعوة إلى إجلال العلم وتوقير العلماء وإيتاء مجالسهم<sup>2</sup>.
  - عدم منع العلم من العامة من أجل الخاصة لأن ذلك يجعل الخاصة لا تنتفع به.
  - وجب تواضع الأمراء للفقهاء للاستفادة من علمهم<sup>3</sup>.
  - وجوب الدخول على الملوك وإسداء النصح والوعظ، وتذكيرهم بوجوب اتباع الحق في السيرة مع الرعية.
  - دعوة ولاية الأمور إلى افتقاد أحوال الرعية، وتطبيق مسؤولياتهم<sup>4</sup>.
  - تذكير الأمراء بقصص الخلفاء السابقين، وما كان عليه الخلفاء من الاهتمام بأمور الرعية.
  - التمسك بالقرآن والسنة والصرامة في الحق<sup>5</sup>.
  - تقديم النصيحة وإعانتهم على ما حملوا عليه وتنبههم عند الغفلة<sup>6</sup>.
- وهي أمور تمسك بها فقهاء المذهب المالكي في عصر القاضي عياض وطبقوها في معاملاتهم مع السلطة، فكان منهم من يجالس الأمراء، متبعا سياسة الوعظ والنصيحة لأئمة المسلمين، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، يذكرهم بطريق الحق، وينبههم عند الغفلة، والأمثلة على ذلك كثير، منهم الفقيه موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الشاطبي الذي ذكر القاضي عياض أنه التقاه بمدينة سبتة أثناء انصرافه من حضرة السلطان<sup>7</sup>، والفقيه الحافظ

1- انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص 36.

2- انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص 22، 24.

3- انظر نفس المصدر، ص 23.

4- انظر نفس المصدر، ص 95-96، 105..

5- انظر نفس المصدر، ص 112.

6- انظر نفس المصدر، ص 99-102.

7- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 195.

غالب بن عطية المحاربي الذي لقيه كذلك بمدينة سبتة عند قدومه على أمير المسلمين<sup>1</sup>، إضافة إلى الفقيه محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود العكي الذي ولي الخطبة والصلاة بسبته مدة، ويبدو أن السلطان كان يحضر مجلسه<sup>2</sup>، ومنهم من ارتحل إلى مراكش خصيصاً لملاقاة السلطان ومناقشة بعض الأمور معه وهو مروان بن عبد الملك اللواتي<sup>3</sup>. وكان أمراء السلطة في عصر القاضي عياض يولون مكانة خاصة للفقهاء، فكان المعول الأول عليهم في تدبير شؤون الدولة، وطلب الرأي منهم من المبادئ الثابتة عندهم، حيث كان الأمير يوسف بن تاشفين محباً للفقهاء، يصرف الأمور إليهم، صادراً عن رأيهم<sup>4</sup>، أين نجده صرف جميع أمور الأندلس والمغرب للفقيه مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي<sup>5</sup>، وكان الفقيه عبد الله بن محمد بن شبونة، مستشار الأمير علي بن يوسف، والمعول عليه في الفتيا<sup>6</sup>، وكان محمد بن أحمد بن رشد عظيم المنزلة عند أمير المرابطين، مقدماً عنده، معتمداً عليه في الشدائد<sup>7</sup>، وعبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي، الذي كان جليلاً المقدر عند السلطان<sup>8</sup>.

1- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 190.

2- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 172.

3- نفس المصدر، ص 179.

4- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 137. مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 82.

5- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 197.

شيخ المغرب وزعيمه، ذو الجاه العريض والقول المسموع فيه، كان من أهل الفقه، العلم، والأدب، له سماع عال من المصريين أمثال ابن نفيس وابن منير وغيرهم، وقرأ القرآن على المقرئين بها، كما جالس فقيه صقلية عبد الحق، وسمع من فقيه سجماسة أبي علي المعروف بابن أمديكونا، ولي الخطابة والفتيا والصلاة بمدينة سبتة، ثم انتقل إلى طنجة فولي صلاتها وخطبتها وفتياها، ثم تقلد أحكامها، سمع منه العديد من الشيوخ أمثال أبو إسحاق ابن جعفر الفاسي، توفي بطنجة سنة 491هـ. القاضي عياض: نفس المصدر، ص 197-198.

6- القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 206.

7- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 54.

8- نفس المصدر، ص 156.

وكان احترام أصحاب السلطة للفقهاء جليا وواضحا، لخصه القاضي عياض في العديد الملاحظات منها: "بعيد الصيت عند الخاصة"<sup>1</sup>، "مقبول القول مقضي الإرب عند الرؤساء"<sup>2</sup>، "يقصده الرؤساء وغيرهم يتبركون بدعائه"<sup>3</sup>، "مقدما عند أمير المسلمين عظيم المنزلة"<sup>4</sup>، "كانت له عند المرابطين وجاهة ومكانة"<sup>5</sup>، "وبعد صيته عند السلطان"<sup>6</sup>.

واعتمدت السلطة على الفقهاء في إرساء مظاهر الحكم وتنظيم المجتمع، من خلال منصب القضاء، الذي كان له منزلة عظيمة عند أمراء سلطة المرابطين، أين اختاروا فيه من الفقهاء ممن عرف عنهم اتباع الحق، إقامة العدل، محاربة الظلم، لا يخافون في الله لومة لائم، ذكر لنا القاضي عياض العديد من الأسماء منها: القاضي أبو عبد الله محمد بن عبود التلوخي الذي عرف عنه أنه غير هبوب للأمرء، مغلظا على أهل الباطل،<sup>7</sup> والقاضي عبود بن سعيد التتوخي الذي كان صداعا بالحق، غير هبوب للأمرء، لا تأخذه في الله لومة لائم.<sup>8</sup> وكان بعض الفقهاء يستتكف عن تولي مهام القضاء، مما واجه السلطة في بعض الأحيان صعوبة في التعامل معهم، ذكر لنا القاضي عياض العديد من الأسماء ممن دعوا إلى تولي هذا المنصب لكنهم رفضوا وامتنعوا عنه، نذكر منهم الفقيه أبا الوليد القرطبي الذي عرض عليه القضاء غير مرة فلم يجب<sup>9</sup>، أبو علي الصدفي الذي طلب لقضاء إشبيلية فامتنع واختفى، وغيب عن أنظار السلطة حتى عوفي<sup>10</sup>، وأحمد بن طاهر بن علي بن شبرين الذي دعي

1- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 28.

2- نفس المصدر، ص 176.

3- نفس المصدر، ص 167.

4- نفس المصدر، ص 54.

5- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 8، ص 186.

6- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 210.

7- القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 202-203.

8- نفس المصدر، ص 197.

9- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 217.

10- القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 193-194، القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 131.

لمنصب القضاء في بلده دانية لكنه رفض ذلك<sup>1</sup>، بالإضافة إلى الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي الذي طلب للقضاء بمدينة سبتة فلم يجب وامتنع<sup>2</sup>، والفقيه أبو القاسم أحمد بن محمد الذي امتنع كذلك عن المنصب<sup>3</sup>.

مما اضطر بالسلطة إلى استخدام الترهيب والإجبار أحيانا مع الفقهاء الذين لا يرغبون في تولي القضاء، أين ذكر لنا القاضي عياض بعض أسماء الفقهاء الذين أجبروا من السلطة على تولي هذا المنصب، منهم القاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد البصري فقيه عصره الذي ولي القضاء، وبعد مدة استعفى فعوفي، ثم أجبر من السلطة على الرجوع فرجع<sup>4</sup>، ونفس الأمر حدث للقاضي محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي، الذي ولي القضاء مرتين استعفى من الأولى وأجبر في الثانية<sup>5</sup>.

ويبدو أن قبول هذا المنصب من قبل الفقهاء لم يعن الاستمرارية فيه، أين نجد بعض القضاة يؤثرون الاعتزال والإعفاء لرؤيتهم أشياء لم تعجبهم، منهم القاضي الإمام أبو عبد الله بن عيسى الذي رأى في قضائه ما لا يعجبه فاستعفى<sup>6</sup>.

ولم يكن العزل والإعفاء مبنيا فقط على طلب من الفقهاء، فهناك من القضاة من عزل من قبل السلطة لحدوث شيء يخالف واجباته ومقتضيات وظيفته جعلته غير أهل لهذا المنصب، منهم: قاضي الجماعة عبد الله بن منصور، الذي عزل عن المنصب من قبل

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 118.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 119.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 97.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج 8، ص 199.

<sup>5</sup> - القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 47.

<sup>6</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 199-201.



السلطة لخرج في أخلاقه<sup>1</sup>، والقاضي محمد بن رشد الذي عزل إثر الهيج الكائن من العامة<sup>2</sup>، والقاضي محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الذي ولي القضاء مدة ثم صرف عنها<sup>3</sup>. ومن خلال ما سبق تبين لنا أن انتقاء السلطة للقضاة عرف العديد من الردود من قبل الفقهاء والسلطة معاً، بالنسبة للفقهاء كان إما رفض، قبول، طلب استعفاء، أما بالنسبة للسلطة فكان بين عرض، إجبار، عزل، سنحاول في هذا الجدول ومن خلال تصنيفات القاضي عياض وبالتحديد مصنف ترتيب المدارك ومصنف الغنية تحديد الفقهاء الذين عاصروهم القاضي عياض وعرض عليهم القضاء وكيف كان ردهم بين قبول، رفض، مع من عزل أو استعفاء من السلطة:

الجدول رقم (5): يوضح الفقهاء وعلاقتهم بمنصب القضاء

القضاء	قبول	إجبار	رفض	طلب اعفاء	عزل	الفقهاء
ولي قضاء سبتة ثم قضاء الجماعة	+				+	محمد بن عبد الله بن غالب الهمداني
ولي قضاء فاس	+				+	محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم الكتامي
دعاه أمير المسلمين لقضاء سبتة رفض، ثم تولى قضاء طنجة	+		+			مروان بن عبد الملك اللواتي ت 491هـ
ولي قضاء غرناطة ثم طلب الاعفاء ثم	+			+		عبد الله بن علي

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 202.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 54.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 66-68.

لما تولى خطة القضاء، وافق ذلك أن احتاج سور إشبيلية إلى بنيان جهة منه، ولم يكن فيها مال متوفر، ففرض على الناس جلود ضحاياهم، وكان ذلك في عيد أضحي، فأحضرها كارهين، ثم اجتمعت عليها العامة العمياء، وثارت عليه ونهبوا داره، وخرج إلى قرطبة. أحمد المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، مج2، ص 27.

الفصل الرابع: القاضي عياض بين السلطة والرعية

					ولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم وولي قضاء تلمسان حتى توفي	
				+	ولي قضاء مكناسة وبقي حتى توفي	عبد الرحمن بن علي
				+	ولي تلمسان	علي بن عبد الرحمن
				+	ولي قضاء طنجة	عبد الخالق بن مروان
				+	ولي قضاء طنجة	عبد الوهاب بن مروان
				+	ولي قضاء طنجة وبقي حتى توفي	عبد الرزاق بن مروان
+				+	ولي قضاء مكناسة ولي قضاء المرية واعفي ثم ولي قضاء اشبيلية واعفي	محمد بن مروان
+				+	ولي قضاء غرناطة إلى أن دخلها المرابطون أين بقي فيها يسيرا	عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي
				+	ولي قضاء المرية	محمد بن خلف بن سعيد بن وهب
			+		ولي قضاء سرقسطة	عبد الله بن محمد بن إسماعيل
				+	ولي قضاء مالقة غير مرة كما ولي جملة القضاء	عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي
				+	ولي قضاء مالقة	محمد بن سليمان بن خليفة المالقي
				+	ولي القضاء	محمد بن إبراهيم بن يربوع
				+	ولي قضاء الجماعة حتى مات	محمد بن علي بن حمد بن التغلبي

الفصل الرابع: القاضي عياض بين السلطة والرعية

						ت 508هـ
	+	+	+		ولي قضاء مرسية	أبو علي الصدفي ت514هـ
				+	ولي قضاء سبته	محمد بن عبد الله الأموي ت520هـ
				+	ولي قضاء سبته وبقي حتى توفي	عبود بن سعيد التتوخي ت480هـ
	+			+	ولي قضاء سبته	أبو عبد الله بن عبد الله
+				+	ولي قضاء سبته	عبد الرحمن ابن محمد
	+		+	+	ولي قضاء سبته استعفي ثم أجبر على العودة للقضاء	إبراهيم بن أحمد البصري
	+			+	ولي قضاء سبته ولي قضاء فاس	محمد بن عيسى بن حسين التميمي ت505هـ
	+			+	ولي قضاء سبته	عبد الله محمد بن عبد الله المسيلي
	+			+	ولي قضاء سبته ثم قضاء الجماعة أين استعفي ثم ولي قضاء سبته حتى توفي	عبد الله بن منصور ت 513هـ
				+	ولي قضاء سبته	إبراهيم بن أحمد بن يربوع
	+			+	ولي قضاء سبته	محمد بن عبود التلوخي
+				+	ولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء سلا ثم خلافة القضاء بالحضرة أين صرف من ذلك	عبد الرحمن بن محمد (ابن العجوز) ت515هـ
	+		+	+	ولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين	محمد بن أحمد بن خلف (ابن الحاج) ت529هـ

## الفصل الرابع: القاضي عياض بين السلطة والرعية

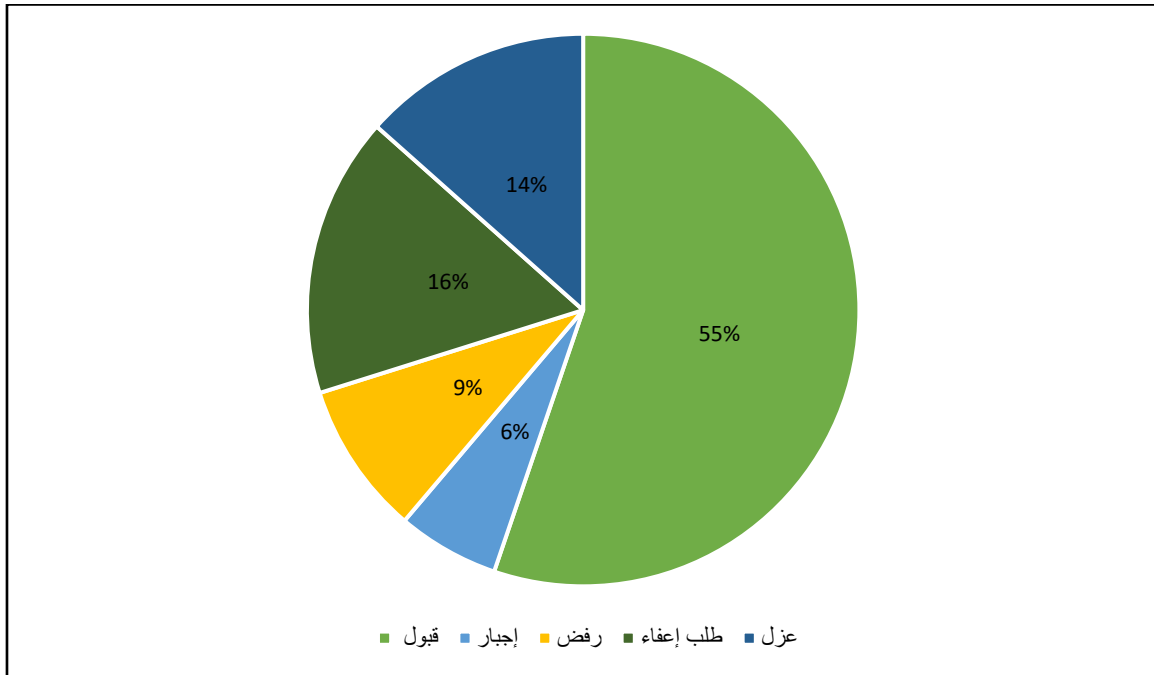
					استعفي الأولى وأجبر في الثانية	
	+			+	ولي قضاء الجماعة بقرطبة	محمد بن أحمد بن رشد ت 520هـ
				+	ولي قضاء سبتة قبل دولة المرابطين وأول دولة المرابطين	محمد بن عبد الله بن محمد الأموي ت 517هـ
				+	ولي قضاء تلمسان ثم قضاء اشبيلية ثم قضاء فاس حتى توفي	محمد بن داود بن عطية بن سعيد المكي ت 525هـ
+				+	ولي قضاء اشبيلية	محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد المعافري (ابن العربي) ت 543هـ
					لم يذكر أين ولي	محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الطليطلي ت 523هـ
				+	ولي قضاء اشبيلية	محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شرين ت 503هـ
		+			طلب للقضاء	أحمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن عبد الرحمان ت 532هـ
		+			طلب لقضاء سبتة	إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي يعرف بابن الفاسي ت 513هـ
		+			دعي لقضاء الجزيرة	الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي ت 505هـ
				+	ولي قضاء سبتة مرتين وبقي حتى توفي	عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي

## الفصل الرابع: القاضي عياض بين السلطة والرعية

+				+	ولي قضاء سبتة مرتين وقضاء الجزيرة الخضراء	عبد الرحمن بن محمد المعافري ت502هـ
+				+	ولي قضاء اشبيلية	شريح بن محمد بن شريح الرعيني
		+			عزم عليه في القضاء غير مرة فلم يجب	هشام بن أحمد أبو الوليد القرطبي (ابن العواد) ت509هـ
				+	ولي قضاء غرناطة	هشام بن أحمد بن هشام الهاللي ت530هـ
9	11	6	4	37	-	المجموع

المصدر: من إنجاز الباحثة<sup>1</sup>

الشكل رقم (3): يمثل نسب حالة الرد على طلب منصب القضاء من مجموع 44 فقيه



المصدر: من إنجاز الباحثة

ومن خلال الجدول المبين، والشكل أدناه نجد أن القاضي عياض ذكر لنا 44 فقيهاً من الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء أو عرض عليهم من قبل سلطة المرابطين، 10 منهم كانوا

<sup>1</sup> - تم إنجاز الجدول بالاعتماد على مصنفات القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج8، والغنية.

قد أجبروا على تولية القضاء، أربعة منهم أجبروا على تولي القضاء، وستة منهم رفضوا رفضاً قطعياً تولي هذا المنصب ومسؤولياته، ومنهم من قبل ثم استعفى فأجبر على البقاء، ويبدو أن هناك من الفقهاء من رفض منصب القضاء ثم قبل، كما أن الاستمرارية في هذا المنصب لم تكن لكل القضاة، فمنهم من واصل في هذا المنصب حتى وفاته، ومنهم من استعفى، ومنهم من عزل من قبل السلطة.

وبالإضافة إلى منصب القضاء، توجد مناصب في الدولة تقلدها الفقهاء، أمثال: الشورى، الفتيا، الخطابة، التدريس، وهي مناصب لا يعتليها غير من حاز على مكانة خاصة عند أصحاب السلطة، ومن أسماء الفقهاء الذين شغلوا هذه المناصب نذكر: الفقيه أبو بكر غالب بن عطية المحاربي التي تصدر في غرناطة التدريس والفتيا<sup>1</sup>، أحمد بن طاهر بن علي بن شبرين قلد الشورى في بلده دانية<sup>2</sup>، الفقيه أبو القاسم أحمد الذي ولي الفتيا بقرطبة<sup>3</sup>، وحسن بن خالد بن إبراهيم الزبيدي الذي ولي الخطبة والصلاة<sup>4</sup>.

وحتى في تعيين السلطة لأصحاب هذه المناصب، كان رد الفقهاء في بعض الأحيان الامتناع والرفض، فنجد في مصنفات القاضي عياض العديد من الأسماء الذين رفضوا اعتلاءها، نذكر منهم: الفقيه أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي الذي رفض الفتيا والتدريس<sup>5</sup>، وخلف بن يوسف بن فرتون النحوي الذي دعي لتقلد الصلاة والخطبة في مدينة سبتة فرفض<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 190.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 118.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 97.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج8، المصدر السابق، ص 172.

<sup>5</sup> - القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 140.

<sup>6</sup> - نفس المصدر، ص 149.

كان من أهل شنترين، اعتبر من أئمة النحاة والأدباء الثقات الأخيار المتفق على خيرهم وفضلهم، أخذ من بلده عن عاصم بن أيوب وابن عليم وغيرهما، ثم جدد السماع لكتب الآداب والحديث فأخذ عن أبي علي الجبائي وغيره، أقرأ الناس بالأندلس والمغرب النحو والأدب، وقيد الكتب وأخذ عنه الناس كثيراً، انتقل إلى العدة وسكن سبتة مدة، وقرأ عليه فيها كتب اللغة

كما عرف عن الفقهاء التطوع في جيوش الدولة من أجل الجهاد والوقوف مع السلطة ضد أعدائها، فقد ذكر لنا القاضي عياض العديد من الفقهاء الذين تطوعوا في جيوش الدولة للدفاع عن الثغور، والوقوف مع السلطة ضد النصارى الذين يحاولون إسقاط الدولة الإسلامية في الأندلس، منهم الفقيه الشهيد أبو علي الصدي الذي استشهد في إحدى معارك المرابطين في شرق الأندلس سنة 514هـ، أين خرج مع الأمير إبراهيم للغزو هو وصاحبه القاضي أبو عبد الله ابن الفراء، وللأسف انهزم المسلمون وكان ممن فقدوا في هذه المعركة<sup>1</sup>، كما كان للفقيه المشاور عبد الله بن أبي عبد الله بن عيسى رحلة إلى الجهاد<sup>2</sup>.

والعلاقة بين السلطة والفقهاء لم تكن تسير دائما على شكل جيد، فمنهم من لم يتقبل السلطة، كالفقيه محمد بن فرج مولى ابن الطلاع الذي أسقطته السلطة من الفتيا بسبب تعصبه للعبادية<sup>3</sup> ضد المرابطين، على الرغم من أنه كان قولا للحق، شديدا على أهل البدع، غير هبوب للأمر<sup>4</sup>، ومنهم من امتحن أيما امتحان على يد السلطة، أمثال الفقيه عبد العزيز السوسي الذي امتحن على يد زوجة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، زينب بنت إسحاق،

---

والنحو والغريب والآداب وبعض كتب الحديث، ثم انتقل إلى فاس وأقام بها مدة وأخذ عنه بها، ثم رحل إلى الأندلس وقيل كان لا يليق به قطر ينتقل من قطر إلى آخر بجملته وعياله مدة بالأندلس ومدة بالعدوة وتارة في قرطبة، وكرة بقرطبة، توفي بقرطبة سنة 532هـ. القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 149-150.

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 194، القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 131.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 207-208.

<sup>3</sup> - يقصد بها سلطة بني عباد التي كانت في ذلك الوقت بقيادة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وقرطبة، وقد كان أقوى ملوك الطوائف في تلك الفترة وكان منتظرا منه أن يقوم بحماية الأندلس من النصارى، لكنه لم يفعل بل قضى معظم حياته بصراعات داخلية أضعفت المسلمين، وكل ما فعله أنه استولى على حصن ونازل مدينة واشتبك، وخاض صراعات عديدة في قرطبة حتى أخضعها، وكذلك خاض صراعات مع ابن الرشيق صاحب مرسية، وكان المعتمد يتعامل مع النصارى باعتماده على مهاراته الدبلوماسية، أين كان يدفع أذاه بدفع الجزية، وقد استجد بالأمير يوسف بن تاشفين لمواجهة النصارى كما ذكر سابقا (أنظر الفصل الثاني يوسف بن تاشفين). سعدون بن عباس بن نصر الله: المرجع السابق، ص 63-64.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 180-181.

أين "طولب عندها فسيق إليها مكبلا، ونجاه الله منها"<sup>1</sup>، وابن العربي الذي حبس في مراكش نحو عام بعد توجه للحضرة<sup>2</sup>.

## 2. الفقهاء والرعية:

في عصر القاضي عياض تبوأ الفقهاء مكانة مرموقة بين أوساط الرعية لكونهم من أحسن الناس في زمانهم، لهم في العلم والفقهاء الدرجة السامية، عرفوا بالعفة، الطيبة، لين الجناح، واقتفاء آثار السلف<sup>3</sup>، وغلب على شخصيتهم الخير، الزهد، الورع مع كثرة العبادة وانتهاج سنن الصالحين، فكانوا قائمين على مذهب مالك حافظين له، متقدمين على الناس في المسائل والأحكام والقضاء<sup>4</sup>، مما بوأ لهم مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة في أوساط الرعية. فقد كان الفقه في تلك الفترة شديد الارتباط بوقائع حياة الناس اليومية، سواء في العبادات أو المعاملات<sup>5</sup>، وذكر لنا القاضي عياض العديد من الملاحظات التي تؤكد مكانتهم بين الرعية: "بعيد الصيت عند الخاصة والعامة عظيم القدر"<sup>6</sup>، "وهو مع ذلك في عيون الناس وقلوبهم النجم رفعة وجلالة"<sup>7</sup>.

فهم أعلام الدين والفقهاء، عرف عنهم العلم الواسع، والفهم الحاذق، ذكر القاضي عياض العديد منهم ممن كان متصدرا لبعض العلوم نذكر منهم:

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 168.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 68.

يقول القاضي عياض: "وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة بعد دخول الموحدين إلى مدينة اشبيلية، فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا، فأدركته منيته". المقرئ: غصن الطيب، المصدر السابق، ص 30.

<sup>3</sup> - أنظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج7، ص112، والقاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ج8، ص141. (بتصرف)

<sup>4</sup> - أنظر القاضي عياض: نفس المصدر، ج8، ص 172-174.

<sup>5</sup> - القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص 9.

<sup>6</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص28.

<sup>7</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ج8، ص 133.



- عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي المعروف بابن شبونة الذي كان أحفظ من عاصرهم للمسائل المالكية<sup>1</sup>.
- أبو عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين التميمي، الذي كان مقدم فقهاء مدينة سبتة في وقته<sup>2</sup>.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن التغلبي أجّل رجال الأندلس ومقدّمها فهما ونباهة<sup>3</sup>.
- محمد بن أحمد بن رشد، زعيم فقهاء وقته في المغرب والأندلس، ومقدمهم والمعترف له بصحة النظر ودقة الفقه<sup>4</sup>.
- أحمد الزنقي أبو العباس شيخ المتكلمين في وقته على مذهب أهل الحق<sup>5</sup>.
- محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي أحد نبهاء زمانه ورجال وقته<sup>6</sup>.
- علي بن أحمد بن خلف الأنصاري "شيخ مقرئها ورواتها في علم القرآن والحديث والآداب والأصول والضبط والقراءات واللغات والإتقان في ذلك، والمقدم في

<sup>1</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 155.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 27.

كان أجّل شيوخ مدينة سبتة ومقدم فقهاءهم، ولد سنة 429هـ بمدينة فاس ثم انتقل به أبوه إلى مدينة سبتة، وكان أصله من تاهرت، طلب العلم من شيوخ سبتة أمثال أبي محمد المسيلي وغيره، كانت له ثلاث رحلات علمية إلى الأندلس، الأولى إلى إشبيلية أين قرأ بها الأدب على أبي بكر ابن القصيرة، والثانية كانت سنة 480 هـ إلى المرية، أين أخذ عن ابن المرابط وأجازه الدلائي، والثانية سنة 488هـ وكانت وجهته قرطبة التي أقام بها حوالي عامين واتسع في الأخذ فيها، فسمع فيها من ابن الطلاع، أبي مروان، ابن سراج، الجياني والعبسي، تقلد الشورى أيام البرغواطي، وكان كثير الكتب حافظاً عارفاً بالفقه، مليح الخط والكتابة والمحاضرة، من أفضل أهل زمانه وأعقلهم، كامل المروءة، تام الفضل، ولي قضاء سبتة ثم فاس وكان من أحسن القضاة وأزههم وأجراهم على الطريقة القويمية، توفي سنة 505هـ. القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 27-29.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 46.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 54.

<sup>5</sup>- نفس المصدر، ص 117.

<sup>6</sup>- نفس المصدر، ص 155.

محدثيها المتقنين ونحاتها المبرزين، وأحد الفضلاء الصالحين المتقنين في المعارف"<sup>1</sup>.

- محمد بن قاسم ذكر القاضي عياض فيه: " حضرت مجلسه فما رأيت مثله في تتبع ألفاظ المدونة واستخراج الخلاف من آثارها وفهم معانيها وإيقاع الخلاف موقعه"<sup>2</sup>.

- الشيخ الحسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجياي أضبط الناس لكتاب وأتقنهم لرواية"<sup>3</sup>.

برز دورهم في تدريس أحكام الشريعة وتوضيحها لطلاب العلم والسائلين من الناس، حيث عملوا على تعليم القرآن والسنة النبوية الشريفة وشرح كتب العلم على اختلاف ضروبها، فتفقه عندهم خلق كثير، وطار ذكركم في الأنحاء، وتميزت مجالس دروسهم بالازدحام، لما كان يحضرها عدد غفير من الناس، أقبلوا إليهم من كل الآفاق، يأخذون عنهم، يسمعون منهم، ويتفخرون بالأخذ عنهم<sup>4</sup>، وقد تطرق القاضي عياض في غنيته إلى مجالس شيوخه، مبينا أنه كان يحضرها الناس على اختلاف درجاتهم العلمية، قادمين من مشارق الأرض ومغاربها، طلبا للعلم، الفائدة والمعرفة، ومما ذكر مجلس شيخه محمد عبد الله اللخمي الذي كان يحضره أكابر فقهاء وقته لكثرة فائدته<sup>5</sup>، وشريح بن محمد بن شريح بن أحمد الذي كان شيخ المقرئين في زمنه، والناس يوجهون إليه الرحلة في هذا الشأن<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 174.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 208.

<sup>3</sup>- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 138.

<sup>4</sup>- انظر نفس المصدر، ص ص 206، 213، 224، 169، 170، 62 وغيرها، انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 197.

<sup>5</sup>- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 156.

<sup>6</sup>- نفس المصدر، ص 213.

وتميزت دروس الفقهاء بالتنوع العلمي من علوم الفقه، الحديث، الأدب وغيرها من العلوم التي احتاجها الناس، كل حسب تخصصه وتمكنه، وذكر لنا القاضي عياض كثيراً من التخصصات العلمية التي برز فيها فقهاء عصره وتجدوا في سبيل نشرها، يمكن تلخيصها في:

- المناظرة في المدونة والموطأ
- علم القرآن من تفسير وقرآيات
- علوم الفقه والفرائض
- علوم الأصول والكلام على مذاهب أهل السنة من الأشعرية
- علوم اللسان العربي: الأدب، النحو
- مسائل الخلاف والأصول
- علوم الطب
- علوم الهندسة والحساب
- علوم الحديث
- علم الأصول والفقه على مذاهب أهل العراق وطريق الحجاج والنظر
- سماع كتب عمر ورواياته وغيره<sup>1</sup>.

وهي علوم عمل الفقهاء على بث معارفها في أوساط الرعية، يدرسون، يسمعون ويجيزون، عارفين بصناعة التدريس، واثقين فهما بما يقرأ عليهم<sup>2</sup>، مع ما عرف عنهم من أناسة المجلس وحسن البر والصحة، جعل أفراد الرعية من طلاب العلم والعامّة يتنافسون للأخذ عنهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- انظر القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص ص 166، 175، 149، 106، 89-90، 177، 195، 156، 58، 75، 101، 108، 114، 118، 140، 169-170، 213.

<sup>2</sup>- انظر نفس المصدر، ص ص 68، 162.

<sup>3</sup>- انظر نفس المصدر، ص 224.

كما تميزت مجالسهم التعليمية بالصبر على الجلوس للسمع، مع تحمل المشقات، فقد كان الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن الجذامي والذي كانت إليه الرحلة للسمع في قرطبة لعلو سنده وانقراض طبقته، يصبر على الجلوس والإسماع آناء الليل وأطراف النهار على الرغم من كبر سنه<sup>1</sup>، والشيخ علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الذي كان حتى مع كبر سنه لا يقطع الطلب والسمع...

ومن أشهر الفقهاء الذين عاصروهم القاضي عياض وذكر ما عرف عنهم من جهود عظيمة في خدمة الدين ونشر العلم وأحكام الشريعة الإسلامية في أوساط الرعية مع الحضور الغفير للناس من الخاصة والعامة لمجالسهم نذكر:

- الشيخ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد سمع منه كثيرا من الناس لعلو سنده<sup>2</sup>.

- الشيخ الجبائي رحل إليه الناس من الأقطار وحملوا عنه، وإليه كانت الرحلة في علم القراءات، أين قرأ عليه عدة من المشايخ والكهول والشباب<sup>3</sup>.

- غالب بن عطية المحاربي تصدر للتدريس، الفتيا، الإسماع والتفسير ببلده غرناطة وأخذ عنه الناس كثيرا وانتفعوا به وكان شيخهم المقدم<sup>4</sup>.

1- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص162.

2- نفس المصدر، ص106.

3- نفس المصدر، ص148-149.

4- نفس المصدر، ص 190.

هو غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خفاف بن أسلم بن مكرم بن ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس، وجدهم عطية بن خالد وهو الداخل إلى الأندلس في الفتح، تفقه صغيرا على فقهاء بلده كالفقيه أبي الربيع ابن الربيع، وتأدب وقرأ القراءات السبع على أبي علي الحسن بن عبيد الله الحضرمي، أجاد أولا الشعر ونظم الكلام، ثم عطف على الحديث والفقه، سمع من شيوخ الأندلس أمثال أبي بكر ابن صاحب الأحباس، وأبي محمد بن أبي قحافة، وله رحلة قديمة إلى الشرق لقي فيها بقية رجال إفريقية وتفقه معهم في الأصول والفقه، وصحب في مصر الواعظ أبا الفضل الجوهري، وبمكة أبا عبد الله الجاحظ المري وأبي عبد الله الطبري وأخذ عنهم، وحصل هناك علما جما في الاعتقاد والأصول وتقدم في علم الحديث وأحسن التقييد والضبط، تصدر ببلده غرناطة الفتيا، التدريس، الإسماع والتفسير وانتفع به الناس، فقد بصره في أواخر أيامه، توفي سنة 510هـ. القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 189-190.

- شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني "فأقرأ عمره وتفاخر الناس بالأخذ عنه وتقلد خطبة إشبيلية نحو خمسين سنة وولي قضاء إشبيلية ولم يقطع الإقراء والأخذ عنه في تلك المدة إلى أن صرف فلزم الإقراء والسماع والقيام بالخطبة والصلاة إلى أن أقعده الكبر عن ذلك ولم يقدر على التصرف ولزم داره فاستخلف على الصلاة وأخذ الناس عنه إلى أن أعطله الكبر والخرف"<sup>1</sup>.
- طاهر بن هشام الذي سمع منه خلقا كثيرا<sup>2</sup>.
- الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجواني الذي رحل الناس إليه من كل مكان وقطر<sup>3</sup>.

ولم تقتصر جهود الفقهاء في نشر العلم بين الرعية على التدريس، بل تعداه إلى التأليف، خاصة أنه في تلك الفترة كان الحال يدعو للتصنيف لطول الأسانيد، ككل الفهم، وقلة الحفظ مع انتشار الطرق<sup>4</sup>، فعرف عنهم كثرة التصنيف، حتى أن منهم من لم يضبط كتبه لكثرتها. فألفوا توالي حسان لها فوائد عظام<sup>5</sup>، عملوا من خلالها على الحفاظ على العلوم من الاندثار، صيانة الأسانيد عن الانقطاع، منع نشر البدع والضلالات، تسرب الأفكار والمذاهب الخارجية، وانتشرت مصنفاتهم بين أوساط الرعية وساعدت كلا من لم يسعفه الحظ في تذكر ما درس من التحصيل العلمي أو لم يستطع حضور دروس الفقهاء مباشرة أن يجد مصنفاتهم التي تعوضه على ذلك، ويجب الذكر هنا أنه ليس كل المؤلفات قوبلت باستحسان الرعية، فقد

<sup>1</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 213.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 184.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 191.

<sup>4</sup>- القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 149.

<sup>5</sup>- انظر القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص ص 28، 54، 150، 138، القاضي عياض: ترتيب المدارك،

نفس المصدر، ص 186.

تطرق القاضي عياض في ذكره لكتاب المحلى للفقير محمد بن سليمان بن خليفة الذي ألف في شرح الموطأ أنه لم يلق استحسانا وانتشارا عند الناس<sup>1</sup>.  
ومن خلال هذا الجدول سنحاول ذكر بعض المصنفات التي صنف في تلك الفترة بالاعتماد على ما ذكره القاضي عياض.

جدول رقم (6): أسماء المصنفين وعناوين مصنفاتهم

أسماء الفقهاء	عناوين الكتب
محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي	رسالة الفقيه ابن حمدين وردوده على الغزالي
محمد بن أحمد بن رشد	البيان والتحصيل في شرح كتاب العتبي، المقدمات، كتاب في إختصار الكتب المبسطة.
محمد بن خلف بن سليمان الأريولي	كتاب التنبيه، كتاب الذيل.
محمد بن خمس	المنتقى من كلام أهل التقى
أحمد بن طاهر بن علي بن شبرين	أطراف الموطأ، مصنف رجال مسلم.
الحسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجواني	تقييد المهمل وتمييز المشكل
عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن الجذامي	شفاء الصدور
أحمد بن سليمان بن خلف الباجي	معيار النظر، سر النظر، البرهان.
محمد بن سليمان بن خليفة	كتاب المحلى
عبد الرحمن بن القاسم الشعبي المالكي	كتاب في نوازل الأحكام
حسين بن محمد الغساني	تقييد المهمل

المصدر: من إنجاز الباحثة<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ص 187.

<sup>2</sup> - تم إنجاز الجدول بالاعتماد على مصنف القاضي عياض: الغنية، وترتيب المدارك، ج8.

إضافة إلى ما سبق فإن من مناهج الفقهاء في التعامل مع الرعية، التوجيه والإرشاد، الذي جعلوه مسلكا لهم في التعامل مع الناس، يعظون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر<sup>1</sup>، حتى أنه منهم من سمي بالواعظ لكثرة نصحه وتوجيهه للرعية وهو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشارقي وهو شيخ صالح من أهل الأندلس كان يعظ الناس ويذكرهم<sup>2</sup>. فكانت مجالسهم بالإضافة إلى نشر العلم، مخصصة للذكر والتوجيه مع توضيح أحكام الشريعة للناس، وللإجابة على مسألتهم واستفساراتهم، يوضحون لهم الحلال، وينهونهم عن الحرام، وكل ما ينفعهم في أمور دينهم، بكل تواضع وحلم، فقد عرف على أكثرهم حسن الخلق، ملاحه المجلس وكثرة الخير، وقد اتفق الناس على فضلهم وصلاتهم<sup>3</sup>. وكانوا من أهل الخير التام والفضل الكامل، سلكوا طريق الزهد، الورع، والتواضع مع الرعية، وتميزوا بحسن الصحبة وكرم العشرة، يكرمون الكبير ويوقرون الصغير، كثيرون السؤل عن الناس والعيادة لمرضاهم والمواساة لهم، كثيرون الصدقة للفقراء، ولهم حظ وافر من البر، فبعد صيتهم وعظمت رياستهم وسط الرعية<sup>4</sup>. وتولوا منصب الخطابة، الصلاة<sup>5</sup>، والقضاء، هذا الأخير الذي عملوا فيه على إعلاء كلمة الحق وإقامة العدل بين الناس، سلكوا فيه مسلك العدل بين الناس، النزاهة والجرأة على الطريقة القويمية، عرف عنهم التشديد على أهل الباطل من الخاصة والعامة دون تفريق، كانوا حماة الرعية ضد السلطة، لا يخافون في الله لومة لائم<sup>6</sup>.

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج3، ص ص 91، 85.

2- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 114.

3- نفس المصدر، ص ص 47، 68، 217.

4- انظر القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص ص 149، 159، 157، 210، 176، القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 200.

5- انظر القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 76 وغيرها.

6- انظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ج8، ص 201-203.

فأقاموا الحدود<sup>1</sup>، فصلوا بين الناس في الخصومات، ردوا حقوق اليتامى، المساكين، الفقراء، أصحاب الأحباس... ونظموا المعاملات التجارية في الأسواق بين المشتري والبائع، حموا حقوق الدائنين من تهرب المدينين، اهتموا بقضايا أهل الريف والقرى، حافظوا على الملكيات العامة من الاستغلال الفردي<sup>2</sup>.

وقد سلك القضاة مع الرعية عدة مسالك، فمنهم من سلك مسلك العدل والزهد<sup>3</sup>، أمثال القاضي ابن سكرة الذي اشتدت في الحق شكيمته وحمدت سيرته<sup>4</sup>، ومنهم من سلك مسلك الشدة مع الرعية أمثال مروان بن عبد الملك الذي سلك مسلك عظيم من الغلظة والشدة، مؤكداً أن ما يحدث للناس من أفضية يقابله ما أحدثوه من فجور<sup>5</sup>، ومنهم من سن من القضاء سنن على الرعية لم يعتادوا عليها أمثال القاضي محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم الكتامي الذي جعل النساء والرجال يلبسون سراويل ولم يلبسوها من قبل<sup>6</sup>.

ولم تكن العلاقة بين الفقهاء والرعية على توافق دائم، فمن الفقهاء من امتحن مع الرعية أيما امتحان، فمنهم من قتل من قبل الرعية كالقاضي محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ابن الحاج الذي طعن بحديدة وهو ساجد في صلاة الجمعة وقتل العامة على الفور قاتله<sup>7</sup>، ومنهم من عزل من القضاء بسبب العامة كما حدث للفقير محمد بن رشد الذي عزل من قضاء قرطبة بسبب الهيج الكائن بها من العامة<sup>8</sup>، ومنهم من طعن في حديثه كالفقيه ابن

1- وأقاموا الحدود في حق الأفراد من الرعية الذين دخلوا مجال الخطأ، ومن الحدود التي كانت تنفذ: حد القصاص، الحراية،

السرقه، الزنا، القذف... انظر القاضي عياض: التنبهات، المصدر السابق، ص ص 2123، 2103، 2134، وغيرها

2- انظر القاضي عياض وابنه محمد: نوازل الأحكام، المصدر السابق، ص ص 173، 203-204، 159-162، 153-

154، 140-142، 149-151، وغيرها

3- انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص ص 179، 199، 201-203، 178، 193،

القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص ص 29، 199، 124.

4- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 131.

5- القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، ج8، ص 177.

6- نفس المصدر، ص 175.

7- القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص ص 47-48.

8- نفس المصدر، ص 54.



العربي الذي أكثر الناس في كلامه وطعنوا في حديثه لغرائب حكاياته ورواياته وكثرة حديثه وأخباره<sup>1</sup>، كما تمكن الناس من مطالبة القاضي محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي بعد عزله من القضاء وولاية عدوه ابن أبي الحاج ولكن نجاه الله منهم<sup>2</sup>، ومن الفقهاء من كان يحب اعتزال الناس والانقباض عنهم أمثال القاضي عبد الرحمن بن منتيل السرقسطي<sup>3</sup>.

وعلى الرغم من ذلك وعلى العموم كان للفقهاء مكانة رفيعة في نفوس الرعية مقدرين من الخاصة ومحترمين من العامة لعلمهم وفضلهم، وأبرز ما يوضح تلك المكانة أنه كان لوفاء أحدهم تحتل الرعية لجنائزته، وتولع بنعشه بالأكف ولمس أطراف الثياب تبركا بها<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> - القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 68.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص 175.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: الغنية، نفس المصدر، ص 167.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 29.

## ثانياً: دور القاضي عياض في علاقة السلطة بالرعية

كان القاضي عياض يعلم جيداً المنهج المتبع في الشريعة الإسلامية في علاقة الراعي بالرعية ويعلم أن التراضي والتوافق بين السلطة والرعية هو السبيل الوحيد لاستقرار المجتمع وتماسك بنيان الدولة، وبحكم مكانته عند الطرفين كان له دور فعال في استقرار العلاقة بينهما وبقاء الترابط الوثيق بين الرعية ودولة المرابطين، وجعل دولة الموحدين تعينه ممثلاً لها أمام الرعية، وتبقيه في منصبه على الرغم من الاختلاف بينهما، ليس إلا لضمان قبول الرعية للسلطة، ولمعرفة دوره في استقرار العلاقة بين السلطة والرعية سنحاول تبين دوره الفعال كمشرع، وسيط، وممثل لهما، مع التأثير الذي كان يلعبه في علاقة أحدهما بالآخر.

### 1. دور الفقيه:

بحكم فهم القاضي عياض في العلوم الشرعية وتخصصه فيها علماً وعملاً، فإنه كان يعلم كل ما يخص السلطة والرعية في الشرع الإسلامي، وما يتعلق بالعلاقة التي تربط بينهما، وواجبات كل من الطرفين وحقوقه، يقول القاضي عياض في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"، "الراعي هو الحافظ المؤمن، وأصله النظر، رعيت فلانا نظرت إليه، ومنه: رعيت النجوم، ومنه قولهم: راعنا، أي حافظنا"<sup>1</sup>، وهذا تفسير من تفاسير القاضي عياض للأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء التي تتحدث حول واجبات الإمام نحو رعيته والعكس، وضحاها في دروسه ومصنفاته سنحاول وضعها في النقاط التالية:

أ. واجبات الراعي نحو الرعية:

- وجب على من تولى من أمر المسلمين شيئاً بالعدل فيه والقيام بمصلحة ما تولاه<sup>2</sup>، فعلى كل مسلم تقلد خلافة، إمارة، ولاية، إقامة العدل فيما تقلده من الرعية وفيما يلزمه من حقوق من تولاه منهم، لقوله الرسول صلى الله عليه وسلم:

<sup>1</sup> - القاضي عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، المصدر السابق، ج6، ص 229.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 230.

"إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَغْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ"<sup>1</sup>.

- التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله شيئاً من أمرهم واسترعاه عليهم والتذكير بما وجب عليه النظر في أمور رعيته والنصح لهم، شرحاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"، وفي حديث آخر: "مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ"<sup>2</sup>.
- الرفق بالرعية وعدم إدخال المشقة عليهم، وهو الأمر الذي أمر به الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - وحض عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في غير حديث منه قوله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ"<sup>3</sup>.

- تحريم الغلول، وهو الخيانة في بيت مال، الزكاة، الغنيمة، بحيث لا يجوز للإمام الأخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها، مبيناً أنه من الكبائر وشهرة المعاصي في الآخرة يوم تبلى السرائر، لقوله تعالى: "وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (سورة ال عمران، الآية 161)، وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - الغلول فعظمه وعظم أمره، فقال: "لَا أُفِينَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنَيْ، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُفِينَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنَيْ، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُفِينَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا نُغَاءٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنَيْ، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ

<sup>1</sup>- القاضي عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، المصدر السابق، ج6، ص 227.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 231.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 229.

لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُنْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاخٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِيَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُنْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِيَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُنْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِيَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ"<sup>1</sup>.

- كما تحدث القاضي عياض عن تحريم قبول الأمراء والعمال في السلطة للهدايا، واعتبرها خيانة لله تعالى وللمسلمين، لأن تلك الهدايا هي إما من أجل التصنع إليه والتودد والتقرب له من أجل ولايته أو أنه يأخذها ليسامحهم في بقية ما يأخذ منهم، واستجابته لذلك هو خيانة للأمانة الملقاة على عاتقه، مؤكداً أن هدايا الأمراء غلول وأن تلك الهدايا يجب إضافتها إلى أموال الرعية<sup>2</sup> لما جاء في الحديث النبوي الشريف، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وابن أبي عمير واللفظ لأبي بكر - قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري عن عروة عن أبي حميد الساعدي، قال استعمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً من الأسد يقال له: ابن اللّتيبة - قال عمرو وابن أبي عمير: على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي. قال: فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: "مَا بَالُ عَامِلٍ أْبَعْتُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِي لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ

<sup>1</sup> - القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج6، ص233-234.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 236-237.

الْقِيَامَةَ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا حُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَبْعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ<sup>1</sup>.

- النظر في أحوال الرعية من ولاة الأمور واجب لا بد منه، مؤكداً ذلك بما وعظ مالك بن أنس الخليفة أبا جعفر المنصور<sup>2</sup>، وما قاله لبعض ولاة الأمور: "افتقد أمور الرعية، فإنك مسؤول عنهم، فإن عمر بن الخطاب قال: والذي نفسي بيده لو هلك جمل بشاطئ الفرات ضياعاً لظننت أن الله يسألني عنه يوم القيامة"<sup>3</sup>.
- واجب التقصي والتحري من الإمام عن يتم تعيينه على أمور الرعية، وعزل كل من لم يكن مؤهلاً لذلك، مستدلاً بما حدث بين مالك بن أنس ووالي المدينة الذي استفتاه في أمر فرض الإجابة عليه ذاكراً له أنه ولي على المسلمين شخصاً غير مؤهل لذلك، فعزله فوراً<sup>4</sup>.

#### ب. واجبات الرعية نحو السلطة:

- وجوب طاعة الأمر في غير معصية، فقد أكد القاضي عياض أنه لا خلاف في وجوب طاعة الرعية للأمر والولاية فيما لا يخالف أمر الله وما لم يأمر بمعصية، وذلك في شرحه لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" (سورة النساء الآية 59)، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِي الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"<sup>5</sup>.
- لا يجوز خروج الرعية على الإمام العدل إلا إن وقع على وال أو إمام كفر أو تأويل بدعة أو تغيير شرع، هنا خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب

<sup>1</sup>- القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج6، ص 236.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص126.

<sup>3</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص 96.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 111.

<sup>5</sup>- القاضي عياض: إكمال المعلم، نفس المصدر، ص 240.

على الناس خلعه والقيام عليه ونصب إمام عادل مكانه إن أمكنهم ذلك طبعاً، فإن لم يمكنهم ذلك ولم يطرأ عليه كفر بواح وحدث فسوق فيه صبراً على ذلك لحديث عبادة بن الصامت الذي قال: "دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ"<sup>1</sup>.

- وجبت حماية الإمام العادل ونصرته على العدو، ومن خرج عليه من الناس، والرجوع إليه في كل الأمور، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرُ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ"<sup>2</sup>.

- لا بد للرعية من خليفة يقوم بأمرها، وإذا تمت البيعة الشرعية وجب على كل فرد الوفاء ببيعة الخلفاء والوفاء بحق الإمام من السمع والطاعة، ولا يجوز للرعية أن تعقد البيعة لخليفتين في وقت واحد لقوله صلى الله عليه وسلم: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْتُمُونَ. قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُؤَا بَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ"<sup>3</sup>.

- طاعة الأُمراء وإن منعوا الحقوق، والصبر على جور الولاية ولزوم الطاعة واجب على الرعية وإن استأثروا بالمال دونهم وذلك تطبيقاً للحديث النبوي الشريف، سَأَلَ سَلْمَةَ بِنْتُ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتِ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟

<sup>1</sup>- القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج6، ص 245-246.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 249.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 250.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّلَاثَةِ، فَجَدَّبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ"<sup>1</sup>، كما ذكر القاضي عياض العديد من القصص عن فقهاء صبروا على جور الولاة وظلمهم، في مقدمتهم شيخهم مالك بن أنس الذي جلد على يد جعفر بن سليمان ثمانين جلدة وقيل عامله وخلع كتفه، حتى أنه كان لا يستطيع أن يسوي رداءه وكانت آثار السياط في ظهره قد شرحته تشريحا، وقال الفروي والعمري إنه لما ضرب حمل مغشي عليه فدخل الناس عليه وعندما أفاق أخبرهم أنه جعل ضاربه في حل مما فعل وذكر المطرف أنه بعدها أتاه جعفر بن سليمان يسأله أن يجعله في حل من ضربه فأجابه في ذلك وزاده دعوة صالحة له<sup>2</sup>.

- تحريم الخروج على السلطان والتزام الوفاء للإمام في أوقات الفتن وخروج أصحاب الطوائف والبدع، لقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"<sup>3</sup>. وعن حذيفة -رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَفِيهِ دَحْنٌ"، قُلْتُ: وَمَا دَحْنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ"، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: "هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَسْنَتِنَا"، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَلَزِمِ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ"، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ

<sup>1</sup>- القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج6، ص 253-254.

<sup>2</sup>- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص 132-133.

<sup>3</sup>- القاضي عياض: إكمال المعلم، نفس المصدر، ص 259.

يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"<sup>1</sup>. كما ذكر القاضي عياض أن مالك بن أنس لزم وبيته وقت ظهور الفتنة ولم يخرج منه ولم يخرج لصلاة الجماعة والجمعة سبع سنين حتى قتل محمد بن الحسن<sup>2</sup>.

## 2. دور الوسيط بين السلطة والرعية:

هناك العديد من المواقف التي جعلت القاضي عياض يقوم بدور الوسيط في العلاقة بين السلطة والرعية مع تأثير كبير إيجابي كان أم سلبي، فهو كما نعلم كان إحدى أجنادات دولة المرابطين، عمل تحت قيادتها في القضاء، التدريس، الخطابة، ينفذ أحكامها في القضاء على الرعية ويدرس مناهج التعليم المفروضة من قبلها وفي آن واحد كان للرعية أب وقائد، يدافع عنها ويحميها ويمثل دور الوساطة بينها وبين السلطة.

### أ. ممثلاً للسلطة:

عينت السلطة القاضي عياض ممثلاً لها أمام الرعية في العديد من الخطط الدينية الشرعية من خطابة، صلاة، تدريس، قضاء، وهي مناصب كما ذكر ابن خلدون مندرجة تحت الإمامة الكبرى، متفرعة عنها، داخلة في تمثيل الخليفة ونظره في أحوال الرعية الدينية والدنيوية<sup>3</sup>.

- إمامة المسجد وتولي الخطابة: ذكرت لنا المصادر العديد من الخطب المنسوبة للقاضي عياض، وهي خطب أقيمت في صلاة الجمعة أو العيدين، والتي تؤكد توليه منصب إمامة المسجد<sup>4</sup>، وقد اعتبر ابن خلدون منصب الإمامة أرفع الخطط الدينية

<sup>1</sup> - القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج6، ص 255-257.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص 54.

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان يلقب بالنفس الزكية، خرج على المنصور العباسي بالمدينة سنة 145هـ، وقتل وهو ابن 45 سنة، القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس المصدر، هامش ص 54.

<sup>3</sup> - انظر ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 273.

<sup>4</sup> - الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، المرجع السابق، ص168.



في الدولة، وهي منصب يفوض من قبل سلطان أو وزير أو قاض، ينصب فيه الإمام على الرعية في الصلوات الخمس، الجمعة، العيدين، الخسوف<sup>1</sup>...

- **التدريس:** كانت مهنة التدريس في تلك الفترة تكون إما بتعيين من السلطة مباشرة، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمجالس التعليمية في أكابر المساجد في الدولة، أو يكون بتطوع من الفقيه مع تصريح من السلطة إذا كانت مساجد العامة<sup>2</sup>، وفي كلتا الحالتين كان المدرس يقوم بتدريس المناهج التعليمية المفوضة من السلطة في نطاق برنامجها المسطر لنشر الوعي والعلم في أوساط رعيته.

وكان القاضي عياض من المدرسين الدواميين على إسماع الرعية الحديث وتدريسها الفقه مع قراءة مصنفاة على الطلاب، يجتهد ويصبر على ذلك في أحلك الظروف، ويمثل الدولة في خطتها التعليمية والتربوية أحسن تمثيلا، حيث نجده لا ينقطع عن التعليم حتى في أيام الفتن والحروب، وهو إن أكد على شيء فهو تحمل القاضي عياض المسؤوليات الموكلة له من قبل السلطة بكل أمانة<sup>3</sup>.

- **الفتيا والقضاء:** كان القاضي عياض من مقدمي المفتيين بمدينة سبتة، يقصده الخاصة والعامة من الرعية في ذلك، لمكانته العلمية والدينية، فكان حافظا للمسائل، سريع البديهة، مستحضرا للأدلة في فتياه، أين مثل الدولة في هذا المنصب أحسن تمثيلا، خاصة إذا ما عرفنا حساسية هذا المنصب، فمنصب الفتيا من أهم الخطط الدينية التي وجب على الخليفة ردها إلى من هو أهل لها من أهل العلم، لأنه يوضح للعامة ما غمض لهم من أمور دينهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 273.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص 274.

<sup>3</sup>- انظر محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 12، حسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب

وإمام أهل الحديث في وقته، المرجع السابق، ص 158.

<sup>4</sup>- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 274، حسين بن محمد شواط: نفس المرجع، ص 167.

وإضافة إلى ذلك اعتلى القاضي عياض منصب القضاء، هذا المنصب الذي يحتل مركزا مهما في الشريعة الإسلامية ويعتبر ركنا أساسيا في السلطة، فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، والذي تمثل الصورة الحقيقية للتطبيق الصحيح للأحكام الشرعية من خلال الفصل بين الناس في الخصومات وقطع المنازعات<sup>1</sup>. وهو من المناصب الأساسية التي تضمن الاستقرار الاجتماعي داخل الدولة، ذلك أنه يحقق العدل، يمنع حدوث الظلم، ويوقف أهل السلطة عن تجاوز الحد في تعاملهم مع الرعية<sup>2</sup>، وإن تحقق ذلك تحقق عدل السلطة، ورضا الرعية وخضوعها، وهو ما أكده ابن خلدون عن لسان الموبدان صاحب الدين عند الفرس: "إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك"<sup>3</sup>.

وقد ولي القاضي عياض منصب القضاء مرار، وكانت توليته للقضاء باختيار من سلطة المرابطين أولا، ثم الموحدين بعد توليهم زمام الحكم، ممثلا لهم أمام الرعية، فسار فيه بالعدل، أين كان صلب في الحق، مقيما للحدود، معيدا لحقوق الناس، حتى من الأمراء أنفسهم، يستقصي منهم حوائج الرعية، غير هبوب لهم<sup>4</sup>، جعلت منه القاضي العادل، الحازم والنزيه، مشكورا عند جميع الناس، محبا في قلوب العامة والخاصة، عظيم الجاه، بعيد الصيت<sup>5</sup>.

1- محمد الزحيلي: المرجع السابق، ص 5، 12، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 275.

2- حسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، المرجع السابق، ص 179.

3- ابن خلدون: نفس المصدر، ص 354.

4- محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 5.

5- نفس المصدر، ص 10-12.

والقضاء بهذه الصفات كان من أعظم أسباب صلاح المجتمع، فهو يمنع الظلم، ينشر العدل، ويوقف أصحاب السلطة عن تجاوز الحد،<sup>1</sup> والسلطة التي يتقوى في ظل حكمها صاحب الحق، ويضعف عندها القوي حتى ولو كان صاحب سلطة، تكون محمودة الطريقة عند رعيته.

والقاضي عياض بتوليته منصب القضاء كان يمثل سلطة من سلطات الدولة أمام الرعية، يحمي الحقوق، يطبق الشريعة الإسلامية، يلزم الناس بها ويمنع ما يضر أفراد الرعية، خاصة كانت أو عامة،<sup>2</sup> أين استطاع من خلال منصبه في القضاء مساعدة الرعية في:

- الفصل في النزاعات والخصومات بين أفرادها.
- المحافظة على أموال السفهاء والمجانين منهم بإلزام الولاية لهم.
- النظر في الأحباس والأوقاف.
- إقامة الحدود على مستحقيها من المخطئين منهم.
- الحفاظ على أموال اليتامى والمساكين.
- حماية حقوق الأفراد واستيفاء الحق لمن طلبه.
- تنفيذ الوصايا على حسب ما طلب الموصي.
- حفظ الأموال والملكيات العامة وحمائتها من الاستغلال الفردي<sup>3</sup>.

وغيرها من القضايا التي حقق بها العدل واستطاع بها تنفيذ قانون الدولة وتنظيم المجتمع، جعلت منه صورة من صور السلطة في الأمانة، العدل، النزاهة، والالتزام بأمور الشرع وتطبيقها، جعلت الرعية شاكرة للسلطة على تعيينها القاضي عياض قاضيا عليها.

<sup>1</sup> الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، المرجع السابق، ص 179.

<sup>2</sup> محمد الزحيلي: المرجع السابق، ص 13. (بتصرف)

<sup>3</sup> انظر القاضي عياض ومحمد: المصدر السابق، ص ص 75، 87، 137، 178، وغيرها.

هذا الشكر كان جليا وواضحا في عصر دولة المرابطين، أين نجد طيلة فترة حكمها لم يقيم أهل سبتة بأي تمرد ضدها طيلة تمثيل القاضي لها في القضاء، التدريس، الإمامة والخطابة، فكان الواجهة المثالية، والرابط القوي بين دولة المرابطين وأهل سبتة.

#### ب. ممثلا للرعية:

لعب القاضي عياض دورا فعالا في توصيل رغبات وانشغالات الرعية للسلطة، فمكانته الرفيعة في أوساطهم جعلتهم يقدمونه للحديث عنهم وتمثيلهم، وذكرت لنا المصادر ثلاثة مواقف ناب فيها القاضي عياض عن الرعية ومثلهم أمام أصحاب السلطة، وقد اعتبرت من أهم المواقف التي مرت على حياة القاضي عياض وهي:

- **الموقف الأول:** كان في فترة حصار قوات الموحدين لمدينة سبتة، أين انتدب أهلها القاضي عياض لتقديم الاستسلام والبيعة لخليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي، فانطلق القاضي إلى مدينة سلا منطقة معسكر الموحدين للقاء الخليفة ممثلا عن أهل مدينته، وكان اللقاء وديا استطاع من خلاله القاضي عياض الحصول على الأمان لسكان مدينة سبتة<sup>1</sup>.

- **الموقف الثاني:** حدث بعد قيام الفتنة في مدينة سبتة، أين قام سكانها ضد حامية الموحدين فيها وأحرقوها، ثم بعث أهلها القاضي عياض مفوض عنهم إلى يحيى بن غانية، معلنين له الوفاء والعصيان لدولة الموحدين، طالبين إرسال نائب عنه إلى المدينة لتسييرها والدفاع عنها والعودة تحت راية المرابطين<sup>2</sup>.

- **الموقف الثالث:** وقع بعد الحصار الشديد لمدينة سبتة، أين أيقن السكان أنه لا مفر من الاستسلام والخضوع إلى حكم الموحدين، خاصة أنهم لم يكن لهم من القوة والاستطاعة على الاستمرار في المواجهة، وهنا أرسلوا وفدا من أعيان وكبراء

<sup>1</sup>- انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص307. محمد: المصدر السابق، ص 12، المقري: المصدر السابق، ج3،

ص 11، الناصري: المرجع السابق، ص 113.

<sup>2</sup>- انظر محمد ابن القاضي عياض: نفس المصدر، ص 12.

المدينة، يقدمهم القاضي عياض موفد وممثل عنهم أمام خليفة الموحدين، لطلب العفو والعودة تحت راية الموحدين، مع تجديد البيعة له، حيث نجد القاضي عياض في هذا الموقف يفدي أهل بلده بكل شجاعة وجرأة، يقدم نفسه عن أرواحهم، ذاهبا إلى الخليفة عبد المؤمن وهو المتمرد على حكمه، الخارج عن طاعته، على الرغم من المعاملة الجيدة التي قابله بها في أول لقاءهما. ويبدو أنه أجاد تمثيلهم أحسن تمثيلا، أين نجده يستعطف الخليفة ويستلطفه بكلامه، ملتمس العفو لأهل بلده، محاولا إقناعه بذلك وهو ما كان له، فقد عفا عبد المؤمن بن علي على أهل بلده، لكن كان جزاؤه النفي من بلده<sup>1</sup>.

### 3. دور المؤثر:

جمع بين القاضي عياض والرعية صلة وثيقة، سواء أهل مدينة سبتة أو غيرها من المدن الأخرى في المغرب والأندلس على حد سواء، وذلك لصيته الواسع وعلمه الوافر، حتى أنه اعتبر مقدم علماء المغرب في تلك الفترة لشهرته بين الناس<sup>2</sup>. هذا ما جعله يملك قدرة مميزة على التأثير على الرعية من كل الجوانب الاجتماعية منها والسياسية، دفعت بالسلطة للتحرك للاستفادة من هذا التأثير قبل أن يكون ضدها، هذا التأثير الذي كان له استطاعة عجيبة في صنع التقارب أو التنافر بين الرعية والسلطة، وذلك من خلال العديد من الجوانب التي برع فيها القاضي عياض، تمثلت في:

#### أ. مصنفاته:

تعتبر الكتب من أيسر طرق التواصل الإنساني وانتشار الأفكار وتناقلها بين الناس، كما لديها القدرة الفعلية لتغيير أفكار الناس وتوجيهها، خاصة المصنفات الجيدة منها، والتي تنتشر بطريقة سريعة لتصل أكبر عدد من الناس، لجودة مؤلفها وموضوعاتها.

<sup>1</sup> محمد ابن القاضي عياض: المصدر السابق، ص 12-13.

<sup>2</sup> انظر الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، المرجع السابق، ص 27-

وعرف عن مصنفات القاضي عياض كما ذكرنا سابقا الانتشار الواسع في أوساط الرعية على اختلاف مستوياتهم من فقهاء، علماء، طلاب العلم، والعامّة من الناس، أين طالعوها وتناقلوها بينهم، تلك المصنفات التي كانت تحمل بين طياتها رؤى وتوجهات القاضي عياض السياسية، من خلال ما كان يبديه فيها من أقاويل وتعقيبات، كان لها التأثير المباشر والغير المباشر على السلطة وانتماءاتها المذهبية.

#### - تأثيرها على سلطة المرابطين:

- نجده يذكر فقهاء سلطة المرابطين وأصحاب السلطة الدينية في مصنفاته بكل ذكر حميد، بداية من مؤسسها إلى غاية معاصريه<sup>1</sup>.
- استند في ذكر أمراء دولة المرابطين على عبارات التوقير والموالاة، مع التأكيد على سداد مذهبهم ... "لأمير المسلمين علي أيده الله"<sup>2</sup>، "أمير المسلمين أيده الله"<sup>3</sup>، "السلطان أيده الله"<sup>4</sup>، "أمير المسلمين يوسف"<sup>5</sup>، "وكان أمير المسلمين علي بن يوسف يصفه بذلك، ويعرف حقه ويكرمه ويمارحه وكان هو يدل عليه بصحبته وسلامة مذهبه"<sup>6</sup>.
- شرح الأحاديث التي ترشد الرعية إلى الثبات على بيعة أمراء المرابطين وتقديم الطاعة، مع تأكيد عدم القيام بالتمرد والعصيان<sup>7</sup>.
- صنف كتاب خاص بدولة المرابطين، والمؤكد أنّ فيه تذكيرا على سلامة مذهب فقهاءها وبطولة حكامها، للأسف مفقود.

<sup>1</sup>- انظر الفصل الثاني (علاقة القاضي عياض بفقهاء السلطة، وعلاقته بأمراء دولة المرابطين)

<sup>2</sup>- القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص 171.

<sup>3</sup>- نفس المصدر، ص 190.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 195.

<sup>5</sup>- نفس المصدر، ص 197.

<sup>6</sup>- نفس المصدر، ص 156.

<sup>7</sup>- انظر القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج6، ص 240-261.

- تأثيرها على سلطة الموحدين:

- وضع في مصنفاته ردود سلبية على عقيدة المهدي ابن تومرت وكذب ادعاءاته<sup>1</sup>.
- وصف المهدي ابن تومرت بالكثير من الأوصاف التي تؤدي إلى الشك والريبة حوله وتؤثر على مصداقيته أمام الرعية، منها: الغوي، الكاذب<sup>2</sup>، العدو، اللعين<sup>3</sup>.
- شرح وبين الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن عاقبة تفرقة كلمة المسلمين بعد اجتماعهم على حاكم واحد، مؤكدا على أن كل رجل يريد أن يعزل إماما اتفقت الرعية على إمامته وجب عليهم وضع حد له ولو بقتله، وذلك دفعا لشره وحقنا لدماء المسلمين...<sup>4</sup>، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ستكون هنأت وهنأت، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف، كائنا من كان"<sup>5</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا بويغ لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما"<sup>6</sup>.

ب. خطبه:

يعتبر فن الخطابة وسيلة من وسائل التأثير على الناس وإقناعهم، خصوصا الخطب السياسية منها والتي يهدف بها الخطيب إلى إثارة العقل والتفكير عند الرعية وتحويل آرائهم صوب ما يصب إليه في خطبته من توجهات سياسية<sup>7</sup>.

1 - انظر الفصل الثاني (علاقة القاضي عياض بابن تومرت)

2- انظر القاضي عياض: الإلماح، المصدر السابق، ص 44.

3- انظر القاضي عياض: الشفا، المصدر السابق، ص 10.

4- انظر القاضي عياض: إكمال المعلم، المصدر السابق، ج 6، ص 262.

5- نفس المصدر، ص 262.

6- نفس المصدر، ص 263.

7- أبا علال مولود: الحجاج في الخطابة السياسية عند أبي بكر الصديق، مجلة آفاق، المجلد 13، ع 01، 2012م،

ص 281.

ويبدو أن القاضي عياض قد اعتمد على الخطابة في استمالة الناس وإقناعهم بأفكاره وتوجهاته السياسية، مع التأثير عليهم بالحجج والأدلة من القرآن والسنة، أين وجدنا له خطبتين، إحداهما تبجل بطولات أمراء الرابطين أمام الرعية، والتي نصها: "... فأخلصوا، رحمكم الله، الدعاء لمن كان هذا الفتح المبين بيمين نقيبته وشدة بطشه وقوة سريرته الأمير: أبو فلان أدام الله توفيقه ونصره، وقوى بطاعته وتقواه عضده، وأزره، وأجزل على صنعه الجميل ثوابه وأجره، وقد جعل دون نحوركم نحره، وأرواحكم من تعدي العدو وكفاحكم ضره، اللهم أوزعه وأوزعنا شكر هذا النعيم، واحجب عن حوزته وعنا الغير والغم، وأجعل ثاره وثأرنا على من ظلمنا..."<sup>1</sup>.

والثانية تدعو للحذر والحيطه من العدو والاستعداد والتهيؤ لمواجهة، قد يكون خطبها قرابة وصول جنود الموحدين إلى أسوار سبتة والتي نصها: "... أيها الناس انظروا لأنفسكم، واستيقظوا من غفلتكم، وتأملوا ما يراد بكم، واستعدوا لما أعد لكم، وتحفظوا قبل أن يحاط بكم فإنكم تستقبلون خطبا جسيما، وتنتظرون عن قريب أمرا عظيما، فقد صار أعداءكم عليكم إلبا، وتحالفوا عليكم شرقا وغربا، واحتشروا إليكم برا وبحرا، ... فقد جدت بكم الحرب فجدوا، وشمرت عن ساقها فشدوا، وأعدت لكم مكايدها فاستعدوا، ومدينتكم هي التي رموا إليها أبصارهم وأجمعوا عليها كيدهم وأنصارهم، وهي عرضة للهلاك إن لم تشيد، وفرصة للعدو إن لم ترتب أمورها، وتسد... واعملوا ما دام يمكنكم العمل في هذه الأيام، قبل أن يشغلكم العدو، فقبل الرمي تراش السهام، "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..."، ... فقد ألزمتكم من له الأمر عليكم، كما ألزمتكم الله وأمركم، وتوقعوا عرضا يكشف حالكم، ممن لا يسامحكم في ذلك ولا يقدركم، وأخلصوا نباتك، وأسرار ضمائرهم، في جهاد عدو قد قصدكم في عقر داركم، وغيروا غيرة الرجال في حمى دارك، وشدوا حيازيمك، وكونوا على عدوكم يدا، " إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا

<sup>1</sup> - نوارى بالة: أدبية الخطاب النثري عند القاضي عياض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008م، ص 62.



أبداً (20) "، وتوكلوا على الله، واستعينوا بتقواه وطاعته، واضرعوا إليه في أن يؤدبكم بنصره، وكفايته، ويهلك عدوكم بلطفه الخفي، ويكفيكم، باسم الجليل وقايته..."<sup>1</sup>.

وهما خطبتان مختلفتان تماماً إذا ما قورن بينهما، أين نجده في الأولى يبجل أمراء المرابطين ويدعو الرعية لدعوة الله لنصرتهم مؤكداً دورهم في الدفاع عنهم، أما الثانية فهو يتحدث عن الموحدين على أساس عدو اقترب منهم وجب على الرعية الاستعداد لمواجهة ومحاربه والدفاع على مدينتهم ضده.

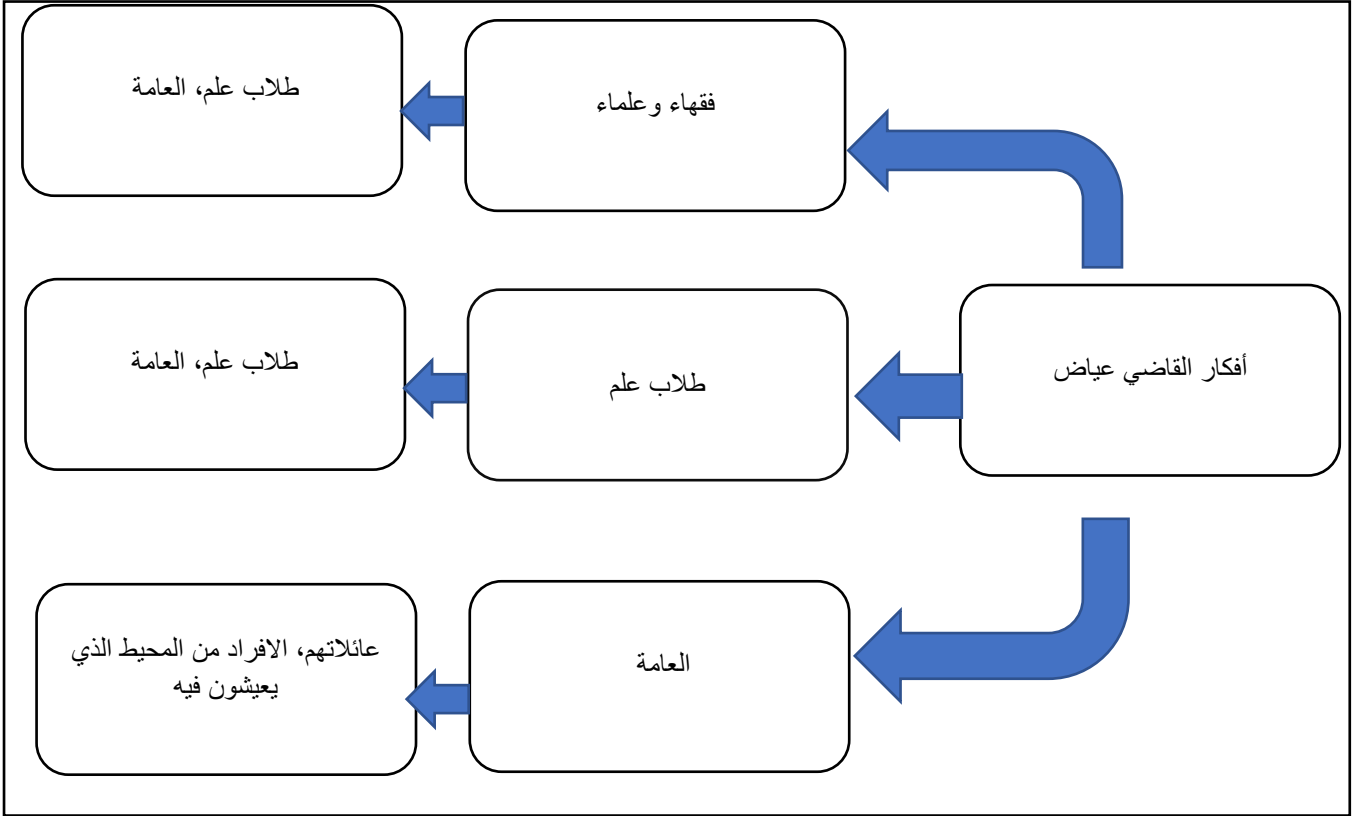
وهذه هي بعض الوسائل التي وظّفها القاضي عياض واستعان بها في نشر أفكاره وتوجهاته السياسية بين الرعية، والتي كان تأثيرها واضحاً وجلياً على المدى القريب والبعيد، أين نجد أهل بلده لم يقوموا بأي تمرد أو عصيان على دولة المرابطين طيلة فترة حكمه المدينة وترأسها.

وعلى العكس تماماً بالنسبة لدولة الموحدين، فعلى الرغم من الاستسلام الذي أبدوه بداية للخليفة عبد المؤمن بن علي والدخول في حكمه، لكن في أول فرصة سنحت لهم انقضوا على نوابه فيها، حيث أبادوهم وأحرقوهم، وعلى الرغم من تحدث محمد بن القاضي عياض عن حيادية والده عن الأمر كما ذكرنا سابقاً، إلا أن الأكيد أنه كان له دخل حتى ولو كان غير مباشر فدروسه، مصنفاً، خطبه، التي استقرت في أذهان الرعية هي التي كان لها الدور البارز في عدم تقبلهم للحكم الموحي.

ونستطيع التوضيح أكثر حول تأثير القاضي عياض على العلاقة بين السلطة والرعية من خلال هذين المخططين:

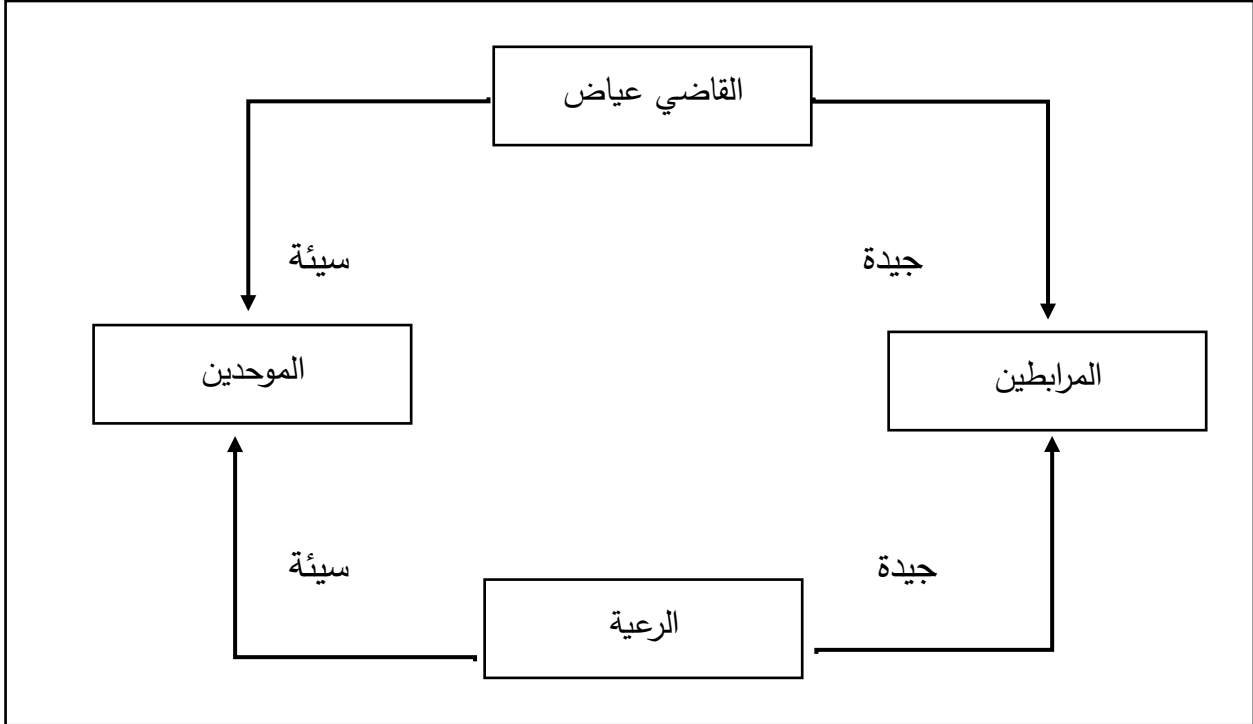
<sup>1</sup> - نوارى بالة: المرجع السابق، ص 59-60.

المخطط 2: انتشار أفكار القاضي عياض في أوساط الرعية



المصدر: من إعداد الباحثة

المخطط 3: تأثير القاضي عياض على العلاقة بين الرعية والسلطة



المصدر: من إعداد الباحثة

والمخططان يوضحان انتشار وتأثير أفكار القاضي عياض على العلاقة بين السلطة والرعية، ف نجد المخطط الأول يوضح المدى الواسع الذي تصل إليه أفكار القاضي عياض إلى الرعية على اختلاف مستوياتهم العلمية وأماكنهم الجغرافية وهو مدى كبير، أين نلاحظ أن أفكار القاضي عياض تنتقل أولاً في أوساط محددة من الرعية تحددتها أعدادهم وأماكنهم ثم تخرج تلك الأفكار من الحيز الضيق إلى الحيز الواسع عبر من تمكن منها أولاً، يعني بهذا الشكل:

القاضي عياض ← الرعية ← الرعية

ويبدو أن الرعية نفسها من جسدت الدور البارز في توسيع نطاق انتشار أفكاره، وهو دور الوسيط بينه وبين من لم يستطع الوصول إلى دروسه، خطبه، مصنفاة، وعظه...

أما المخطط الثاني فهو يوضح العلاقة التي تربط القاضي عياض بالسلطة وتأثير ذلك على العلاقة بين السلطة والرعية، حيث بيّن لنا أنه توجد علاقة طردية تربط بين القاضي عياض، السلطة، الرعية، بحيث إذا كان هناك اتفاق بين القاضي عياض والسلطة فمباشرة سيكون هناك اتفاق بين الرعية والسلطة، والعكس صحيحا إذا كانت العلاقة بين القاضي عياض والسلطة سيئة فمباشرة ستكون العلاقة سيئة بين السلطة والرعية.

ويبدو أن أمير المرابطين إبراهيم بن تاشفين قد تقطن للأمر فسارع إلى تعيين القاضي عياض على قضاء سبته في أخرج المواقف التي كان فيها، وهي تفوق الموحدين عليهم كي يكون سند وحصن منيع لدولته في سبته.

ونفس الشيء لخليفة الموحدين الذي أقر القاضي عياض على منصبه أول دخوله لمدينة سبته لإدراكه مكانته بين الرعية، فحاول استدراجه إلى صف الموحدين بإجلاله وتقريبه ولم يقتله بعد الفتنة خوفا من رد الرعية، ونفاه كذلك عن مدينة سبته ليس إلا

لإبعاده عن مركز تأثيره القوي على الرعية وعن أنصاره الذي كان لهم الدور البارز في تأييده وبتّ أفكاره والدفاع عنه.

خاتمة

من خلال البحث في موضوع "القاضي عياض وعلاقته بالسلطة والرعية" خلصنا للنتائج

التالية:

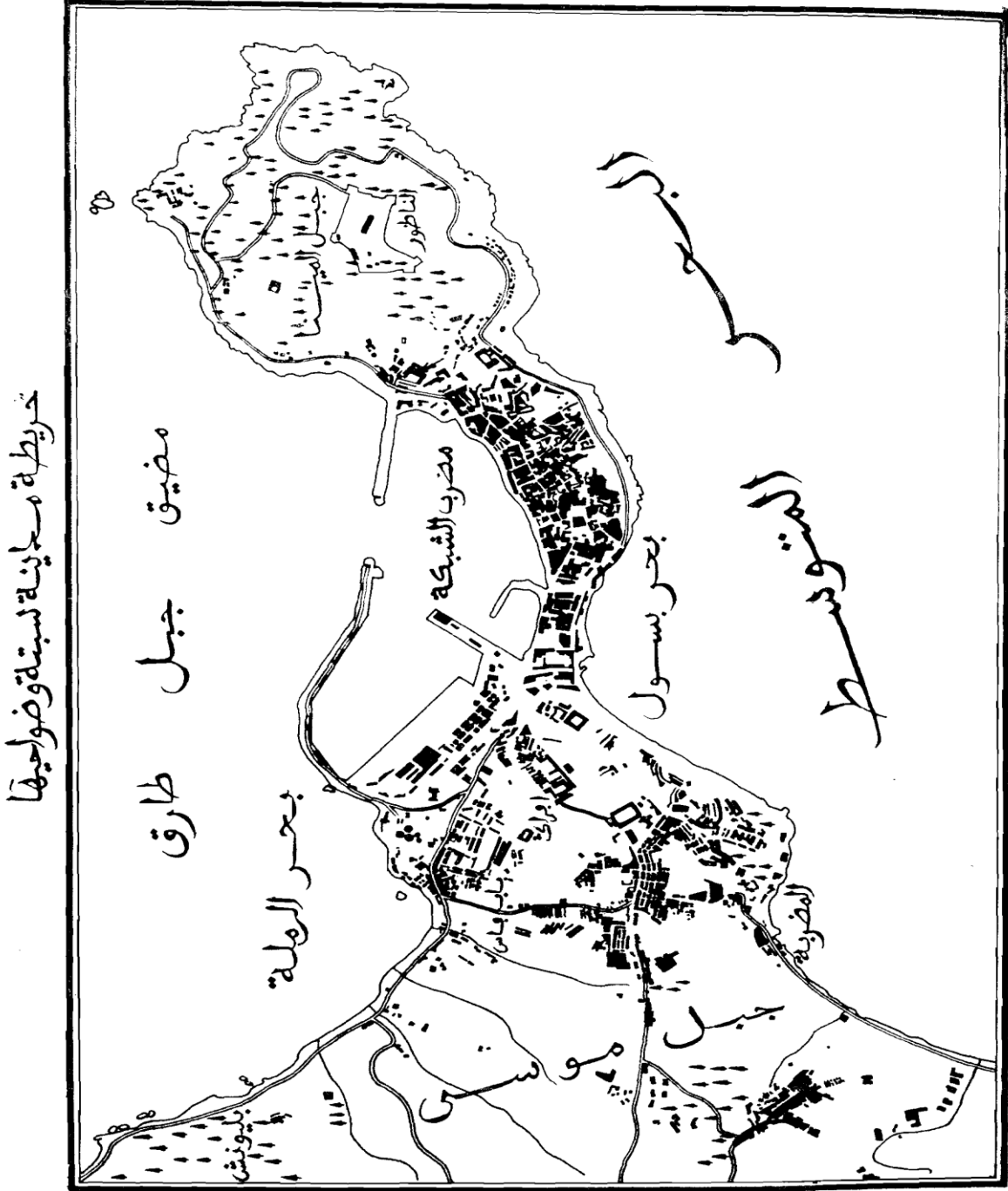
- كانت بداية التكوين العلمي للقاضي عياض في مدينته سبتة، ثم سافر في رحلة إلى الأندلس لاكتمال تكوينه أين نمت معارفه في مختلف العلوم.
- عرف عن القاضي عياض أنه مليح القلم، كثير التأليف حتى أنه في عصره لم يكن أحد بمدينة سبتة أكثر منه تصانيف، كما عرفت مصنفاته بالجودة والاشتهار بين العلماء والناس، فكانت محل رضا وقبول قديما وحديثا.
- بلغ مجموع مؤلفات القاضي عياض أكثر من ثلاثين مصنفا، كانت متعددة المجالات بين حديث، فقه، سير وتراجم، العقيدة، أدب، تاريخ، أخذت مصنفاته في الفقه الحصة الأكبر.
- درّس القاضي عياض في مدينة سبتة، غرناطة، كما اشتهر بكثرة تلاميذه من الأندلسيين والمغاربة حتى قيل إنه لا يكاد أحدا من الطبقة التي تلتها من الغرب الإسلامي إلا وقد تتلمذ عليه وأخذ منه العلم.
- بلغ شيوخ القاضي عياض الذين ذكرهم في فهرسته وكانوا من مدينته سبتة 42 شيخا أما من الأندلس فكانوا 39 شيخ، أم شيوخه من الإجازة فكان عددهم 24 شيخ.
- حصّل القاضي عياض في مدينته سبتة أكثر من 63 مصنفا ورسالة، وفي الأندلس ما يناهز 106 مصنف ورسالة، وأجيز في حوالي 19 مصنف ورسالة.
- كان القاضي عياض مالكي المذهب وأشعري العقيدة.
- أكدت آثار القاضي عياض أنه كان من المتصوفة المعتدلين الذين اهتموا بالتصوف الروحي الذي لا أثر فيه للبدع والفلسفة، أين كان أقرب للنسك والزهد منه للتصوف.
- عاصر القاضي عياض سلطتين، سلطة المرابطين التي جمعت بين سلطة الأمراء والفقهاء، وبداية دولة الموحدين.
- كان القاضي عياض مشاركا فعالا في العديد من مجالات السلطة، حيث استطاع بعلمه تقلد مناصب عديدة منها الإفتاء، القضاء، التدريس.

- كانت علاقة القاضي عياض بفقهاء دولة المرابطين علاقة ممتازة، يسودها احترام كبير، وهي علاقة توافق لما ربط بينهم من مذهب، عقيدة، سلطة.
- على الرغم من أن القاضي عياض لم يكن له لقاء مباشر بالمهدي بن تومرت إلى أنه كانت له ردود حول عقيدته وما جاء به، تطرق لها في مصنفاة إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فجدد ذلك الصراع بين فقهاء دولة المرابطين والمهدي في شخص القاضي عياض باعتباره أحد الفقهاء الذين ثار على نظامهم مهدي الموحدين.
- كانت ردود القاضي عياض على ابن تومرت في موضوع: العصمة، التأويل، الفقهاء المالكيين، الجدل والنظر، الفروع الفقهية، الإسناد، كما صنف كتبا كان فيها الرد الشافي على أفكار ابن تومرت وهي: "الشفاء في تعريف المصطفى"، "التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة"، "الغنية"، "ترتيب المدارك وترتيب المسالك لمعرفة مذهب مالك"، "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع"، "الإعلام بحدود قواعد الإسلام"، "إكمال المعلم في فوائد مسلم"، "مشارك الأنوار على صحاح الآثار".
- تخرج القاضي عياض من نفس المدرسة التي تخرج منها فقهاء دولة المرابطين، وهي المدرسة التي وضع أسسها عبد الله بن ياسين، وهنا نجد يشترك معهم السلطة، المجال، العقيدة والمذهب، وعلى عكس ذلك تماما مع مهدي الموحدين والذي لا يتشارك معه إلا في المجال الجغرافي والعصر.
- عاصر القاضي عياض كل أمراء سلطة المرابطين وكانت علاقته بهم جيدة، ولم يثر على أي أحد منهم أو يخرج عن الدولة رغم كل الظروف، كما عاصر خليفة دولة الموحدين عبد المؤمن بن علي وجمعه به علاقة يشوبها الحذر، فكانت في البداية تبدو جيدة ثم توترت بعد ثورة مدينة سبتة على الموحدين ثم عادت بعض الشيء إلى ما كانت عليه بعد أن تمت معاقبته ونفيه عن مدينته وتعيينه قاض في إحدى بوادي المغرب.
- لعب القاضي عياض دورا بارزا في عدم تقبل الرعية في سبتة سلطة الموحدين والقيام بالثورة ضدهم.

- عرفت الرعية في عصر القاضي عياض بالتنوع البشري من بربر، عرب، مولدون، نصارى، يهود، صقالبة، سودانيين، أتراك وكان عنصر البربر هو العنصر السائد في مجال دولة المرابطين في المغرب الإسلامي، أما المجال الأندلسي فكان العنصر العربي هو العنصر السائد.
- كانت علاقة القاضي عياض بالرعية سواء الخاصة أو العامة علاقة ممتازة يسودها الاحترام المتبادل.
- عرف القاضي عياض بعلاقاته مع مختلف فئات الرعية على اختلاف طبقاتهم ومهنتهم، أين نجد له علاقات مع العلماء، طلاب العلم، العامة.
- عرف القاضي عياض بجمال العشرة والبر والنفع للرعية وعدم التسرع في قطع العلاقات، إضافة إلى توجيهه للرعية، خدمتهم، وقضاء حوائجهم ومساعدتهم، حتى أنه قيل كان لهم في سبته في منزلة الأب.
- لعب القاضي عياض دورا فعالا لمساندة الرعية، فحمى الحقوق وساهم في التطور العلمي والثقافي في أوساطهم.
- درّس القاضي عياض العلاقة التي ربطت الفقيه بالسلطة والرعية ووضحها في مصنفاته، حيث أكد أن دور الفقيه الإرشاد والتوجيه للسلطة والرعية معا.
- كان القاضي عياض هو المرشد للرعية والسلطة معا، الموضح لحقوق كلا الطرفين على الآخر المحقق للتوازن بينهما وفق الشريعة الإسلامية.
- لعب القاضي عياض العديد من الأدوار التي ربطت السلطة بالرعية، منها دور الوسيط بينهما في العديد من المواقف، فكان ممثلا للرعية أمام السلطة تارة، وممثلا للسلطة أمام الرعية تارة أخرى.
- كانت علاقة القاضي عياض بالسلطة تؤثر بشكل مباشر على العلاقة التي تربط السلطة بالرعية، أين نجد أنه عندما تكون العلاقة بين القاضي عياض والسلطة جيدة تسير العلاقة بين الرعية والسلطة بشكل جيد والعكس صحيح.



الملاحق



المصدر: محمد بن الانصاري القاسم السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرياض، 1983 م، ص 10.

## جدول منتهى رحلة عياض خارج العدو المغربية من خلال المصادر

المدينة	الجهة	المصدر	الجزء والصفحة	النص المصرح بذلك
الجزيرة الخضراء	مقابل سبتة من الأندلس	التعريف	12	-ويبقى يدبر أمره ويسوس أهله... إلى أن دخل الصحراوي البلد. وهو حينئذ بالجزيرة الخضراء زائرا مداخعا ليحيى بن غانية.
		التعريف	115	-بماذا نلت هذه الدرجة؟ قال: فيقول: بجوازي إلى الجزيرة الخضراء وسفري إلى مراكش.
إشبيلية	غرب الأندلس	الغنية	106	-فدي ترجمة شيخه أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني الإشبيلي: من أهل إشبيلية، لقيته بها وأجازني جميع روايته.
		مشارك الأنوار	37/1	-وأخبرني به الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون بمدينة إشبيلية.
		التعريف	119	«لقيه بإشبيلية وأجازه».
		الغنية	177	- في رسم أبي الحسن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن الأخضر مقدم النحاة بإشبيلية: «لقيه بإشبيلية سنة 498 هـ حدثني بشرح الأشعار الستة لأبي الحجاج الشنتمري».
		الغنية	69	- في رسم الفقيه القاضي أبي بكر بن العربي المعافري: « ولقيه بإشبيلية وقرطبة».
قرطبة		التعريف	6	-«فوصل قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة».
		الغنية	46	- في رسم شيخه ابن حمدين: «لقيه بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وصدر سنة ثمان...».
		الغنية	48_47	- وفي رسم شيخه أبي عبد الله التجيبي: «قرأت عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث...».
		الغنية	54	- وفي رسم ابن رشد الجد: «جالسته كثيرا وسأله واستقدت منه».
		الغنية	202_201	- وفي رسم أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج: «ورحلت إليه إلى قرطبة سنة سبع وخمسمائة. فسمعت عليه ما يسره الله بمنه، ثم رجعت إليه بعد رحلتي من شرق الأندلس سنة ثمان فوجدته مريضا مرضه الذي توفي منه رحمه الله».
		الصلة	430.2	- «وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة 531 هـ فأخذنا عنه».
مرسية	شرق الأندلس	التعريف	7	- «ثم خرج منها إلى مرسية يوم الإثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان من التاريخ. فوصل مرسية يوم الثلاثاء الثالث من صفر بعده».
		مشارك الأنوار	37/1	- فأما رواية أبي ذر هاني سمعتها بقراءة غيري بجامع مدينة مرسية لجميع الصحيح بها على القاضي الشهيد أبي علي الحسين بن محمد الصديقي».
غرناطة	جنوب الأندلس	الغنية	153	- في رسم شيخه أبي محمد بن أبي جعفر الخشني: «لقيه بسبتة عند صدوره من الحج، وسمعت منه شيئا، ثم لقيه في رحلتي ببلده مرسية».
		التعريف	10	- «ثم نقل إلى غرناطة ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم من سفر سنة 531 هـ».
		التعريف	10	- وفي رسم شيخه أبي الحسن علي بن محمد بن دري: «ثم انتقل إلى غرناطة ولقيه بعد بها وسمعت منه بعض كتابه في مخارج الحروف...».
		الغنية	176	- وفي رسم هشام بن أحمد الهلالي: «لقيه أنا بغرناطة انصرا في من المشرق».
المرية	شرق الأندلس	الإعلام للمراكشي	310/9	- « وفي رحلته هذه دخل المرية، وبها لقيه القاضي أبو جعفر بن مضاء...».

### ملحق رقم 3:

من خطب القاضي عياض التي سارت بفصاحتها الركبان، ولهج ببلاغتها الشيب والشيبان، واقتبس منها من سورة الكهف:

" الحمد لله الذي سبق كل موجود قدما، وسع كل شيء رحمة وعلما ونعما، وهدى اوليائه طريقا نهجا امما، و"أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما، لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكتين فيه ابدا"، أحمدته على مواهبه وهو أحق من حمد، واسأله أن يجعلنا أجمع ممن حظي برضاه وسعد، واستعينه على طاعته وهو أعز من استعين واستتجد، واستهدينا توفيقا فإن " مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا " وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة فاتحة لاقفال قلوبنا، راجحة باتقال ذنوبنا منزهة عن التشبيه والتمثيل بنا، " وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا "، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أنزل عليه الفرقان، وبعثه بالهدى والإيمان، وأخزى بدعوته دعوة اولياء الشيطان، وأقعدهم " مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا "، أيها السامع قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى وسكراته، ووعظك كتاب الله بزواجه وعظاته، فتأمل حدوده وتدبر محكم آياته، " وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا "، أين الذين عقوا على الله وتعظمووا واستطالوا على عباده وتحكموا، وظنوا أن لن يقدر عليهم حتى اصطلموا " وَتِلْكَ الْأَقْرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا "، غرهم الأمل وكواذب الظنون، وذهلوا عن طوارق الغير وريب المنون، " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ "، " حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا "، فهذبوا رحمكم الله سرائركم بتقوى الله، وأخلصوا واشكروا نعمته " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا "، واحذروا نعمته واتقوه ولا تعصوا، واعتبروا بوعيده " قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى "، وأنهضوا لطاعته الهمم العاجزة، واركضوا في ميدان التقوى وحوزوا قصب خصله الفائزة، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة، وانتظروا قوله " وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا "، ذلك يوم تذهل فيه الأبواب، وترجف القلوب رجفا، وتبدل الأرض وتتسف الجبال نسفا، ولا يقبل الله فيه من

الظالمين عدلا ولا صرفا، " وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا "، " وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ  
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا "، اللهم أنفعنا بالكتاب والحكمة  
وارحمنا بالهداية والعصمة، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة، " رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ  
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا " <sup>1</sup> .

---

<sup>1</sup> - المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق، ج4، ص 173-174.

ملحق رقم 4: ضريح القاضي عياض

[https://www.youtube.com/watch?v=jgqp\\_roftog&ab\\_channel=medi1tv](https://www.youtube.com/watch?v=jgqp_roftog&ab_channel=medi1tv)



ملحق رقم 5: خريطة دولة المرابطين

<https://www.almrsal.com/post/840258>



## الجدول رقم (7): شيوخ القاضي عياض بسبته

الشيوخ	ما سمع، قرأ، حدّث
محمد بن عيسى بن حسين التميمي (ت 501هـ) سبته	قرأ عليه: - المدونة - الموطأ سمع منه: - موطأ مالك برواية الليثي - المسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم للبخاري - المسند الصحيح المختصر من السنن مسلم بن الحجاج - مصنف السنن سليمان بن الأشعث - شرح غريب الحديث لأبي القاسم بن سلام - إصلاح الغلط لابن قتيبة - غريب الحديث أحمد بن محمد السبتي الخطابي - علوم الحديث محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - كتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج - كتاب الضعفاء والمتروكين - كتاب الطبقات لأبي عبد الرحمان النسائي - كتب المدونة - كتاب الملخص لمسند الموطأ لأبي الحسن القاسمي - التقصي لمسند الموطأ لأبي عمر ابن عبد البر - مسند الموطأ لأبي القاسم الجوهري - الرسالة لأبي محمد بن أبي زيد
الفقيه محمد بن عبد الله بن محمد الأموي (ت 517هـ) سبته	- ناظره في المدونة
الخطيب محمد بن علي بن محمد الأزدي (ت 503هـ) من طابطة - النقي به بسبته	- سمع منه
النحوي محمد بن عمر بن قطري الزبيدي (ت 501هـ) من اشبيلية - استوطن سبته	- حدّثه عن الخطيب بكتاب المؤلف والمختلف وكتاب الفقيه والمتفقه من تأليفه سماعا منه



<p>- قرأ عليه كتاب الكامل لأبي العباس المبرد</p>	<p>الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن البراء الجزيري (ت500هـ) سبته</p>
<p>-</p>	<p>محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري (ت 518 هـ) من سرقسطة، التقى به بسبته</p>
<p>- قرأ عليه القرآن عدة ختمات</p>	<p>المقرئ محمد بن عبد الله المعروف بالموزوري (ت500 هـ) سبته</p>
<p>- جالسه غير مرة وسمع كلامه واغتم دعاه</p>	<p>أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشارقي الواعظ أبو العباس (ت 500 هـ) من الاندلس، سكن سبته وتكرر عليها كثيرا</p>
<p>- حدث القاضي عياض بأحاديث</p>	<p>أحمد بن قاسم الصنهاجي أبو العباس</p>
<p>- جالسه وسمع منه فوائد</p>	<p>أحمد بن طاهر بن علي بن شيرين بن علي بن عيسى الأنصاري (ت520هـ) من أهل دانية، لاقاه بسبته</p>
<p>قرأ علي: - الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي - شرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام - الملخص للقاسمي - رسالة أبي محمد ابن أبي زيد - الأربعين حديثاً للأجري - الانتصار لحديث رسول الله للأصيلي - فضل عاشوراء جمع أبي نر - وصية الامام مالك بن أنس لطلبة العلم - وصية يحيى بن يحيى لطلبة العلم - نسخة حديث أبي الدنيا للمعمر علي بن عثمان بن خطاب الأشج سمع عليه: - موعظة داود بن جهور بالنظم والنثر - كتاب رد الأصيلي على أصحابه الأندلسيين بسند كتاب الانتصار.</p>	<p>الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللوائي يعرف بابن الفاسي (ت513هـ) سبته</p>
<p>- ناظره في المدونة وذاكره</p>	<p>القاضي إبراهيم بن أحمد البصري (ت513هـ) سبته</p>
<p>- تكرر عليه وجالسه كثيرا وأخذ عنه غير شيء وانتفع به</p>	<p>الفقيه أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي (ت505هـ) من أهل سقافس، استوطن سبته</p>

<ul style="list-style-type: none"> <li>- سمع عليه كثير من الكامل للمبرد.</li> <li>- حدثه بكتاب مشكل الحديث للإمام أبي بكر بن فورك</li> <li>قرأ عليه:</li> <li>- كتاب علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله</li> <li>وقرأ عليه الكثير من كتب النحو والأدب ذكر منها:</li> <li>- الجمل لأبي القاسم إسحاق الزجاجي</li> <li>- الواضح للزبيدي</li> <li>- الكافي لأبي جعفر النحاس</li> <li>- كثيرا من كتاب المقتضب للمبرد</li> <li>- كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة</li> <li>- الإيضاح للفارسي</li> <li>- فصيح الكلام لثعلب</li> <li>- الأمالي لأبي علي</li> </ul>	<p>الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهري (ت501هـ) سبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- جالسه كثيرا وذاكره وأخذ عنه فوائد جمه</li> </ul>	<p>خلف بن يوسف بن فرتون النحوي(ت532هـ) من أهل شترين، سكن سبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- سمع منه</li> </ul>	<p>الفقيه أبو أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشني المعروف بابن أبي جعفر(ت526هـ) شرق الأندلس، لقيه بسبته عند صدوره من الحج</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ناظر عنده</li> </ul>	<p>الفقيه عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي المعروف بابن شبونة (ت537هـ) سبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>ناظر عنده في:</li> <li>- المدونة</li> <li>- الموطأ</li> <li>- أصول الفقه والدين.</li> </ul>	<p>القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي(ت513هـ) من نكور، ولي قضاء سبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- سمع القاضي عياض بقرائه وسمع هو منه بقرائه</li> </ul>	<p>عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفري(ت538هـ) لاقاه بسبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- عليه القرآن برواية نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بطرقها</li> </ul>	<p>المقرئ عبد الله بن ادريس بن سهل(ت515هـ) سبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- حدثه قراءة بكتاب الإخبار عن فوائد الأخبار من تأليف الشيخ الزاهد أبي بكر محمد بن أبي إسحاق، وأجازه له جميعا</li> </ul>	<p>عبد الله بن أحمد التميمي(ت501هـ) سبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- قرأ عليه كتاب المنهاج للقاضي أبي الوليد الباجي في الجدل والمناظرة</li> <li>- قرأ عليه غير ذلك من كتبه</li> <li>- أخبره شرح غريب الحديث لأبي عبيد</li> </ul>	<p>القاضي الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري(ت502هـ) سبته</p>

<p>- جالسه كثيرا ولم يسمع منه</p>	<p>عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي يعرف بابن العجوز من كتامة (ت515هـ) انتقل من أصيلا إلى سبتة</p>
<p>- ناوله كثيرا من مجموعاته</p>	<p>عبد الغالب بن يوسف أبو أحمد السالمي (ت516هـ) سبتة</p>
<p>- ذاكرو في شيء، وقرأ عليه قصيدته الرائية في الرثاء المشهورة المتضمنة في علم الحدثان ومهالك الأعيان ما يعجز عن حسن وصفه اللسان وأولها</p> <p>- سمع عليه كثيرا من كتابه في نصره أبي عبيد في الشرح أو جميعه</p> <p>- أجازته جميع رواياته</p>	<p>عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري الوزير الكاتب أبو محمد (ت527هـ) لقيه بسبتة</p>
<p>- قرأ عليه القرآن برواية ابن عامر</p>	<p>الأستاذ النحوي أبو الحسن علي بن محمد بن دري الأنصاري (ت520هـ) أصله من طليطلة، لقيه بسبتة</p>
<p>- حدثه بأشياء</p> <p>- أجازته جميع روايته عن شيوخه الشيرازي وأبي بكر الخطيب وأبي الفتح نصر المقدسي</p>	<p>أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن عبيد الله الربيعي المقدسي الشافعي التاجر (ت531هـ) لقيه بسبتة</p>
<p>- ناوله من كتب القاضي أبي الوليد: كتاب التعديل والتجريح، التسيدي، الفصول في أحكام الأصول وحدثه بجميعها عنه</p> <p>- حدثه بجميع رواياته</p> <p>- سمع منه شيئا من روايته</p> <p>- أخبره بكتاب الوقف والابتداء لابن النحاس عن أبي إسحاق الجبال ومعاني القرآن له سماعا منه إلا ما فاته منه</p> <p>- حدثه عن أبي إسحاق الحبال المصري</p>	<p>عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبي البحر الزهري أبو الأصبع (ت530هـ) أصله من شنترين، سكن سيلا، لقيه بسبتة</p>
<p>- فاوضه كثيرا وسمع من لفظه فوائد</p>	<p>الفقيه الحافظ أبو بكر غالب بن عطية المحاريبي (ت518هـ) بلده غرناطة، لقيه بسبتة</p>
<p>- سمع منه التقصي لأبي عمر ابن عبد البر قرئ جميعه عليه وهو حاضر وحدثه به عن مؤلفه</p> <p>- ناوله كتاب الصحابة لأبي عمر ابن عبد البر عنه</p> <p>- كتب له إجازاته لجميع رواياته، من ذلك جميع تواليف ابي عمر ابن عبد البر</p>	<p>الفقيه أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الشاطبي (ت517هـ) لقيه بسبتة</p>
<p>- حضر مجلسه وسأله عن مسائل من الأدب وسمع كلامه ولم يأخذ عنه شيء</p>	<p>الفقيه أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي (ت491هـ) لاقاه بسبتة</p>
<p>حدثه ب:</p> <p>- أن وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو أربع وسبعين وأربعمائة</p>	<p>سهل بن علي بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر أبو نصر (ت531هـ)</p>

<ul style="list-style-type: none"> <li>- بحكايات وفوائد</li> <li>- أمالي الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد بن خلف الشيرازي سماعا منه</li> <li>- كتاب الأربعين حديثا للحاكم أبي عبد الله</li> <li>- كتاب أصول الفصول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي</li> <li>- أجازة جميع رواياته</li> </ul>	<p>لاقيه بسبته حين جواره عليها</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ذكر أنه فقيه زاهد سلك طريق الورع والزهد والتقل</li> </ul>	<p>سعيد بن أحمد بن سعيد السفاقي (ت501هـ) اجتاز سبته وسكن أغمات</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- قرأ عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقادات</li> <li>- حدثه بالكبرى وبكتاب التجريد لأبي بكر العوادي</li> <li>- أجازة أرجوزته الكبرى وجميع توافقه ورواياته منها تأليف الفقيه أبي بكر المرادي</li> <li>- أخبره عن كتاب فقه اللغة للتحالي</li> </ul>	<p>يوسف بن موسى الكلبي المتكلم النحوي أبو الحجاج الضرير (ت489هـ) سكن سبته مدة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- لم يسمع منه</li> </ul>	<p>يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس أبو الحجاج طليطلي (ت505هـ) طليطلة، لقيه بسبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- صاحبه كثيرا ودرس عليه أصول الفقه</li> </ul>	<p>القاضي محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي القلعي (ت525هـ)</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- جالسه كثيرا</li> <li>- حدثه بكتاب أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المسمى بكتاب تنبيه الغافلين</li> </ul>	<p>محمد بن عقال السرقسطي المقرئ</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- سمع معه من أبي عبد الله بن عيسى</li> <li>- قرأ عليه القاضي عياض:</li> <li>- إصلاح الغلط لابن قتيبة في رده على أبي عبيد وحدثه به</li> <li>- قرأ عليه أحاديث عالية كانت عنده عن الجبائي</li> </ul>	<p>أحمد بن عمران الأنصاري الطليطلي</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- حضر له بسبته ولكن لم يحصل منه</li> </ul>	<p>القاضي الشهيد الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفي المعروف بابن سكرة (ت514هـ) لقيه بسبته</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- أخذ عنه القاضي فوائد وروى عنه</li> </ul>	<p>الشيخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن الامام</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- شاركه في بعض شيوخه</li> <li>- أخبره ببعض الحكايات</li> </ul>	<p>محمد بن علي يعرف بابن الصَّيقل الشاطبي (ت500هـ)</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ذكر بعض ما حدث عنه سماعا بلفظه</li> </ul>	<p>القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري (ت 543 هـ) لاقاه بسبته - اشبيلية - قرطبة</p>

المصدر: تم إنجازه بالاعتماد على مصنف القاضي عياض: الغنية.

## الجدول رقم (8): شيوخ القاضي عياض في الأندلس

الشيوخ	ما سمع، قرأ، حدث
الفقيه القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التعلبي (ت508هـ) لقيه في قرطبة أواخر سنة 507 هـ أوائل سنة 508 هـ	- سمع عليه الموطأ برواية يحيى بن الليثي - قرأ عليه بعض رسائله وردوده على الغزالي وسمع بعضها - سمع منه الكثير من كلامه ورسائله لابن شماخ - أجازته سائر مروياته
الفقيه القاضي محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ابن الحاج (ت529هـ) من قرطبة	- قرأ عليه كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة - أجازته جميع رواياته
الفقيه القاضي أبو الوليد بن أحمد بن رشد (ت520هـ)	- جالسه كثيرا وسأله واستفاد منه - سمع منه بعض من كتابه في اختصار المبسوطه وناوله بعضه - أجازته كتاب اختصار المبسوطه وسائر رواياته
الأديب أبو عبد الله محمد بن سليمان النفري المعروف بابن أخت غانم (ت525هـ) لقيه بمنزله في قرطبة	قرأ عليه القاضي عياض وحديثه هو ب: - الكامل لأبي عباس المبرد - اصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت - الهداية في القراءات السبع اختصار أبي العباس أحمد بن عمار المهدي - الأمالي لأبي علي البغدادي قرأ عليه بعضه وناوله باقيها - الزاهر لأبي بكر ابن الأنباري - مختصر العين للزبيدي - الحماسة لأبي الفتح الثابت بن محمد الجرجاني - الألفاظ ليعقوب بن السكيت - كتابي التحصيل والتفصيل للمهدوي - جميع تواليف أبي علي - جميع تواليف الأبهري وأجازته جميع رواياته، وما اشتملت عليه فهرسته وفهارس شيوخه
القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري (ت 543 هـ) لقيه بسبته - اشبيلية - قرطبة	ذكر بعض ما حدث عنه سماعا بلفظه
القاضي محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إبراهيم الطنيطلي (ت523هـ).	قرأ عليه: - كتاب الاخوان لابن الأعرابي - كتاب التحبير عما في حديث جابر بن عبد الله في حجة الوداع من السنن والفوائد تأليف أبي بكر ابن المنذر سمع عليه: - كتاب الأمانى المنتجزة جمع أبي عبد الله محمد ابن أبي نصر الحميدي

وكتب عنه هو من حديثه أشياء انتخبها وسمعها وقرأ بعضها على القاضي عياض	
- أخذ هو عن القاضي عياض أشياء ذكرها في تصانيفه - أجازته كتابيه المؤلفين على كتاب الصحابة لأبي عمر ابن عبد البر: كتاب التنبيه وكتاب الذيل - كتب له بخطه فوائد كثيرة	الفقيه محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الأربولي (ت 520هـ) لقيه في رحلته إلى شرق الأندلس
- ناوله كتاب الفرق للقاضي أبي الوليد الباجي - سمع بعض حديثه يقرأ عليه	عبد الله محمد بن مفرج بن محمد بن سليمان الصنهاجي (ت 530هـ) محمد بن مسعود المكتب (ت بعد 510هـ)
- جالسه ولم يسمع منه	محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري (ت 518هـ) لقيه بسببته - الأندلس
- سمع عليه بقراءة غيري بعض شيء مما عنده - جالسه كثيرا	محمد بن عبد الرحمن بن سعيد النحوي المقرئ (ت 505هـ)
- سمع منه بعض من كتابه المنتقى من كلام أهل التقى - أجازته كتاب الرعاية لحارث المحاسبي	محمد بن خميس بن أبو عبد الله الصوفي الشيخ الصالح
- حدثه بمسند جده بقي بن مخلد ومصنفه الكبير عن أسماء الصحابة رضي الله عنهم - أجازته جميع ما رواه عن شيوخه - قرأ عليه عياض كتاب الأربعين حديثا للأجري - ناوله كتاب معجم رجال أبي ذر الهروي، وحدثه به عن أبي عبد الله محمد بن منظور القيسي	الفقيه الحاكم أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد (ت 446هـ)
- حدثه بكتابي الشهاب والعدد للقاضي قضاعي	أحمد بن عثمان بن مكحول (ت 513هـ)
أخبره ب: - كتاب ساطع البرهان تأليف ابن مالك الفقيه - المفتاح في القراءات تأليف أبي عبد الوهاب - أجازته جميع رواياته	الشيخ الكاتب الراوية أبا الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد (ت 526هـ) - لقيه بقرطبة
- أجازته جميع رواياته وناولها بعضها - أجازته فهرسة أبيه الكبيرة حدثه ب: - الموطأ - كتاب الليدي - كتاب أحمد بن نصر الداودي - كتاب أبي عبد الملك البوني - كتاب ابن الجلاب	أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبونا الخولاني يعرف بابن الحصار - لقيه بإشبيلية
- قرأ عليه القاضي عياض بعض أحاديثه - صحبه كثيرا وذاكره وسمع منه بلفظه أشياء	أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي يعرف بابن المرخي (ت 533هـ) - لقيه بقرطبة
- جالسه وسأله	أحمد الزنقي أبو العباس المعروف بابن الزنقي - لقيه في قرطبة
- جالسه	أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي المقرئ (ت 511هـ) - لقيه في قرطبة
ما سمع عليه: - كتابي الصحيحين للبخاري ومسلم والشهاب	القاضي الشهيد الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فير بن حيون الصدفي المعروف بابن سكرة (ت 514هـ) - لاقاه سببته - بمرسية

<ul style="list-style-type: none"> <li>- الجامع لأبي عيسى الترمذي</li> <li>- شمائل النبي عليه السلام لأبي عيسى الترمذي رياضة المتعلمين لأبي نعيم الأصبهاني</li> <li>- الناسخ والمنسوخ لهبة الله</li> <li>- الاستدراكات على البخاري ومسلم وهو كتاب التتبع أيضا</li> <li>- تأليف أبي الحسن الدارقطني</li> <li>- الالزامات لهما تأليف الدارقطني</li> <li>- الأربعين حديثا لأبي نعيم الأصبهاني</li> <li>- أوهام الحاكم في المدخل لأبي محمد عبد الغني بن سعيد</li> </ul> <p>سمع عليه بقرأة غيره:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- ما ذكره من الصحيحين</li> <li>- مشتبته النسبة</li> <li>- المؤلف والمختلف لعبد الغني بن سعيد</li> <li>- الإشارة لأبي الوليد الباجي</li> <li>- آداب الصحبة لأبي عبد الرحمان السلمي</li> <li>- جزء عوالي الشريف</li> <li>- أسامي شيوخ البخاري الذين روى عنهم في الصحيح جمع أبي أحمد بن عدي</li> <li>- جزء فيه من حديث الشيخ أبي بكر بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة</li> <li>- الجرح والتعديل لأبي الوليد الباجي</li> <li>- العلل الكبير لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني</li> </ul> <p>ما حدثه به:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- المؤلف والمختلف لأبي الحسن الدارقطني</li> <li>- السنن للدارقطني</li> <li>- تلقين المبتدئ للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن نصر</li> <li>- الهداية والإرشاد لأبي نصر أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي</li> <li>- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري</li> <li>- جزء فيه خطبة عائشة رضي الله عنها في أبيها، من رواية الخطيب شرح ابن الأثيري</li> </ul>	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ناوله كتاب طبقات القراء لأبي عمرو مقرئ</li> </ul> <p>حدث القاضي عياض ب:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- رسالة ابن أبي يزيد</li> <li>- شرح الجمل وشرح المقدمة من تأليف ابن باب شاذ</li> <li>- تفسير النقاش المسمى بشفاء الصدور عن الشيرازي عن أبي الحسن المحاملي عنه</li> </ul>	<p>الخطيب المقرئ أبو القاسم خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد يعرف بابن النخاس (ت 511 هـ)</p> <p>- لقيه في قرطبة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- أجازة جميع رواياته</li> <li>- حضر عنده مجالسه في المناظرة في المدونة</li> </ul> <p>قرأ عليه:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- جميع كتاب مسلم بن الحجاج</li> <li>- الملخص لأبي الحسن القابسي</li> </ul>	<p>الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشني المعروف بابن أبي جعفر (ت 526 هـ)</p> <p>- لقيه بسبته -مرسية</p>

سمع عليه: - الشهاب للقضاعي	
ناوله طبقات علماء الأندلس للقاضي أبي الوليد بن الفرضي قرأ عليه: - صحيح البخاري والملخص للقاسبي - المدونة والمختلطة - الناسخ والمنسوخ لأبي محمد مكي - كثيرا من السنن لأبي عبد الرحمان النسائي وناوله بقيته وحدثه به سمع عليه: - الموطأ رواية يحيى بن يحيى الأندلسي - الموطأ رواية يحيى بن بكير وما فاتته ناوله وحدثه به حدثه: - جامع عبد الله بن وهب - تواليف ابن أبي زمنين كلها عن القليعي عنه - أجزاء من عوالي السفاقي وأبي عمر بن عبد البر - تفسير عبد الرزاق سماعا لبعضه - تأليف القاضي أبي محمد عبد الوهاب عن أبي عبد الله بن الشماخ عنه - كتاب الفصوص لصاعد بن الحسن	الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن الجذامي (ت 520 هـ) - لقيه في قرطبة - ذهب إلى قرطبة خصيصا للسمع منه لعودته وانقراض طبقة وصبره.
- صحبه كثيرا وسمع منه شيئا	عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموي (ت 519 هـ)
- أجازته جميع روايته حدثه ب: - جميع رواية القاضي عبد الوهاب وتصانيفه - جميع تصانيف عبد الحق وروايته	عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي المقرئ السرقسطي (ت 522 هـ)
- جالسه كثيرا ولم يسمع منه	عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد القرطبي (ت 515 هـ) - لقيه في قرطبة
	عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون أبو الأصبع (ت 508 هـ) - لقيه في قرطبة
- سمع بقراءته على الوزير أبي الحسن ابن سراج غريب الحديث لأبي سليمان قرأ عليه: - جميع كتاب أدب الكتاب لأبي محمد بن قتيبة - اختيار فصيح الكلام لأبي العباس ثعلب	الشيخ الأستاذ علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المقرئ النحوي المعروف بابن البيهش - لقيه في قرطبة
- سمع منه بعض كتابه في مخارج الحروف وحدثه بجميعة	الأستاذ النحوي علي بن محمد بن دري الأنصاري (ت 520 هـ) - لقيه بسبته - غرناطة
- أجازته جميع تواليفه، من ذلك: شرح الحماسة وشرح شعر حبيب، وغير ذلك من تواليفه، وجميع رواياته.	الأستاذ النحوي علي بن عبد الرحمن بن محمد التنوخي المعروف بابن الأخضر (ت 514 هـ) - لقيه بإشبيلية
سمع من لفظه فوائد	الفقيه غالب بن عطية المحاربي لقي سبته - قرطبة



<ul style="list-style-type: none"> <li>- أجازه جميع روايته ورواية أبيه</li> <li>- سمع منه أشياء كثيرة، وعلق عنه فوائد جمة</li> <li>- أخذ عنه قراءة وسماعا كتاب غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي</li> <li>قرأ عليه:</li> <li>- جميع كتاب الدلائل لأبي محمد قاسم بن ثابت السرقسطي</li> <li>- جميع كتاب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام</li> <li>- الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام</li> <li>- جميع كتاب الغربيين لأبي عبيد الهروي وصححه عليه</li> </ul>	<p>الوزير اللغوي الحافظ سراج بن عبد الملك بن سراج الأموي (ت508هـ) - لقيه في قرطبة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- سمع عنه جميع الصحيح لمسلم بن حجاج</li> <li>- حدثه بكتاب بهجة المجالس لأبي عمر بن عبد البر</li> <li>- أجازه جميع رواياته من ذلك جميع فهرست الدلائل وفهرست ابن سعدون</li> <li>قرأ عليه:</li> <li>- كتاب المشاهد وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام</li> <li>- شيوخ البخاري لأبي أحمد بن عدي الجرجاني</li> </ul>	<p>الفقيه الراوية سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان الأسدي (ت 520 هـ) - لقيه في قرطبة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>ناولته وحدثه ب:</li> <li>- كتاب المنتقى في أخبار الأئمة والفقهاء لأبي عمر ابن عبد البر</li> <li>- فهرست أبي عمر</li> <li>- فهرست الدلائل</li> </ul>	<p>سليمان المعروف بابن البيهقي (ت 520 هـ)</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>قرأ عليه:</li> <li>- جميع كتاب المصنف لأبي داود السجستاني في السنن</li> <li>- المراسيل لأبي داود السجستاني</li> <li>- التفرد لأبي داود السجستاني</li> </ul>	<p>هشام بن أحمد الفقيه أبو الوليد القرطبي المعروف بابن العواد (ت 509 هـ) لقيه في قرطبة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- لم يسمع منه</li> </ul>	<p>هشام بن أحمد بن هشام الهلالي يعرف بابن البقوة (ت530هـ) - لقيه في غرناطة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- قرأ عليه كتاب الأربعين حديثا للأجري</li> <li>- حدثه بكتاب المعجم في شيوخ أبي ذر</li> </ul>	<p>الفقيه يونس بن محمد بن مغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث يعرف بابن الصفار (ت 532 هـ)</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- جالسه كثيرا وحضر مجالسه في الادب</li> <li>- أخبره بفوائد ملح</li> <li>- انشده كثيرا من شعره ومناقضاته</li> </ul>	<p>النحوي الأديب أبو الحسين يحيى هو ابن الطراوة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- سمع منه بعض من كتابه المنتقى من كلام أهل التقى</li> <li>- أجازه كتاب الرعاية لحارث المحاسبي</li> </ul>	<p>محمد بن خميس الصوفي</p>

**المصدر:** المصدر: تم إنجازها بالاعتماد على مصنف القاضي عياض: الغنية.

## الجدول رقم (9): شيوخ القاضي عياض بالإجازة

الإجازات	الشيوخ
- أجازته كتابه المسمى بالمعلم في شرح مسلم وغيره من تواليفه	الإمام محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (ت 536 هـ) - مستوطن المهديّة
أجازته جميع روايته من ذلك: - جميع تواليفه أبي الوليد الباجي - جميع مضمن فهرسته - جميع تصانيف عبد الجليل وروايته منها كتاب اللامع للأذري	الفقيه القاضي محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين (ت 503 هـ) - غرب الأندلس
- أجازته جميع روايته	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي أبو عبد الله يعرف بابن الخطاب (ت 525 هـ) - مصر
- أجازته تواليفه وروايته	محمد بن المسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الصقلي - ساكن الإسكندرية
- أجازته جميع روايته	محمد بن الفرج
- أجازته جميع رواياته ومجموعاته	الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني - نزيل الإسكندرية
- أجازته كتاب البخاري عن كريمة سماعا منها بسندها المعلوم	الشيخ أحمد بن خليفة بن قاسم بن منصور بن عبد الله الخزاعي - مكة
- أجازته فهرسته الكبرى وجميع رواياته غير مرة	الشيخ الحافظ الحسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجباني (ت 498 هـ) - قرطبة
- أجازته جميع رواياته	الشيخ حيدر بن يحيى بن حيدر بن يحيى الجيلي الصوفي (ت حدود 530 هـ) - مجاور مكة
- أجازته جميع رواياته وتصانيفه	أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) - سكن بلنسية
- أذن له بالحديث عنه المشهور بالحديث المسلسل في أخذ اليّد	محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهري (ت 530 هـ) - شاطبة
- أجازته جميع روايته	عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد النيسابوري المعروف بالأكافي الشافعي
- أجازته جميع روايته	الشيخ الصالح عبد الرحمن بن عبد الله بن منتيل السرقسطي (ت 515 هـ) - بلنسية
- أجازته جميع رواياته	عبد الواحد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادي الفهري - بغداد
- أجازته جميع رواياته من ذلك الجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي	الإمام عبد الملك ابن أبي مسلم ابن أبي نصر الهمداني المعروف بالنهاوندي
- أجازته جميع روايته من ذلك تواليفه أبي محمد عبد الغني	علي بن المشرف بن المسلم بن حميد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنماطي الإسكندراني - مصر

علي بن أبي القاسم بن محمد المهدي يعرف بابن البناء - سكن مكة	- أجازته جميع رواياته من ذلك كتاب الجامع الكبير في القراءات تأليف أبي معشر الطبري، وكتاب التلخيص في القراءات لنفس المؤلف
القاضي المقرئ شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني (ت 539 هـ)	- أجازته جميع رواياته من ذلك تصانيف أبيه
محمد بن أحمد الأموي المقرئ (ت 512 هـ)	- أخبره بكتاب الهداية للمهدي في القراءات
الإمام محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي (ت 520 هـ) - استوطن الإسكندرية	- أجازته جميع رواياته وتصانيفه
الوزير أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي	أجازته جميع رواياته منها: - كتاب اختلاف الموطآت للدارقطني لأبي الحسن الدارقطني - الجامع لنكت الأحكام المستخرج من الكتب المشهورة في الإسلام لأبي القاسم زيدون بن علي السببي - النصائح لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفقيه أجازته جميع رواية الدلائل والباقي، نو ابن عبد البر، الطرابلسي، أبي محمد المسيلي السبتي، أبي عبد الله ابن خليفة وغيرهم
خلف بن خلف بن محمد الأنصاري يعرف بابن العربي (ت 508 هـ)	أجازته جميع رواياته
الشيخ الصالح أبو الحسن خليف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله العبدي (ت 513 هـ)	أجازته جميع رواياته
محمد بن حبيب الأموي	

المصدر: المصدر: تم إنجازها بالاعتماد على مصنف القاضي عياض: الغنية.

ملحق رقم 9:

القبائل العربية في الأندلس وأماكن استقرارها

(مستخرجة من كتاب «جمهرة الأنساب» لابن حزم)

الصفحة	القبائل العربية المقيمة فيها	المدينة أو القرية
١٨٩ - ٣٦٥ ٢٩٢ - ٤٢١ - ٤٢٣	بنو كنانة، بنو عرمرم، بنو خنثعم، بنو جدام، بنو زياد اللخميون	شدونة
١٢٧ - ٣٦٥ ٤٣٠ - ٤٥٠	بنو عبد الدار، بنو كعب التجيبون، بنو فوارتش	سرقسطة
٢١٨ - ٢١٩	بنو بعدلة	طلبيرة
٣٤١ ٤٥٠ ٤٣٠ ، ٥٠٠ ٤٣٠ ٣٢٧ ٢٠١ ٣٦٣	بنو حارثة بنو عذرة التجيبون (فرع آخر) التجيبون (فرع آخر) قبائل تمارة بنو عمر بن أد بنو قطنين	قلعة رباح دلابة دروقة قلعة أيوب قرمونة قبرة قرية اختيانة بقبرة
١٩٦ - ٢٥٢ ٢٩٠ - ٢٩١ ٣٩٧ - ٤١٨ ٤٥٥	بنو أسد، بنو مرة، بنو قشير آل عطيف، دار همذان، بنو خولان بنو خشين	البيرة
١٩٩ ٤٣٣ ٢٤٦ ٢٩٢ - ٤٠٨ ٤٣٦ ١٣٢ - ٢٦٧ ٣٣٣	بنو ملكان دار بلي بنو قتيبة بنو خويلد (فرع من بني سعد) جرش الزهريون، بنو منذر آل حفص بن أحمد بن عمار	مرسية مورور وادي الحجارة وادي آش بجانة باجة
٢٤٠ - ٢٨٣ ٢٤١	بنو أقصى، بنو منهب بنو جدام	تدمير
٤٠٤ ٤١٩ ١٣٢ ٣٩٠	دار طيبىء آل جحاف الزهريون من بني زهرة بنو نجيلة	بسطة بلنسية بطليوس أربونة

٤٢١ - ١٨٩ ٤٢٤	بنو كنانة، بنو جذام بنو لخم	الجزيرة الخضراء
٢٤٦ - ١٩٢ ٢٩٠ - ٢٨٧ ٤١٩ - ٢٩٢ ٤٥٠	فرع من بني ثعلبة، بنو عبد الخالق بنو الضباب، بنو قسير، بنو خويلد، بنو منخل بنو عذرة، بنو خشين	جيان
١٠٤ ٢٥٤ - ٢٤٩ ٣٩٢ ٤١٢	بنو عائشة وبنو سعيد (فرع من بني غطفان) دار بني مرة، بنو مالك بنو بشتغير وبنو يريم بنو مازن	إشبيلية
٤٠٦ ٤٣٣ ١٠٥ ٢٧٢	بنو عنس بن مذحج الشعبانيون بنو زيان (من أعقاب عمر بن عبد العزيز) بنو سلول	قلعة يحسب مالقة لبلة
٨٩ ٩٥ ١٠٥ ٢٢٠ - ١١٥	أعقاب العباس بن الوليد (أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي) بنو سعيد الخير (من أعقاب عبد الرحمن بن معاوية) بنو زيان (من أعقاب عمر عبد العزيز)، ولد عمارة، بنو الحسين الطبنيون	قرطبة
٣٣٣ - ٣٢٩ ٤٤٣ - ٤١٨	بنو عك بن عدنان، بنو ربيع، بنو هارون، بنو خولان، داربلي	قرطبة
٣٢٧ - ٣٢١ ٤٥٥ - ٤٣٥ ٤٥٥	بنو سلول، بنو مطروح قبائل نمارة، بنو حراز، بنو خشن	أونبة (لبلة)
٨٩ ٣٤٧ - ٣٠٢ ٤١٩ - ٣٩٨ ٤٣٤ - ٤٢٣ ٤٥٤ - ٤٤٧	أعقاب العباس بن الوليد (أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي) بنو النمر، بنو عشم بنو الأشمر، أعقاب زيد بن يشحب بنو زياد، ذي رعين بنو شهد، بنو قين	ريّة

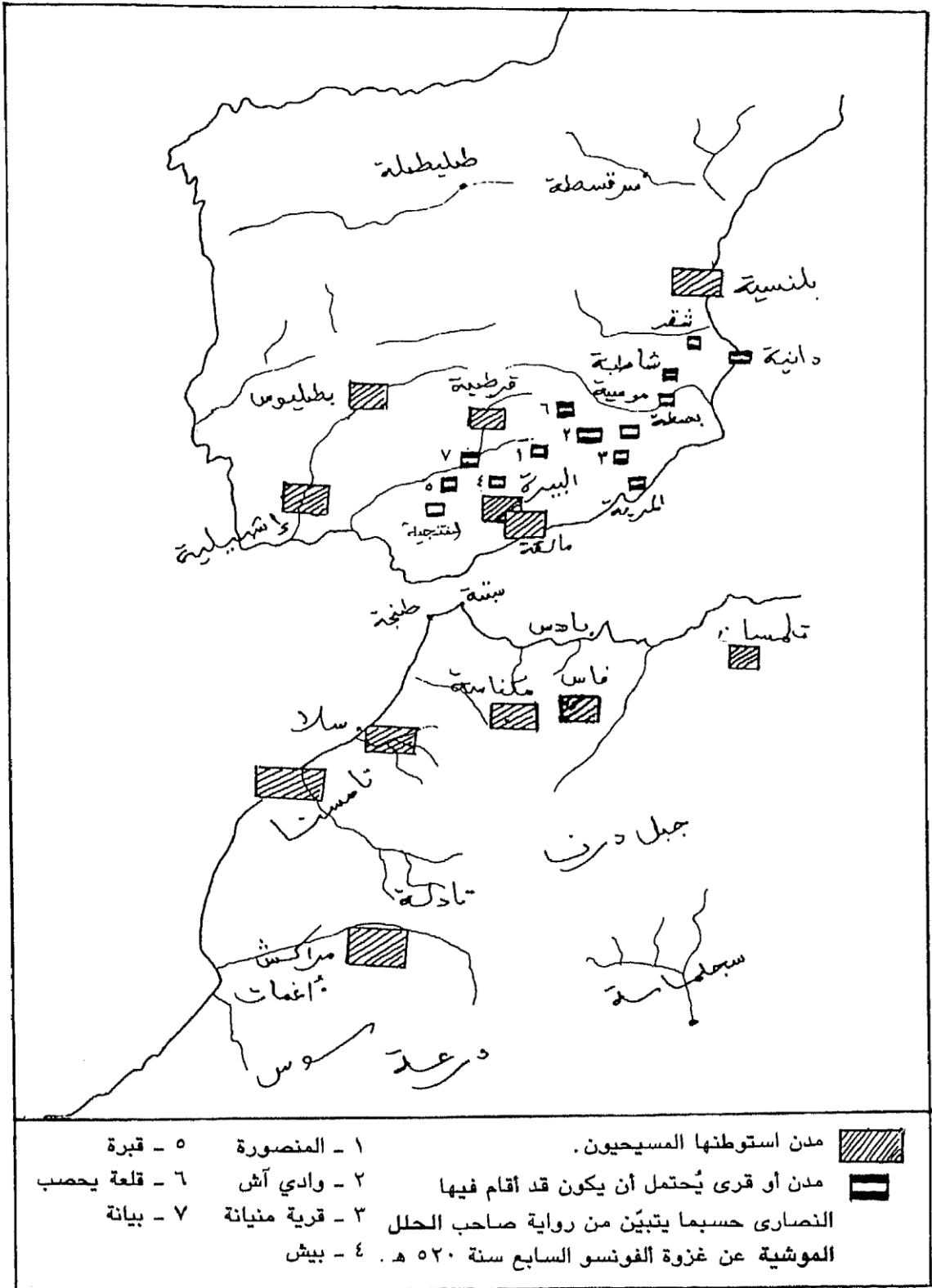
إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 248-249.

ملحق 10: القبائل البربرية في الأندلس وأماكن استقرارها في الأندلس مستخرجة من "جمهرة الأنساب" لابن حزم

الصفحة	منطقة الاستيطان	بطونها	القبيلة
٥٠١	أليشة	أوربة	
٥٠١	شقندة، البيرة، البونت	زواوة	
٥٠٠	أشونة	بنو طريف	مصمودة
٥٠٠	قرطبة (استنتاجاً)	بنو يحيى	
٥٠١	قلنبريه	بنو دانس	
٥٠١	مدينة سالم	بنو سالم	
٥٠١	بلكونة	بنو الغليظ	صنهاجة
٥٠٢	أشيونة	بنو عبد الوهاب	
٥٠٠	أقليش، وبذة	بنو ذي النون	هواره
٥٠٠	السهلة	بو رزين	
٤٩٩	قرطبة	بنو جهور المرنايون	
٥٠٠ - ٤٩٨	شنت برية	زوزة، بنو الليث	زناتة
	شنت برية	بنو عرون، بنو هذيل	
٤٩٩	لقنت	بنو الجزولي	
٥٠٠	قرطبة	بنو الزجالي	زناتة
٥٠٠	تاكرنا	بنو الحليع	
٥٠٠	شاطبة	بنو عميرة	
٤٩٨	؟	وزداجة	
٤٩٨	؟	مغلية بنو الياس	
	؟	بنو زروال	
٤٩٨	؟	مكناسة	
	؟	بني والنوس	

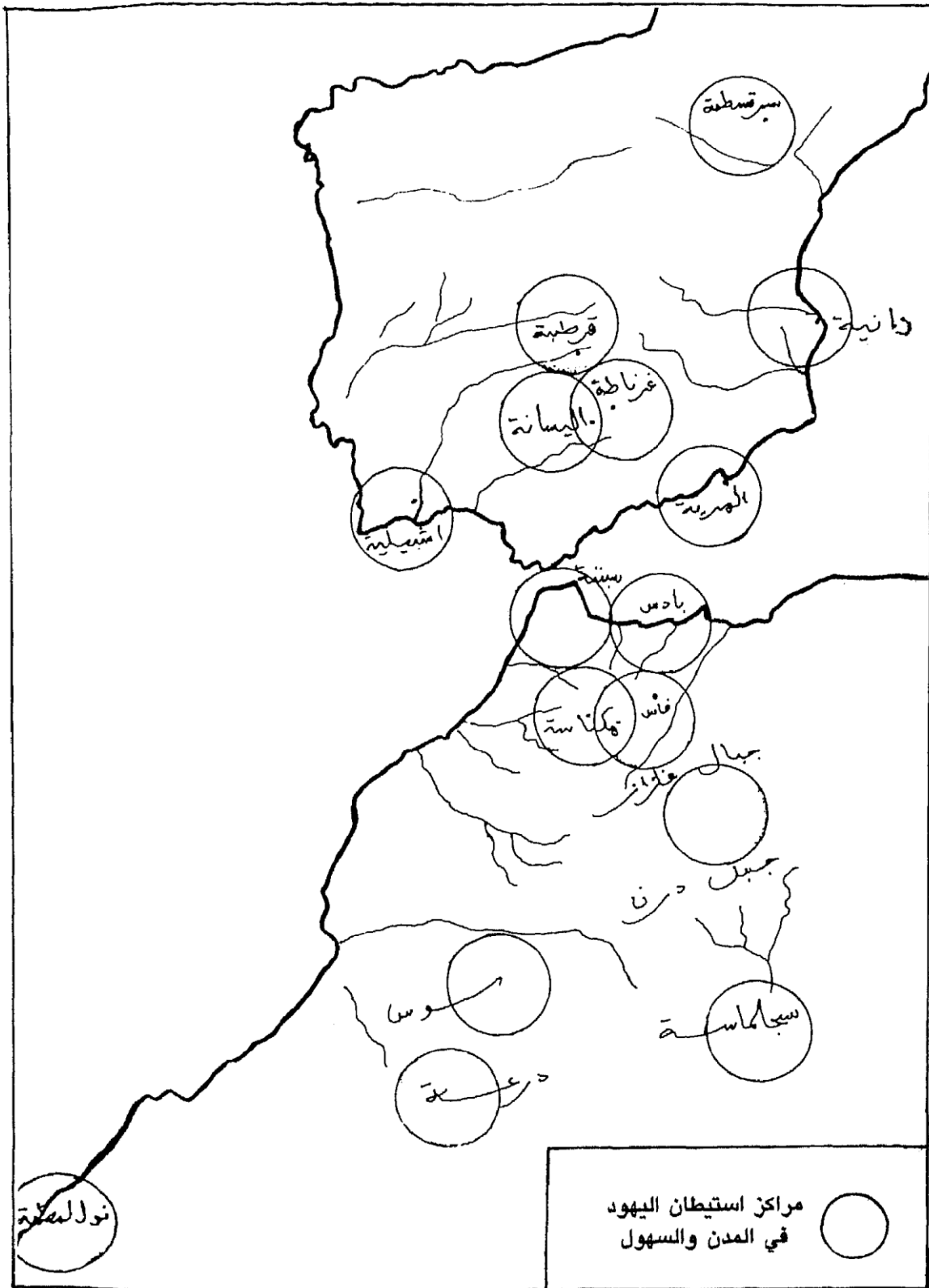
إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 251

ملحق رقم 11: مراكز استيطان المسيحيين في المغرب والأندلس في عصر المرابطين



إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 254

ملحق 12: مناطق تجمعات اليهود في المغرب والأندلس في عصر المرابطين



إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 255.



## ملحق 13: مسجد تينمل



كان مسجد تينمل جزءًا من الحصن المنيع في جبال الأطلس الكبير جنوب مراكش، والذي كان بمثابة مركز معارضة الموحدين للمرابطين.

ronald a. messier : the almoravids and the meanings of jihad, p149.

بيبايو غرافيا

## أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

### 1. المصادر:

- 1- آبادي الفيروز: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة.
- 2- إبراهيم أبي الطاهر: التنبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق: الدكتور محمد بلحسان، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 2007 م، ج 1.
- 3- ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985 م، ج 1.
- 4- -----: المعجم في أصحاب الامام علي الصدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، القاهرة، دار الكتاب المصري.
- 5- ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط 1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977 م، مج 4.
- 6- ابن الخطيب: أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل لاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 2.
- 7- -----: تاريخ المغرب في العصر الوسيط - القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العيادي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964 م.
- 8- ابن الرشد: فتاوي ابن الرشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987 م.
- 9- ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي المكي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1990 م.
- 10- ابن تومرت: اعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مراكش، مطبعة أوليلي.
- 11- ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983 م.

- 12- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، القاهرة، دار المعارف.
- 13- ابن حوقل أبي القاسم: المسالك والممالك، ليدن المحروسة، مطبع بريل، 1873م.
- 14- -----: صورة الأرض، بيروت، دار صادر.
- 15- ابن خاقان الفتح: قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، تحقيق: حسن يوسف خريوش، ط 1، الأردن، مكتبة المنار، 1989 م.
- 16- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2000م، ج6.
- 17- -----: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2001م، ج 1.
- 18- ابن خلكان: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ج 3.
- 19- -----: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ج5.
- 20- ابن شكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الابياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ج 2.
- 21- ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2013م، مج 3.
- 22- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة، دار التراث.
- 23- ابن كثير إسماعيل: البداية والنهاية، ط 2، بيروت، مكتبة المعارف، 1977 م، ج 12.

- 24- أبو عبد الله محمد: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريف، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- 25- أبي الفدا: مختصر أخبار البشر.
- 26- الأحمر إسماعيل: بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور، 1972م.
- 27- الانصاري محمد ابن القاسم: اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 2، الرباط، 1983 م.
- 28- البادسي عبد الحق بن إسماعيل: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، ط 2، الرباط، المطبعة الملكية، 1993 م.
- 29- البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، ج 1.
- 30- البغدادي محمد الأمين: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بيروت، دار الاحياء للعلوم.
- 31- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى.
- 32- البلاذري أحمد بن يحيى جابر: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1996م، ج1.
- 33- بن أبي الربيع أحمد: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار كنان للطباعة والنشر.
- 34- بن جماعة بدر الدين: تحرير الاحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، قطر، طبعه رئاسة المحاكم والشؤون الدينية، 1985م.
- 35- التلمساني محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب.
- 36- الثعالبي محمد بن الحسين الحجوي: الفكر السامي، ج4.
- 37- الجزري ابن الأثير: اللباب في تهذيب الانساب، بغداد، مكتبة المثنى.

- 38- الجوهري إسماعيل بن حماد: الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، ج2، 1979م.
- 39- الحموي ياقوت: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، مج3.
- 40- -----: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م، مج5.
- 41- الداودي شمس الدين: طبقات المفسرين، مراجعة لجنة من العلماء، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983 م، ج 2.
- 42- الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984 م، ج 19.
- 43- -----: سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الأرنؤوط وغيره، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج 20.
- 44- الزمخشري جار الله: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق خليل مأمون شيحا، ط 3، بيروت، دار المعرفة، 2009 م.
- 45- -----: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985 م، ج 20.
- 46- السبكي تاج الدين: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار الاحياء للكتب العربية، ج3.
- 47- -----: معيد النعم ومبيد النقم، ط 1، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، 1986 م.
- 48- السملالي العباس بن إبراهيم: الاعلام بمن حل مراكز وأغمات من العلام، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، الرباط، المطبعة الملكية، 1997 م، ج 9.
- 49- الشنتريني ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، لبنان، دار الثقافة، 1997م، ق3، مج1.
- 50- صلاح الدين الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، مصر، المطبعة الجمالية، 1911م.

- 51- الصنهاجي البيدق أبي بكر: أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين،  
تصحيح وترجمة لافي بروفنسال، 1928م.
- 52- الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق  
بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.
- 53- الغزالي أبي حامد: إحياء علوم الدين، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2005م.
- 54- -----: فاتحة العلوم، ط1، مصر، المطبعة الحسينية، 1322هـ.
- 55- القاري الملا علي: شرح الشفا للقاضي عياض، ضبطه: عبد الله محمد الخليلي،  
ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 2001م، ج1.
- 56- القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد  
بن شريفة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م.
- 57- القاضي عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحي إسماعيل، ط1،  
المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ج1.
- 58- -----: الإعلام بحدود قواعد الإسلام، تحقيق: محمد صديق  
المنشاوي، مصر، دار النصر، 1995م.
- 59- -----: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق أحمد  
صقر، ط1، القاهرة، دار التراث، 1970م.
- 60- -----: التتبيهاات المستتبطة على كتب المدونة والمختلطة، تحقيق:  
محمد الوثيق، ط1، بيروت، دار الحزم، 2011م.
- 61- -----: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد البجاوي،  
بيروت، دار الكتاب العربي، 1984م، ج1.
- 62- -----: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير  
جرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 63- -----: بغية الرائد لما في حديث أم الزرع من فوائد، تحقيق: صلاح الدين  
بن أحمد الادلبي وآخرون، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1975م.

- 64- -----: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط 2، المملكة المغربية، 1983 م، ج 1.
- 65- -----: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، ط 2، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، 1982 م، ج 5.
- 66- -----: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المملكة المغربية، 1982 م، ج 7.
- 67- -----: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المملكة المغربية، 1983 م، ج 8.
- 68- القلشقندي أحمد: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، بيروت، دار الكتب اللبناني، 1980 م.
- 69- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، اعتناء احسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 2.
- 70- المالكي ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، القاهرة، دار التراث، ج 2.
- 71- الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغادي، ط 1، المنصورة، مطابع الوفاء، 1989 م.
- 72- المراكشي عبد الواحد: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط 1، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
- 73- المسعودي علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ط 1، صيدا، المكتبة العصرية، 2005 م، ج 2.
- 74- المقري شهاب الدين: أزهار الرياض في أخبار عياض، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ج 3.



- 75- -----: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد  
أعراب، المملكة المغربية، صندوق إحياء التراث، ج 4.
- 76- -----: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد  
أعراب، المملكة المغربية، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 1980م، ج 5.
- 77- -----: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا  
وآخرون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939 م، ج 1.
- 78- -----: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان  
عباس، بيروت، دار صادر، 1988م، مج 1.
- 79- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد  
الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م.
- 80- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار،  
ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979م.
- 81- الهروي الملا علي القاري الحنفي: شرح الشفا للقاضي عياض، ضبطه عبد الله  
محمد الخليفي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، ج 1.
- 82- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس  
والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون  
الإسلامية، 1981م، ج 2.
- 83- -----: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس  
والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون  
الإسلامية، 1981م، ج 8.
- 84- اليعقوبي: البلدان، لبنان، دار الكتب العلمية.

## 2. المراجع:

- 1- إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم (160-296هـ / 777-909م)، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2019م.
- 2- إبراهيم خليل: دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الامارة والخلافة، دار البشائر الإسلامية.
- 3- أبو زهرة محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذهب الفقهية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- 4- أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحد، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2009م.
- 5- البختي جمال علال: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2005 م.
- 6- بن كنون عبد الله: زكريات مشاهير الأمة في العلم والأدب والسياسة، قدمه محمد بن عزوز، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2010م، ج3.
- 7- بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.
- 8- بنسباع مصطفى: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، تطوان، مطابع الشويخ، 1999م.
- 9- بوتشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة.
- 10- الترابي البشير علي محمد: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 1997 م.
- 11- تورنو روجي لي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1982م.
- 12- توفيق أمين: دراسات في تاريخ سبنة الإسلامية، تونس، دار القلم، 1989 م.

- 13- جسوس عز الدين: موقف الرعية من السلطة السياسية في المغرب والأندلس على عهد المرابطين - دراسة في علم الاجتماع السياسي، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، 2014م.
- 14- جلاب حسن: الآثار الأدبية لـصوفية مراكش، ط1، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 1994م.
- 15- -----: الحركة الصوفية في مراكش ظاهرة سبعة الرجال، ط1، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 1994م.
- 16- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة.
- 17- الخربوطلي علي حسن: الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1969م.
- 18- خليل عماد الدين: حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي.
- 19- الدسوقي محمد عبد العليم: صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات وأثره في وحدة وإعادة صياغة المجتمع الإسلامي، ط2، مصر، دار الكتب المصرية، 2013م.
- 20- دندش عبد اللطيف: أضواء جديدة على المرابطين، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991م.
- 21- دويدار حسين يوسف: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422/755-1030م، ط1، مصر، مطبعة الحسين الإسلامية، 1994م.
- 22- ربابعة محمد مجلي: جهود القاضي عياض في التفسير، ط1، الأردن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2010م.
- 23- رستم أسد: مصطلح التاريخ، ط1، مصر، دار الكتب المصرية، 2015م.
- 24- الزحيلي محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1995م.

- 25- الزعفراني حاييم: يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة.
- 26- زمامة عبد القادر: أبو عمران الغفجومي أول مفكر في تأسيس دولة المرابطين، من كتاب أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي، ط1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، 2010م.
- 27- الزناتي أنور محمد: دور الفقهاء في الأندلس علميا -سياسيا - اقتصاديا-اجتماعيا - ثقافيا (448-541هـ / 1056 - 1147م)، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2016م.
- 28- زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، اعتنى به محمود بن الجميل، ط1، الجزائر، دار الامام مالك، 2007م.
- 29- السامرائي أسامة عبد الحميد السيد: دولة الموحدين تأسيسها-ثورتها-تنظيماتها-عقيدتها، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2015م.
- 30- سعد فهمي: العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي، 1993م.
- 31- السيد محمود: المغرب الإسلامي في ظل دولتي المرابطين والموحدين، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2016م.
- 32- الشاعر صالح: المختارات الشعرية لأبي حامد الغزالي من كتابه إحياء العلوم، مكتبة مدبولي الصغير.
- 33- الشكعة مصطفى: المغرب والاندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، ط1، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1987م.
- 34- الشواط الحسين بن محمد: القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476 - 544 هـ)، دمشق، دار القلم.
- 35- -----: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في اكمال المعلم بفوائد مسلم، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن عفان، 1993م.

- 36- الصالح محمد بن أحمد بن صالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ط1، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001م.
- 37- الصاوي محمد الصاوي عمروا: عامة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين (448-541هـ / 1056-1146م)، ط1، دار رسالة العلم، 2022م.
- 38- الصاوي محمد: دولة الموحدين، ط1، الجيزة، دار طبعة للطباعة، 2015م.
- 39- الطاهري أحمد: عامة قرطبة في عصر الخلافة، الرباط، مطبعة عكاظ.
- 40- طه جمال أحمد: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية حضارية، الإسكندرية، دار الوفاء لدينا.
- 41- عبد الرحمن ممدوح: دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- 42- عبد المنعم فؤاد: شيخ الإسلام ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى، ط1، الرياض، دار الوطن.
- 43- عبد محمد سوادي: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، المكتبة المصرية، القاهرة.
- 44- عثمان محمد رأفت عثمان: رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي، ب ط، ب م، مطبعة السعادة، ب س.
- 45- عروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000م، ج2.
- 46- عزاوي أحمد: رسائل موحدية مجموعة جديدة، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ج2، 2001م.
- 47- العسكري عبود: أصول المعارضة السياسية في الإسلام، ط1، دمشق، دار معد للطباعة والنشر، 1997م.

- 48- عقون مليكة: إشكالية الامامة في الفكر السياسي العربي الإسلامي " المهدي ابن تومرت نموذجاً"، تلمسان، النشر الجامعي الجديد، 2018م.
- 49- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، القاهرة، مكتبة الخاندي، 1997م.
- 50- -----: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1990م، القسم الأول.
- 51- فهد بدري محمد: العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، بغداد، مطبعة الارشاد، 1967م.
- 52- القرشي يوسف: عن نظرية السلطة في الإسلام دراسة في مفهوم السلطة السياسية ومصادرها والقيود عليها، ط1، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2019م.
- 53- قطب سمير عبد الرزاق: أنساب العرب، بيروت، مكتبة دار البيان.
- 54- الكحلاوي محمد: الفكر الوصفي في إفريقية والغرب الإسلامي (ق 9 هـ - 15 م)، ط 1، بيروت، الطليعة للطباعة والنشر، 2009 م.
- 55- كنون عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، ج1.
- 56- لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- 57- المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم، الجزائر، شركة الشهاب، 1987م.
- 58- مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، ط2، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2017م، مج 2.
- 59- مجموعة مؤلفين: معلمة المغرب، المغرب، مطابع سلا، 2003 م، ج 14.
- 60- مذكور إبراهيم: حقوق الانسان في الإسلام، ط1، القاهرة، دار طلاس، 1992م.
- 61- مسعود بريكة: النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م)، ط1، الجزائر، دار ميم للنشر، 2014م.

62- موسى جلال محمد عبد الحميد: نشأة الأشعرية وتطورها، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

63- الناصري خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997م، ج2.

64- نصر الله سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1985م.

65- نوار صلاح الدين محمد: الخلافة أو الامامة وتطورها السياسي والديني (11-41هـ/611-632م)، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1996م.

66- النووي يحيى بن الشرف: رياض الصالحين، ط1، بيروت، دار الفكر، 2003م.

67- الوراكي حسن: أبو الفضل القاضي عياض السبتي (ثبت بيليوغرافي)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م.

68- -----: شيوخ العلم وكتب التدريس في سبته، ط1، تطوان، مطبعة النور، 1984 م.

### 3. المقالات:

1- ابن حمادي عمر: الصراع الدعائي أثناء الثورات: الترشق بالألقاب بين المرابطين والموحدين، أشغال الملتقى الدولي الخامس حول الحركات الاجتماعية في العالم العربي الإسلامي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008م.

2- أحمد الشكري: عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية، ندوة عبد الله بن ياسين، ط1، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، 1998م.

3- بنشريفة محمد: حول كتابة سيرة محررة لعبد الله بن ياسين، ندوة عبد الله بن ياسين، ط1، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، 1998م.

4- -----: كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده القاضي أبي عبد الله محمد، المناهل عدد خاص بالقاضي عياض،

- 5- بنعبد الله عبد العزيز: سبته في عصر عياض، مجلة المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 6- تازي عائشة: المد الشيعي في بلاد المغرب ورد فعل البربر: 297هـ-362هـ، مجلة عصور الجديدة، س 7-8، 2012-2013م.
- 7- الجراري عباس: أسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره في المغرب، ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ج 2.
- 8- جسوس عز الدين جسوس: الفئات الاجتماعية في الغرب الإسلامي التسميات والمفاهيم، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مجلة البحث التاريخي، العدد 3، 2005م.
- 9- حركات إبراهيم: ندوة عبد الله بن ياسين، ط1، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، 1998م.
- 10- الخديمي علال: جهاد عبد الله بن ياسين والحركة المرابطية، ندوة عبد الله بن ياسين، ط1، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، 1998م.
- 11- الخطابي محمد: مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض
- 12- دندش عصمت عبد اللطيف: حول رباط عبد الله بن ياسين، ندوة عبد الله بن ياسين، ط1، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، 1998م.
- 13- زمامة عبد القادر: القاضي عياض منهاج العلم وقدوة السلوك، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 14- زنيبر محمد: اتجاه القاضي عياض الفكري بين واقع ومذاهب، مجلة المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.



- 15- -----: الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي ابن تومرت، مجلة المناهل، ع 24، 1982م.
- 16- الطيب عبد الله: القاضي عياض الناقد، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 17- عبد الرحمن عائشة: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 18- عبد الهادي الحسين: عياض خريج مدرسة الحديث المرابطية، مجلة الاعتصام، س8، ع7.
- 19- فهد بدري محمد: كتاب الشفا في حقوق المصطفى، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 20- قاسم كسار أحمد: قضاء القاضي عياض دراسة تاريخية، الرابطة المحمدية للعلماء، ع1، 2011م.
- 21- الكتاني محمد: مقدمة معاصرة لكتاب الشفا، المناهل، العدد الخاص بالقاضي عياض، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 22- كنون عبد الله: القاضي عياض أديبا، مجلة المناهل، عدد خاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980 م.
- 23- -----: القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، الرباط، وزارة الشؤون الدينية، ع 3، س 1981 م، ص 14.

24- مجموعة مؤرخين: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحد، ط1، الدار البيضاء، أشغال الملتقى الأول، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، 1988م.

25- محمد عمر بكر: السوس الأقصى في عهد دعوة ابن تومرت، مجلة التاريخ والمستقبل، عدد يناير، جامعة المنيا، 2013م.

26- معلومي عبد المجيد: عياض أشعريا، ندوة القاضي عياض وتأسيس المذهب المالكي.

27- المغراوي محمد: السلطة الموحدية والنخبة العالمية بين التوتر والانفراج، أعمال الأيام الوطنية الثالثة والعشرين - تدبير المغاربة للختلاف: استلهام لأساليب التعايش وقبول الآخر، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2016م.

28- مولود أبا علال: الحجاج في الخطابة السياسية عند أبي بكر الصديق، مجلة آفاق، المجلد 13، العدد 01، 2012م.

29- الناصري محمد المكي: المذهب المالكي مذهب المغاربة المفضل، ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ج1.

30- ندوة القاضي عياض وتأسيس المذهب المالكي بالمغرب، أعمال ندوة دولية 16 - 17 أبريل 2009 م، مراكش، منشورات جامعة القاضي عياض، إعداد عبد الجليل هنوش، 2010م.

31- الهراس عبد السلام: شيء من منهجية عياض في دراسة النص، المناهل العدد الخاص بالقاضي عياض، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع 19، 1980

م.

32- الوراكي حسن: أبو عمران الفاسي منظومة علم وأخلاق، ندوة أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي، ط1، الرباط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرباطة المحمدية للعلماء، دار الأمان للنشر والتوزيع، 2010م.

#### الأطروحات:

- 1- بالة نوارى: أدبية الخطاب النثري عند القاضي عياض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008م.
- 2- غرداين مغنية: نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة (ق5-7هـ / 11-13م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م.

#### 4. المراجع الأجنبية:

- 1- alfred bel, les benou ghanya, ernest leroux éditeur, paris, 1903.
- 2- ameer ali, syed: short history a of the saracens being a concise account of the rise and decline of the saracenic power and of the economic, social and intellectual development of the arab nation from the earliest times to the destruction of bagdad, and the expulsion of the moors from spain, the macmillan company, london, 1899.
- 3- e.fagnan : almohades des hafcides , imprimerie adolphe braham, constantine, 1895.
- 4- leopoldo torres balbás, artes almoravide y almohade, blass, s. a. tipográfica. - núñez de balboa, 27. Madrid
- 5- maurice delafosse : haut- sénégale- nige , première série le pays, les peuples, les langues, l'histoire, les civilisations , émile larose, libraire- éditeur, paris, 1912.

- 6- muhittin kapanşahin: ispanya'da bir murâbitsultani: yusuf b. taşfina murabit sultan in spain: yusuf ibn tashfin, atlas international referred journal on social sciences, vol 4, issue 10, 2018.
- 7- pascal bures: les almoravides, <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-01440057>
- 8- pierre guichard: les almohades, mars 2003.  
[https://www.clio.fr/bibliotheque/pdf/pdf\\_les\\_almohades.pdf](https://www.clio.fr/bibliotheque/pdf/pdf_les_almohades.pdf)
- 9- ronald a. messier : the almoravids and the meanings of jihad, santa barbara, california, 2010.
- 10- saif al-marri: kitab al-tanbihat by qâdi `iyâd 'ibn müsa a critical study and annotation of the marriage chapter, submitted to university of wales in fulfilment of the requirements for the degree of doctor of philosophy, university of wales, lampeter, 2000.

# الفهارس

فهرس الأعلام:

الاسم	الصفحة
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البصري	ص 120، 224، 227، 273.
أبو الحسن بن زباغ	ص 186.
أبو الحسين بن سراج	ص 18، 42، 281.
أبو الوليد الباجي	ص 54، 55، 274، 278، 279، 282.
أبو الوليد القرطبي	ص 223، 229، 281.
أبو بكر ابن عطية	ص 17.
أبو بكر بن عمر	ص 90، 92، 116، 139.
أبو جعفر المنصور	ص 245.
أبو عمران بن أبي تليد	ص 17، 221، 275.
أبو علي الجبائي ابن شبرين	ص 19.
أبو محمد بن أبي جعفر	ص 42.
عبد الرحمن بن محمد بن عتاب	ص 189، 236، 238، 280.
إبراهيم بن أحمد بن يربوع	ص 227.
إبراهيم بن تاشفين	ص 143، 151، 152، 159، 259.
إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي يعرف بابن الفاسي	ص 224، 228، 273.
إبراهيم بن محمد	ص 276.
ابن أبي بكر الخطيب	ص 215، 275.
ابن الأقر	ص 19.
ابن الجد	ص 38، 116.
ابن خير الاشبيلي	ص 46.
ابن العربي	ص 17، 51، 118، 123، 157، 183، 225، 228، 232، 240.
ابن العريف	ص 63.
ابن القصير	ص 41، 45، 46.

ص 81، 94، 96، 97، 98، 107، 108، 109، 110، 111، 113، 125، 126، 128، 129، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 143، 145، 146، 152، 161، 169، 170، 171، 255، 263.	ابن تومرت
ص 26، 214.	ابن جابر
ص 18، 42، 43، 64، 116، 124، 191، 226، 233، 238، 277.	ابن حمدين
ص 36، 43، 188، 292.	ابن خاقان
ص 24.	ابن صلاح
ص 26، 30.	السيوطي
ص 154.	ابن غانية
ص 20.	ابن غرديس التغلبي
ص 55، 57.	ابن فورك
ص 177.	ابن قسي
ص 177.	ابن مردنيش
ص 109.	ابن وهيب
ص 53، 56، 57، 132، 235.	أبو الحسن الأشعري
ص 281.	أبو الحسين يحيى (ابن الطراوة)
ص 185، 276.	أبو العباس أحمد بن عمران الأنصاري الطليطلي
ص 120، 121، 278، 280.	أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقي بن مخلد
ص 30، 117، 118، 201، 204، 205، 216، 222، 225، 228، 233، 238، 240، 277.	أبو الوليد بن أحمد بن رشد
ص 61.	أبو بكر الشلبي
ص 20.	أبو بكر الطرطوشي
ص 221، 230، 236، 275، 280.	أبو بكر غالب بن عطية المحاربي
ص 185، 191، 238.	أبو بكر محمد بن خلف بن محمد بن فتحون الأريولي

ص 273.	أبو بكر محمد بن عبد الله بن البراء
ص 19، 120، 283.	أبو جعفر بن بشتغير
ص 82، 84، 94، 95، 140، 277.	أبو حامد الغزالي
ص 155.	أبو حفص عمر بن يحيى
ص 144.	أبي طالب عبد الجبار الشقري
ص 56.	أبو طاهر السلفي
ص 231.	أبو عبد الله ابن الفراء
ص 15، 63.	أبو عبد الله الزاهد
ص 21، 24، 25، 50، 282.	أبو عبد الله المازري
ص 21.	أبو عبد الله بن الخطاب
ص 227.	أبو عبد الله بن عبد الله
ص 17، 22، 118، 185، 224، 231، 233، 276.	أبو عبد الله بن عيسى
ص 23.	أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز
ص 223، 227.	أبو عبد الله محمد بن عبود التلوخي
ص 228، 230، 273.	أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي
ص 18، 19، 34، 43، 63، 120، 191، 223، 227، 231، 276، 278، 291.	أبو علي الحسين بن محمد بن فيرّه بن حيون الصدفي المعروف بابن سكرة
ص 117.	أبو محمد ابن منصور
ص 282.	أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي
ص 224، 228، 273.	أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي
ص 84، 163، 296.	أبي الحسن الماوردي
ص 13، 55، 56، 57.	أبي الفضل الباقلاني
ص 189.	أبي بحر سفيان ابن العاصي
ص 17.	أبي سليمان أحمد بن محمد السبتي
ص 54.	أبي بكر محمد ابن الحسن المرادي الحضري
ص 45، 192.	أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي
ص 175.	أبي خاطر اليميني



ص 60.	أبي عبد الرحمن السلماني
ص 87، 88، 114، 115.	أبي عمران الفاسي
ص 17، 279.	أبي عيسى الترمذي
ص 18.	أبي محمد ابن عتاب
ص 121، 233، 274.	أبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور
ص 17، 185، 272، 274، 276.	أبي محمد ابن قتيبة
ص 189.	أبو محمد محارب بن محمد بن محارب الوادي أشي
ص 17، 279.	أبي نعيم الأصبهاني
ص 155.	أبي يحيى ابن الجبر
ص 55، 105، 279.	أبي يزيد القيرواني
ص 181.	أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن
ص 233، 278.	أحمد الزنقي أبو العباس
ص 282.	أحمد بن خليفة بن قاسم بن منصور بن عبد الله الخزاعي
ص 120، 283.	أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي
ص 238.	أحمد بن سليمان بن خلف الباجي
ص 19، 223، 230، 238، 282.	أحمد بن طاهر بن علي بن شبرين
ص 278.	أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي
ص 236، 278.	أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد
ص 278.	أحمد بن عثمان بن مكحول
ص 60.	أحمد بن عمر الخفاف الصوفي
ص 273.	أحمد بن قاسم الصنهاجي
ص 282.	أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني
ص 239، 273.	أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري
ص 278.	أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي يعرف بابن المرخي

ص 278.	أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عثمان بن غلبونا الخولاني يعرف بابن الحصار
ص 174.	إدريس الثاني
ص 143.	إسحاق بن علي بن يوسف
ص 167، 168.	إفريقيش
ص 55.	الإسفرائيني
ص 12، 48، 52، 220، 245، 247، 248، 273.	مالك بن أنس
ص 23، 24، 47.	الإمام مسلم
ص 23، 58، 279، 280، 281، 282.	الإمام البخاري
ص 55.	الجويني
ص 274.	الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهري
ص 234، 237، 238، 282.	الحسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالحياني
ص 179.	الحكم الربضي
ص 121، 274.	أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري
ص 26.	الخطيب البغدادي
ص 21، 267.	الزمخشري
ص 26.	السخاوي
ص 16.	الشريف الإدريسي
ص 16.	الشريف السبتي
ص 58.	الكتاني
ص 64.	اليوسي
ص 175.	بلج بن بشير
ص 175.	بن عبد الرحمن الثقفي
ص 143، 149، 150، 152، 156.	تاشفين بن علي
ص 247.	جعفر بن سليمان
ص 29.	جمال الدين محمد بن موسى الدؤلمي
ص 230.	حسن بن خالد بن إبراهيم الزبيدي

ص 282.	حيدر بن يحيى بن حيدر بن يحيى الجيلي الصوفي
ص 279.	خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد يعرف بابن النخاس
ص 283.	خلف بن خلف بن محمد الأنصاري يعرف بابن العريبي
ص 274، 230.	خلف بن يوسف بن فرتون
ص 283.	خليص بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله العبدري
ص 273، 60.	داود بن جهور
ص 61.	ربيع القطام
ص 231، 139.	زينب بنت إسحاق
ص 281.	سراج بن عبد الملك بن سراج الأموي
ص 276.	سعيد بن أحمد بن سعيد السفاقي
ص 281.	سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان الأسدي
ص 281.	سليمان المعروف بابن البيغي
ص 91.	سليمان بن حدو
ص 275.	علي بن عثمان النيسابوري
ص 283، 237، 122.	شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني
ص 175.	طارق بن زياد
ص 237.	طاهر بن هشام
ص 190.	عبد الحميد بن عبدون الفهري اليابري
ص 124.	عبد الخالق بن مروان بن عبد الملك اللواتي
ص 227.	عبد الرحمن ابن محمد
ص 175.	عبد الرحمن الداخل
ص 46، 45.	عبد الرحمن الغرناطي
ص 238.	عبد الرحمن بن القاسم الشعبي المالكي
ص 280.	عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي

ص 282.	عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد النيسابوري
ص 280.	عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموي
ص 122، 282.	عبد الرحمن بن عبد الله بن منتيل السرقسطي
ص 119.	عبد الرحمن بن علي
ص 124، 226.	عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي
ص 121، 227، 275.	عبد الرحمن بن محمد (ابن العجوز)
ص 60.	عبد الرحمن بن محمد الجذامي
ص 280.	عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد
ص 275.	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي
ص 124، 226.	عبد الرزاق بن مروان
ص 231.	عبد العزيز السوسي
ص 280.	عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون أبو الأصبع
ص 275.	عبد الغالب بن يوسف أبو أمحمد السالمي
ص 121، 228، 233، 274.	عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي
ص 215.	عبد الله التجيبي
ص 274.	عبد الله بن أحمد التميمي
ص 121، 233، 274.	عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي
ص 274.	عبد الله بن ادريس بن سهل
ص 95.	عبد الله بن عبد الرحمن العراقي
ص 124، 225.	عبد الله بن علي
ص 226.	عبد الله بن محمد بن إسماعيل
ص 222.	عبد الله بن محمد بن شبونة
ص 51، 274، 279.	عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشني
ص 274.	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفري
ص 224، 227.	عبد الله بن منصور

ص 89، 90، 91، 93، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 115، 116، 137، 169.	عبد الله بن ياسين بن مكى الجزولي
ص 227.	عبد الله محمد بن عبد الله المسيلي
ص 278.	عبد الله محمد بن مفرج بن محمد بن سليمان الصنهاجي
ص 282.	عبد الملك ابن أبي مسلم ابن أبي نصر الهمذاني
ص 32.	عبد الملك بن محمد النيسابوري
ص 16.	عبد المهيمن الحضرمي
ص 4، 6، 81، 94، 97، 98، 111، 113، 144، 145، 146، 147، 151، 152، 153، 156، 157، 184، 252، 253، 257، 263.	عبد المؤمن بن علي
ص 282.	عبد الواحد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادي الفهري
ص 226.	عبد الوهاب بن مروان
ص 114، 279.	عبد الوهاب بن نصر
ص 223، 227.	عبود بن سعيد التتوخي
ص 36.	علي الحسن بن علي بن الطريف
ص 283.	علي بن أبي القاسم بن محمد المهدي
ص 24.	علي بن أحمد الشامي
ص 121، 233، 236، 280.	علي بن أحمد بن خلف الأنصاري
ص 275.	علي بن أحمد بن علي بن عبيد الله الربيعي
ص 282.	علي بن المشرف بن المسلم بن حميد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنماطي
ص 124، 226، 280.	علي بن عبد الرحمن
ص 280.	علي بن عبد الرحمن بن محمد التتوخي
ص 122، 275، 280.	علي بن محمد بن دري الأنصاري
ص 98، 142، 143، 148، 149، 158.	علي بن يوسف بن تاشفين
ص 226.	عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي

ص 275.	عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبي البحر الزهري
ص 16، 25، 167.	مالك بن المرحل
ص 226.	محمد بن إبراهيم بن يربوع
ص 58.	محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني
ص 283.	محمد بن أحمد الأموي
ص 282.	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي أبو عبد الله
ص 228.	محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الطليطلي
ص 118، 123، 215، 224، 240، 277.	محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي
ص 248.	محمد بن الحسن
ص 282.	محمد بن الفرج
ص 282.	محمد بن المسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الصقلي
ص 59، 283.	محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي
ص 60، 163، 164، 167، 168، 283، 295.	محمد بن جرير الطبري
ص 22.	محمد بن حمادة السبتي
ص 226.	محمد بن خلف بن سعيد بن وهب
ص 59، 278.	محمد بن خميس أبو عبد الله الصوفي
ص 276.	محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي
ص 36، 277.	محمد بن سليمان النفزي المعروف بأخت غانم
ص 226، 238.	محمد بن سليمان بن خليفة
ص 278.	محمد بن عبد الرحمن بن سعيد
ص 282.	محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين
ص 273، 278.	محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري

ص 227.	محمد بن عبد الله الأموي
ص 273.	محمد بن عبد الله المعروف بالموزوري
ص 124، 225.	محمد بن عبد الله بن غالب الهمداني
ص 50، 119، 228، 272.	محمد بن عبد الله بن محمد الأموي
ص 228، 276، 277.	محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري
ص 276.	محمد بن عقال السرقسطي
ص 272.	محمد بن علي بن محمد الأزدي
ص 276.	محمد بن علي يعرف بابن الصَّيقل الشاطبي
ص 272.	محمد بن عمر بن قطري الزبيدي
ص 118، 227، 233، 272.	محمد بن عيسى بن حسين التميمي
ص 231.	محمد بن فرج مولى ابن الطلاع
ص 234.	محمد بن قاسم
ص 124.	محمد بن مروان بن عبد الملك اللواتي
ص 123، 222.	محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود العكي
ص 234.	محمد عبد الله اللخمي
ص 282.	محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهري
ص 123، 124، 222، 225.	مروان بن عبد الملك اللواتي
ص 122، 222، 275.	مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي
ص 175.	منصور بن نصر الطنبذي
ص 175.	موسى بن النصير
ص 276.	نصر بن محمد السمرقندي
ص 229، 281.	هشام بن أحمد بن هشام الهلالي
ص 101، 103، 169.	وكاك بن زلو (وجاج بن زلو)
ص 87، 101، 102، 103، 115.	يحيى بن إبراهيم الجدالي
ص 103.	يحيى بن عمر اللمتوني
ص 155.	يصلاتن ابن المعز
ص 92، 93، 98، 106، 124، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 147، 148، 149.	يوسف بن تاشفين

،222 ،181 ،180 ،178 ،172 ،158 ،151 .231	
ص 276.	يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عديس
ص 54 ،55 ،276.	يوسف بن موسى الكلبي
ص 281.	يونس بن محمد بن مغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث



فهرس الأقطار، البلدان والمدن:

المكان	الصفحة
أوروبا	ص 26، 141.
اشبيلية	ص 119، 120، 122، 176، 177، 178، 181، 223، 226، 228، 229، 237، 272، 276، 277، 278، 280.
أصيلا	ص 275.
أغمات	ص 90، 91، 110، 121، 139، 146، 166، 175، 178، 186، 276، 294.
أغيغي	175.
إفريقية	ص 21، 27، 50، 61، 97، 99، 167.
الإسكندرية	ص 41، 107، 282، 283.
الأندلس	ص 12، 15، 16، 19، 23، 20، 33، 46، 48، 51، 64، 87، 93، 94، 99، 101، 114، 116، 117، 118، 122، 132، 140، 141، 142، 143، 145، 147، 148، 149، 154، 166، 167، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 183، 191، 195، 197، 206، 222، 231، 239، 253، 262، 264، 273، 274، 277، 280، 282.
البيرة	ص 177.
الجزائر الشرقية	ص 142.
الجزيرة الخضراء	ص 121، 122، 141، 154، 226، 227، 229.
الحجاز	ص 21.
السودان	ص 87، 90، 93، 103، 142، 180.
السوس	ص 94، 145، 169.
السوس الأقصى	ص 111، 142، 147.

ص 12، 24، 48، 59، 167، 168.	الشام
ص 48، 95، 166، 235.	العراق
ص 12، 55، 87، 105، 114، 175.	القيروان
ص 26.	ألمانيا
ص 40.	المدينة المنورة
ص 179.	المرسية
ص 109، 124، 179، 226.	المرية
ص 10، 13، 15، 16، 31، 32، 41، 48، 53، 57، 58، 63، 65، 67، 69، 71، 87، 90، 92، 93، 96، 97، 99، 100، 101، 107، 114، 117، 122، 132، 133، 139، 140، 141، 142، 145، 147، 153، 154، 167، 168، 169، 171، 173، 174، 175، 177، 178، 180، 181، 195، 212، 213، 219، 222، 251، 253، 263، 264.	المغرب
ص 54، 88، 95، 99، 111، 115، 138، 145، 167، 168، 174، 175.	المغرب الأقصى
ص 96، 99، 107، 147، 282.	المهدية
ص 114.	الموصل
ص 178.	اليسانة
ص 26.	أمريكا
ص 26.	إنجلترا
ص 175.	أوزفور
ص 97، 99، 107، 142، 145، 147.	بجاية
ص 95، 96، 282.	بغداد
ص 90.	بلاد الصحراء
ص 90، 142.	بلاد القبلة
ص 90، 99، 101، 147.	بلاد المصامدة
ص 122، 179، 282.	بلنسية

ص 141.	تاجة
ص 156، 159، 197.	تادلا
ص 90، 101، 170، 177.	تامسنا
ص 97، 99، 107، 119، 122، 124، 145، 146، 226، 228.	تلمسان
ص 107.	تونس
ص 98، 99، 107، 112، 110، 113، 170، 171.	تينمل
ص 175.	جبال الريف
ص 12.	حمص
ص 179، 181، 183، 224، 230، 273.	دانية
ص 178.	درعا
ص 15، 16، 17، 18، 22، 24، 32، 33، 34، 36، 44، 117، 118، 120، 122، 123، 124، 141، 142، 147، 149، 150، 151، 162، 153، 154، 155، 156، 157، 174، 183، 190، 193، 196، 197، 210، 221، 222، 224، 225، 227، 228، 229، 230، 233، 249، 252، 253، 256، 259، 260، 262، 263، 264، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280.	سببة
ص 139، 140، 142، 173، 178.	سجلماسة
ص 166، 178، 226، 273.	سرقسطة
ص 273.	سفاقس
ص 275.	سيلا
ص 282.	شاطبة
ص 172.	شنتبرية
ص 275.	شنترين
ص 143.	شنتميرة

ص 179.	طرطوشة
ص 142.	طلايوت
ص 142، 176، 177، 178، 272، 275، 276.	طليطلة
ص 124، 140، 146، 225، 226.	طنجة
ص 180.	غانية
ص 44، 46، 121، 122، 124، 149، 150، 177، 178، 181، 183، 184، 195، 197، 225، 226، 229، 230، 236، 262، 275، 280، 281.	غرناطة
ص 178.	فازا
ص 6، 12، 14، 16، 17، 20، 93، 95، 98، 99، 118، 119، 120، 122، 146، 174، 175، 177، 178، 180، 181، 197، 214، 224، 225، 227، 228.	فاس
ص 26.	فرنسا
ص 18، 41، 44، 45، 64، 95، 116، 117، 118، 120، 121، 122، 148، 165، 172، 175، 177، 178، 179، 181، 195، 196، 197، 227، 228، 230، 236، 240، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282.	قرطبة
ص 146.	ملالة
ص 107، 147.	قسطنطينة
ص 167، 181، 195، 197، 226.	مالقة
ص 142.	مجريط
ص 47، 64، 92، 98، 99، 108، 109، 110، 113، 139، 143، 146، 147، 156، 159، 178، 180، 197، 222، 232، 289.	مراكش

مرسية	ص 18، 19، 51، 122، 179، 197، 227، 278، 279.
مصر	ص 12، 21، 33، 99، 167، 168، 180، 282.
مكة	ص 59، 282، 283.
مكناسة	ص 98، 124، 155، 171، 172، 178، 226.
ميورقة	ص 142.
وليلي	ص 175.

فهرس الأمم، الشعوب والقبايل:

المصطلح	الصفحة
بنو مردنيش	ص 176.
أداسة	ص 168.
أرداجة	ص 168.
أرغن	ص 94.
أسرة السلاجي	ص 174.
الأتراك	ص 181.
الأرغونيين	ص 176.
البتري	ص 168.
البنجة	ص 180.
البرانس	ص 168.
البربر	ص 95، 111، 139، 167، 168، 172، 264.
البرغواطيين	ص 93، 101.
الجرمانيين	ص 179.
الجلالقة	ص 172، 176.
الخرج	ص 176.
الروم	ص 176، 179.
الزغاوة	ص 180.
الزنج	ص 180.
السكندنافيون	ص 179.
الصفالبة	ص 179.
العرب	ص 43، 172، 173، 174، 175، 182.
العماليق	ص 167.
القشتاليين	ص 176.
القيسيين	ص 174.
الكانم	ص 180.
اللمط	ص 169.

ص 90، 94، 98، 99، 101، 112، 139، 147، 169، 170، 171.	المصامدة
ص 93.	المغراويين
ص 180.	النوبة
ص 93.	اليفرانيين
ص 171.	أهل تينملل
ص 170.	أهل جبل درن
ص 168، 171.	أوربة
ص 168.	أوريغة
ص 175.	أوزفور
ص 119، 170.	برغواطة
ص 168.	برانس
ص 145.	بن مضر
ص 175.	بنو أمية
ص 176.	بنو زهرة
ص 176.	بنو قومنس
ص 145.	بنو مجبر
ص 176.	بنو مرتين
ص 176.	بنو مردنيش
ص 176.	بنو هاشم
ص 169.	بنو وارت
ص 93، 147.	بني العباس
ص 174.	بني الملجوم
ص 174.	بنو بكار
ص 174.	بني حنين
ص 169.	بني زياد
ص 171.	بني ستلتن
ص 171.	بني سنوس
ص 176.	بنو كنانة

ص 170.	بني ماغر
ص 174، 176.	بني هلال
ص 176.	بني هود
ص 171.	بني ورودن
ص 171.	بني يسنيين
ص 171.	جدميوة
ص 169.	جزولة
ص 180.	جناوة
ص 171.	جنفيسة
ص 12، 138، 167، 168.	حمير
ص 170.	دكالة
ص 170.	رجراجة
ص 92، 94، 139، 145، 171، 172.	زناتة
ص 90، 100، 101، 103، 168، 169، 171، 172.	صنهاجة
ص 139، 170.	غمارة
ص 180.	قوقو
ص 144، 145.	قيس بن عيلان
ص 168، 171، 275.	كتامة
ص 89، 90، 169.	كدالة
ص 170.	كدميوة
ص 167، 168، 180.	كنعان
ص 180.	كوكو
ص 145.	كومية
ص 89، 90، 92، 103، 109، 115، 129، 139، 169.	لمتونة
ص 90، 103، 169.	لمطة
ص 172.	مديونة
ص 180.	مركه



مسكالة	ص 170.
مسوقة، مسوفة	ص 90، 103، 169.
مصمودة	ص 110، 168، 172.
مطاطة	ص 145.
نفرة	ص 171.
نفوسة	ص 168.
هرغة	ص 170، 171.
هسكورة	ص 168، 170.
هنتاتة	ص 170، 171.
هيلانة	ص 170.
يحصب	ص 12.

فهرس الجدول:

الصفحة	عنوان الجدول	الرقم
34	عدد مصنفات القاضي عياض في مختلف الفنون	1
136	مقابلة مصنفات القاضي عياض بما رد على ابن تومرت	2
197	تصنيف علاقات القاضي عياض بالرعية	3
205	أهم القضايا التجارية في نوازل القاضي عياض	4
225	يوضح الفقهاء وعلاقتهم بمنصب القضاء	5
238	أسماء المصنفين وعناوين مصنفاتهم	6
272	شيوخ القاضي عياض بسببته	7
277	شيوخ القاضي عياض في الأندلس	8
282	شيوخ القاضي عياض بالإجازة	9

فهرس الأشكال والمخططات:

الصفحة	عنوان الشكل	الرقم
35	الدائرة النسبية لمصنفات القاضي عياض حسب كل فن	2
137	مخطط يوضح علاقة القاضي عياض بفقهاء سلطة المرابطين وفقه الموحدين	3
158	منحنى بياني يمثل مناصب القاضي عياض في السلطة	4
229	يمثل نسبة حالة الرد على طلب منصب القضاء من مجموع 45 فقيه.	5
258	انتشار أفكار القاضي عياض في أوساط الرعية	6
258	تأثير القاضي عياض على العلاقة بين الرعية والسلطة	7

# فهرس الموضوعات

3 إهداء .....

4 شكر وتقدير .....

5 قائمة المختصرات: .....

6 مقدمة .....

9 الفصل الأول: التعريف بالقاضي عياض .....

11 أولاً: نشأة القاضي عياض .....

11 1. اسمه ونسبه وأسرته: .....

15 2. سبته وتكوينه العلمي: .....

17 3. طلب العلم بين الرحلة والإجازة .....

21 ثانياً: آثار القاضي عياض بين التصنيف والتدريس .....

22 1. مصنفات القاضي عياض: .....

36 2. القاضي عياض الأديب: .....

42 3. القاضي عياض والمشيخة: .....

47 ثالثاً: المذهب والعقيدة .....

47 1. القاضي عياض والمذهب المالكي .....

53 2. القاضي عياض والمذهب الأشعري: .....

57 3. القاضي عياض والتصوف: .....

80 الفصل الثاني: القاضي عياض والسلطة بين التجانس والاختلاف .....

81 أولاً: السلطة في عصر القاضي عياض .....

81 1. مصطلح السلطة في الفكر الإسلامي: .....

86 2. دولة المرابطين: .....

93 3. دولة الموحدين: .....

99 ثانياً: علاقة القاضي عياض بفقهاء السلطة في عصره .....

1. الفقهاء بين الدين والسياسة في دولة المرابطين والموحدين: ..... 100
2. القاضي عياض وعلاقته بفقهاء السلطة: ..... 113
- ثالثا: علاقة القاضي عياض بالسلطة السياسية ..... 138
1. أمراء السلطة في عصر القاضي عياض: ..... 138
2. علاقة القاضي عياض بأمراء السلطة المرابطية: ..... 147
3. علاقته بسلطة الموحدين: ..... 151

### 160 ..... الفصل الثالث: علاقة القاضي عياض بالرعية

- أولا: الرعية في عصر القاضي عياض ..... 161
1. مفهوم مصطلح "الرعية": ..... 162
2. العناصر المكونة للمجتمع: ..... 166
- ثانيا: القاضي عياض والرعية ..... 182
1. علاقته بالخاصة: ..... 182
2. علاقته بالعامية من الرعية: ..... 193
- ثالثا: إسهامات القاضي عياض في المجتمع ..... 199
1. حماية حقوق الرعية ..... 199
2. الإسهام في التطور العلمي: ..... 211

### 218 ..... الفصل الرابع: عياض بين السلطة والرعية

- أولا: الفقهاء بين السلطة والرعية من خلال فكر القاضي عياض ..... 219
1. الفقهاء والسلطة: ..... 220
2. الفقهاء والرعية: ..... 232
- ثانيا: دور القاضي عياض في علاقة السلطة بالرعية ..... 242
1. دور الفقيه: ..... 242
2. دور الوسيط بين السلطة والرعية: ..... 248
3. دور المؤثر: ..... 253

### 261 ..... خاتمة

265 ..... الملاحق

290 ..... بيبليوغرافيا

309 ..... الفهارس

310 ..... فهرس الأعلام:

321 ..... فهرس الأقطار، البلدان والمدن:

326 ..... فهرس الأمم، الشعوب والقبائل:

330 ..... فهرس الجداول:

331 ..... فهرس الأشكال والمخططات:

332 ..... فهرس الموضوعات

## الملخص:

كان القاضي عياض أحد أوعية العلم في زمانه، حافظا فقيها مبرزا على أقرانه، عرف عنه العلم الواسع والفهم الحاذق، فهو من الفقهاء الذين استعانت بهم السلطة في تدبير شؤون الدولة، والرعية في فهم الدين، مما جعله يبني علاقة متينة مع السلطة والرعية معا، فمن جانب السلطة، تبوأ مكانة مرموقة عند المسؤولين عليها، ذلك لما تمتع به من علم ومنصب، جعله يلعب دورا بارزا في الأحداث السياسية التي حدثت في فترة حياته، فقد عاش في ظل حكم سلطتين كان لهما دور كبير في تاريخ الغرب الإسلامي، الأولى عاصر جل أطوارها، وهي دولة المرابطين التي جمعت بين سلطة الأمراء وهيمنة الفقهاء، لدرجة سميت فيه دولة الفقهاء، والثانية زامن فيها بداية دعوتها ثم قيامها وسيطرتها على كل الغرب الإسلامي بقيادة خليفتها عبد المؤمن بن علي وهي دولة الموحدين، فكان في السلطة الأولى عاملا في جهازها متحفظا لها بالولاء والعهود، أما السلطة الثانية فبادر في البداية إلى الدخول في نظامهم، والاعتصام بحبلهم، ثم توترت الأمور بينهم حتى أعتبر تائرا خارجا عنها، متزعا انقلابا ضدها، ومن جانب الرعية فكان من الفقهاء والعلماء الذين كان لهم دور كبير داخل المجتمع، بحكم ما وصل إليه من علم، وما عرف عنه من الاشتغال في العديد من الأعمال النافعة لأفراد المجتمع من تعليم، قضاء، تأليف، توجيه، إفتاء ... كانت سببا في فتح أبواب الوصال بينه وبينهم، أكسبته التقدير وجعلت له الريادة في بلده، ودور بارز في التأثير على العلاقة بين السلطة والرعية في عصره.

## Résumé :

Cadi Ayyad était l'un des puits de connaissance de son époque, c'était un érudit distingué parmi ses pairs. Il se singularisait par son vaste savoir et sa profonde compréhension. Il faisait partie des érudits que les autorités l'ont engagés pour gérer les affaires de l'État. Il s'est aussi investi dans l'enseignement de la religion au peuple, c'est ce qui lui a permis de bâtir une relation indéfectible à la fois avec les pouvoirs en place et le peuple. En ce qui concerne les autorités, il était tenu en très grandes estime par les responsables, en raison de son érudition et de son statut, ce qui lui a permis de jouer un rôle prépondérant dans les événements politiques de son vivant. Il a vécu sous deux dynasties qui ont occupé un rôle de premier rang dans l'histoire du Maghreb islamique. La première dynastie était celle des Almoravides, qui a su concilier l'autorité des princes et la domination des érudits. Au point où elle a été surnommée « l'Etat des érudits ». Par ailleurs, il a été témoin de la genèse de la deuxième dynastie, celle des Almohades, puis de la mainmise de cette dernière sur tout le Maghreb islamique sous la houlette de son Calife Abdul Mu 'min Ibn Ali. Pendant la Première dynastie, il était un loyal serviteur, alors que durant la deuxième il était dévoué au début avant que les liens se sont distendus au point qu'il soit considéré par les pouvoirs en place comme rebelle, fomentant un coup d'État contre leur règne. Pour le peuple, il était considéré comme un érudit et un savant qui jouait un grand rôle



dans la société, en vertu de sa science, et de son engagement reconnu dans de nombreux œuvres utiles pour les membres de la société, tels que l'éducation, la magistrature, l'écriture de livres, la fatwa... C'était la raison pour laquelle il avait maintenu des relations cordiales avec eux, ce qui lui a valu la reconnaissance et fait de lui un leader dans son pays, et une figure de premier plan dans la relation entre le pouvoir et le peuple à son époque.

**Abstract:**

Cadi Ayyad was one of the wells of knowledge of his time, he was a distinguished scholar among his peers. He stood out for his vast knowledge and deep understanding. He was one of the scholars hired by the authorities to manage the affairs of the state. He also invested himself in teaching religion to the people, which is what enabled him to build an unwavering relationship with both the powers in place and the people. With regard to the authorities, he was held in very high esteem by those responsible for his erudition and status, which enabled him to play a leading role in political events during his lifetime. He lived under two dynasties that occupied a prominent role in the history of the Islamic Maghreb. The first dynasty was that of the Almoravids, who knew how to reconcile the authority of princes and the domination of scholars. To the point where it was nicknamed «the state of the scholars». Moreover, he witnessed the genesis of the second dynasty, the Almohads, and then its latter's control over the entire Islamic Maghreb under the leadership of its Caliph Abdul Mu 'min Ibn Ali. During the First Dynasty, he was a loyal servant, while during the Second Dynasty he was devoted at first before the bonds became so loose that he was considered by the ruling powers as rebel, fomenting a coup against their rule. For the people, he was considered a scholar who played a great role in society, by virtue of his science, and his recognized commitment to many useful works for members of society, such as education, the judiciary, writing books, fatwa... This was the reason why he had maintained cordial relations with them, which earned him recognition and made him a leader in his country, and a leading figure in the relationship between power and people in his time.